

الفصل الرابع

وقائع وصور من سير العمليات القتالية

- » من أوراق جيش الدفاع الإسرائيلي
- » من أوراق القوات المسلحة المصرية
- » من أوراق القوات المسلحة السورية

obeikandi.com

(١)

من أوراق جيش الدفاع الإسرائيلي

في حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣

من المصادر التي استقيت منها هذه (الأوراق)

- ١ - كتاب « حرب التكفير » للمتحدث العسكرى الإسرائيلى ورئيس المخابرات السابق ويمثل إسرائيل الآن فى الأمم المتحدة الجنرال حايم هرتسوج وقد كان بحكم موقعه مطلعاً على جميع الوثائق والمعلومات التى تجمعت فى غرفة العمليات ورئاسة الأركان الإسرائيلىة .
- ٢ - كتاب « زلزال فى أكتوبر » للخبير والمعلق العسكرى الإسرائيلى زئيف شيف - وهو أيضاً بما له من مكانة مرموقة بين معلقى إسرائيل . . لم يجد صعوبة فى الحصول على أدق وأوثق المعلومات من ملف جيش الدفاع الإسرائيلى .
- ٣ - كتاب « المحدال » الذى ألفه سبعة من كبار المراسلين الحربيين الإسرائيليين . . وهو يتضمن شهادات إسرائيلىة حية . استقى المؤلفون معظم جوانبها من تجربتهم المباشرة ، حيث كانوا جميعاً فى جبهات القتال ، وبالتالي أمكنهم نقل هذه الشهادات أو الصور الواقعية للمعارك التى خاضها ضباط وجنود الجيش الإسرائيلى ، وقد دعموا بالطبع هذه الصور الواقعية ، بمعلومات موثقة وقرتها لهم اتصالاتهم ومصادرهم .
- ٤ - كتاب « حياتى » لجولدا مائير . ٥ - كتاب « قصة حياتى » لموشيه ديان .

بالإضافة إلى :

- ١ - جميع الصحف الإسرائيلىة التى صدرت منذ ٢١ سبتمبر ١٩٧٣ وحتى تاريخ الانتهاء من هذه الدراسة .
- ٢ - المحاضر الكاملة لجلسات لجنة أجزانات التى تولت التحقيق فى نواحي القصور التى أدت إلى هزيمة إسرائيل .
- ٣ - تقارير الاستماع إلى الإذاعات الإسرائيلىة وخاصة إذاعة الجيش الإسرائيلى .
- ٤ - المناقشات الواسعة خاصة بين الجنرالات الإسرائيلىة التى دارت فى الندوة التى عقدت بالقدس فى أكتوبر ١٩٧٥ حول الحرب بكل أبعادها .
- ٥ - الكتب والدراسات التى ألفها ووضعها الكتاب والمراسلون من مختلف أنحاء العالم والتى اعتمد بعضها على لقاءات مباشرة مع القادة والضباط والجنود الإسرائيليين .
- ٦ - الاعترافات التفصيلية للأسرى الإسرائيليين .
- ٧ - مصادر أخرى .

ماذا كان يدور في إسرائيل

من ٣ أكتوبر حتى ظهر ٦ أكتوبر ؟

•• من المقال الافتتاحي لصحيفة جبروزالم بوست الإسرائيلية الصادرة يوم ٣ أكتوبر ١٩٧٣ قال رئيس التحرير :
« إن رئاسة الأركان الإسرائيلية قد اتخذت الإجراءات المناسبة لاحتمال وقوع عمل عسكري مفاجئ » .

•• وفي صحيفة معاريف الإسرائيلية « المسائية » الصادرة ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ قال المحرر العسكري :
« إن قوات تسهال (جيش الدفاع الإسرائيلي) تقرب عن كيب كل ما يدور على الجانب المصري من قناة السويس . ولقد اتخذت كافة الإجراءات لتفادي وقوع هجوم مفاجيء » .

•• وفي الساعة الرابعة من صباح ٦ أكتوبر رن جرس التليفون في منزل الجنرال زعيرا قائد المخابرات الإسرائيلية والذي استمع إلى صوت محدثه ، ثم وضع الساعة ليتصل على الفور بالجنرال ديان ثم بالجنرال أليعازر ثم بالجنرال يسرائيل طال نائب رئيس الأركان . وخلال نصف ساعة كان الجميع في مقر القيادة وقد أيقنوا أن الهجوم المصري السوري سيتم في الساعة السادسة من مساء هذا اليوم (٦ أكتوبر) .

•• وفي الساعة الثانية وبضع دقائق ، وفي مبنى رئاسة الأركان الإسرائيلية المتعدد الطوابق وبالتحديد في مكتب رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية التف المراسلون العسكريون حول اللواء (إيلي زعيرا) . . الذي أخذ يشرح لهم الموقف . . وفي اللحظة التي كان يقوله لهم فيها : « إن العرب إذا بدءوا بإطلاق النار . . سوف يدعون بعد ذلك بأننا قد بدأنا الحرب » في تلك اللحظة - دخل السكرتير الخاص لرئيس الاستخبارات ، ومد يده إليه بورقة صغيرة ، ونظر فيها (زعيرا) بعجلة ، ثم خرج من الغرفة ثم عاد ليأخذ قبعته وحقيبته الصغيرة وهو يرد على تساؤل أحد الصحفيين عما حدث بقوله :
« سيكون كل شيء على ما يرام » .

« وكانت هذه الورقة تحتوى على الكلمات التالية » لقد بدأ المصريون بإطلاق النار .

« وفي طابق آخر من المبنى الضخم ، كان رئيس الأركان يستعد لبحث بعض الأمور الخاصة بحالة التأهب التي أعلنت منذ فترة ، مع اللواء إسحاق حوفى قائد الجبهة الشمالية ، وقد وصل لحضور هذه الجلسة كل من اللواء (إسرائيل طال) نائب رئيس الأركان : واللواء موردخاى هود القائد السابق لسلاح الجو الإسرائيلى . وبينما كان المجتمعون يتناقشون فى آخر الخطوات التى انتهى تنفيذها فى مجال التعبئة العامة . أعلن المذيع الداخلى فى غرفة رئيس الأركان أن العرب قد بدءوا بإطلاق النار فى الجبهة السورية . وعلى القناة .

« وفى قاعة اجتماعات مجلس الوزراء ، جلست جولدا مائير مع عدد من وزرائها يترقبون التطورات إلى أن دخل سكرتيرها العسكري مسرعاً ، وخيم الصمت على الجميع ، ومال السكرتير ليهمس فى أذن جولدا مائير بوضع كلمات فرفعت عينها ، وقالت « لقد بدأ الهجوم السورى المصرى » .

« حلة اللحم » . « ذئب البحر » « سيدة جميلة » كرر المذيعون هذه العبارات الموجهة إلى بعض الوحدات ، وهى جزء من خطة التعبئة .

« بيان من جيش الدفاع الإسرائيلى :

« اعتباراً من الساعة الثانية بعد الظهر قامت القوات المصرية والسورية بالهجوم فى سيناء وفى هضبة الجولان ، فى الجو والبحر . وبعد سلسلة من الهجمات الجوية على مواقعنا ومعسكراتنا بدأت قوات المشاة بالهجوم البرى . وقامت القوات المصرية بالعبور من عدة مواقع ، وقامت القوات السورية بالهجوم مستخدمة المدرعات والمشاة على طول خطوط هضبة الجولان . هذا وتقوم القوات الإسرائيلىة بالعمل ضد المهاجمين ، وتدور الآن معارك جوية وبرية على الجبهتين » .

وبعد انتهاء هذا البيان انطلق المذيع الإسرائيلي يقول بصوت حاد : « إن المعركة ضد الجيوش العربية ستكون معركة ساعات هذه المرة وليست معركة أيام » .

وفي شوارع تل أبيب رد الكثير من الإسرائيليين بلا مبالاة على التعليمات التي أخذت تتوالى من الإذاعة مطالبة بالإظلام الكامل . إن الجميع يتوقعون نصراً سهلاً .

« وأعلن (ديان) في مؤتمر صحفي عقده في تل أبيب : « أن الجيش الإسرائيلي سوف يضرب المصريين في سيناء ضربة قاسية . . وأن هذه الحرب لن تستغرق سوى ساعات . . إننا سوف نسحق كليتهم » .

وقالت جولدا مائير :

« لقد كانت المخابرات الإسرائيلية تعلم منذ بضعة أيام أن الجيوش المصرية والسورية قد حشدت للقيام بالهجوم في وقت واحد ، وقد اتخذت قواتنا الاستعدادات العسكرية اللازمة لمواجهة الخطر ونحن لا نشك أبداً في أننا سننتصر » .

في سيناء :

في الساعة ١٢,١٥ ظهراً وصل تحذير جديد إلى قيادة مجموعات عمليات العميد إبراهيم مندler ، وصدرت الأوامر بالاستعداد والتأهب لاستيعاب القصف المدفعي . وقد اقترح عليه نائبه العميد المحلي (بينو) أن ينفذ خطة « برج الحمام » ، وأن يدفع كل قواته المدرعة إلى القناة ، ووافق إبراهيم مندler (الذي اشتهر باسم « ألبرت » على اقتراح (بينو) وأصدر أوامره إلى قواته .

وفي الساعة ١,٤٥ ظهراً عاد الجنرال (جونين) إلى قيادته من اجتماع قيادة الأركان العامة في تل أبيب ، وعلى الفور اتصل بألبرت وأبلغه بقرارات القيادة العامة . وفي نهاية

الاتصال التليفوني قال جونين لألبرت : « لقد حان الوقت لكي تدفع الألوية المدرعة إلى القناة » .

وهنا رد عليه ألبرت باختصار وتوتر مفاجئ :

« بالفعل لقد حان الوقت . ففي هذه اللحظة بدأ المصريون يمحروننا بقنابلهم !! » .

.....

بدأ سيل التقارير ينهمر على القيادة من المواقع الحصينة في خط بارليف . . . ولقد كانت البداية مذهلة فقد أجمعت هذه التقارير على عنف القصف الجوي ثم شدة وعنق المدفعية الثقيلة المصرية وأبلغت التقارير عن عبور طلائع القوات المصرية وعن المعارك القاسية التي يدخلها - الجنود الموجودون في تحصينات بارليف . . . بينما تعرض رجال المدرعات الذين تقدموا صوب خط بارليف لمفاجأة قاسية حيث كان في انتظارهم الجنود المشاة المصريون بقذائف آر-بي - جي ، والصواريخ المضادة .

وتعالت صيحات الاستغاثة المستيرية من أجهزة اللاسلكي من الحصون :

« المصريون يهاجموننا . . . أين طائراتنا ؟ ! . . . أرسلوا تعزيزات المدرعات وجهوا

المدافع نحوهم . . . إنهم يهاجمون بأعداد كبيرة . . . » .

لم يستطع ألبرت أن يعرف أن المصريين يشنون هجوماً واسعاً على طول الجبهة إلا بعد ساعات من بدء الهجوم . ولم يعرف أيضاً أن هناك قوة برمائية مصرية قد عبرت القناة إلا بعد عبورها بمدة طويلة .

.....

« وصف الجنرال آمون مشهد الساعات الأولى من الحرب بقوله : « لقد اشتعلت

سيناء كلها بالنيران » .

.....

« حاول جونين أن يقدر الموقف من خلال التقارير اللاسلكية التي تصل تباعاً إلى

قيادته . . . ولكنه فشل .

ويعد ذلك أدرك أن معدل العبور سريع في القطاع الشمالي من القناة .

.....

.....

.....

• كان الهجوم المصرى قد بدأ فى ساعة الصفر بغارات جوية كثيفة قام بها حوالى ٢٤٠ طائرة . وقد وصل منها إلى شرم الشيخ ١٢ طائرة .

وقد اتضح أن الأهداف التى كلفت هذه الطائرات بضررها وتدميرها هى : ثلاثة مطارات فى سيناء - بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات (الصواريخ الهوك) - ثلاثة مواقع قيادة وسيطرة - محطات الرادار - مراكز تجمعات المدفعية - مراكز الشئون الإدارية .

وكذلك حصن « بودابست » الذى أقيم فوق رمال شاطئ البحر الأبيض المتوسط .
• وخلافاً للنظرية الحربية السوفيتية ، لم يتم المصريون بعملية قصف مدفعى طويلة ، بل جاء هجومهم سريعاً بعد حوالى ربع ساعة من القصف ، وكانوا يوجهون إلى المواقع الإسرائيلية نيران نحو ٢٠٠٠ مدفع من جميع الأنواع وفى اللحظات الأولى انهال على هذه المواقع الحصينة عشرة آلاف وخمسمائة قذيفة بمعدل مائة وخمسة وسبعين قذيفة فى الثانية . . وكانت الموجات الأولى من المهاجمين من المشاة ، وقد وصل هؤلاء إلى الجانب الآخر من القناة ، وتمركز كثيرون هناك . . وبدعوا بإقامة رهوس جسور فى عمق من ٢ - ٣ كم . وكان من بين هؤلاء صائدو الدبابات ووحدات كوماندوز .

• كان هجوماً ضخماً واشترك فى المرحلة الأولى حوالى عشرة آلاف مقاتل . ولإزالة الموانع الترابية الواقعة على ضفة القناة فى جانبنا ، استعمل المصريون رشاشات ماء قوية جداً تعمل بقوة ضغط هائلة وأحدثت تيارات الماء المندفعة بقوة فتحات فى المانع الترابى ، وقام المصريون بالعبور مستخدمين مئات القوارب من مختلف الأنواع : مطاطية وخشبية وقصديرية . وجرت هذه المحاولات على طول القناة . وقد سجلت فى سبعة أماكن على الأقل جهوداً مركزة . وعلى ما يبدو فقد توقع المصريون مقاومة شديدة ، لذلك فضلوا - أن يعبروا القناة فى أماكن عديدة من خلال اقتراضهم بأنهم سينجحون فى بعضها .

وبعد عشرين دقيقة من بدء القصف شوهدت دبابات برمائية فى مياه البحيرة المرة قرب كبريت ، وكانت هذه الدبابات الخفيفة وكذلك حاملات الجنود المدرعة البرمائية أيضاً هى طليعة التوغل فى سيناء . وقد طوقت القوات الإسرائيلية فى هذه المنطقة وبدأت الاتصال بوحدات الصاعقة عند ممرات متلا والجدى كان هدف الموجة الأولى من الهجوم الاستيلاء على المانع الترابى الذى أقامه الجيش الإسرائيلى ، وكان على المهاجمين

التمركز أولاً في الأماكن التي أراد رجال الهندسة المصريون إقامة جسور عليها ، وقام عدد من المهاجمين بإشغال المواقع الإسرائيلية في خط بارليف . كما تسلقوا الموانع الترابية بواسطة سلام وانتشروا كالجراد وعند وصول موجة جديدة من العابرين ، كانت الموجة الأولى تنزل وتتقدم إلى الأمام مسافة مائتي متر . وكانت النيران تعطل رجال الحصون الإسرائيلية عن عملية الاستكشاف ، بل إنهم بدءوا يتعرضون لهجوم المشاة .

كان المصريون يعملون ، وكأنهم يقومون بمناورة حربية بعد تمرينات كثيرة ، واستعانت الموجة الأولى برجال الضفادع . وكانت هناك شاحنات مصرية شوهدت وهي تقترب من القناة باتجاه معاكس وتلقى إلى الماء بقطع من الأخشاب ، وقطع من الجسور ، وتم تجميع هذه القطع . وخلال حوالي نصف ساعة أقيم جسر لسلاح المشاة . وتدفقت في الجولة الثانية على هذه الجسور ثلاث فرق من سلاح المشاة وخلال ساعات قليلة نجح المصريون في نقل أكثر من أربعين ألفاً من سلاح المشاة إلى سيناء . وفي نفس الوقت بدأ سلاح الهندسة بإقامة جسور لعبور المدرعات الأثقل .

وكان المنظر الذي واجه رجال حصون خط بارليف يشبه الكابوس فلقد كانت كميات النيران المصرية ، وأعداد المهاجمين أموراً أذهلت الكثيرين ، وقد فتح بعض رجال المعامل نيران أسلحتهم الخفيفة ومدافع الهاون . ولكن ذلك كان قطرة في بحر !! ومن جهة أخرى كانت الطائرات الإسرائيلية قد تلقت تعليمات اللواء « بيني بيلد » قائد السلاح الجوي أمر الاستنفار لمهاجمة المصريين عند القناة . وكان الأمر هو ضرب كل هدف يتراءى لهم .

وقد كانت هناك مشكلة تواجه عمل الطيران الإسرائيلي ، فليس أمامهم مهلة سوى ساعتين فقط يحل بعدهما الظلام .

. قامت الطائرات بغارات عديدة على القناة والعبادية والزعفرانة لكن بطاريات الصواريخ المصرية أخذت تتصدى لها بعنف وسقط في أول غارة خمس طائرات سكاي هوك وطائرة فانتوم .

هذا وقد واكب عملية العبور عملية أخرى أخطر وأهم ، فقد قامت طائرات الهليكوبتر المصرية بإبرار أعداد كبيرة من وحدات الكوماندوز المصريين على الخط الممتد من رأس سدر إلى طاسة إلى بالوظة كما كانت هناك وحدات أخرى شرق هذا الخط بأعداد

وإمكانيات وفيرة . ولم تكن الهليوكبتر هي وسيلة الكوماندوز المصريين الوحيدة ، لقد تسللوا أيضاً من البحر والبر .

حتى صبيحة اليوم الثاني (٧ أكتوبر ١٩٧٣) كانت القوات المصرية قد وسعت رءوس الجسور ، ووصلت حتى عمق ٦ - ٨ كم واستعدت لمواجهة الهجوم الإسرائيلي المضاد . وكان من الواضح أن مراحل العبور قد تم التخطيط لها بأدق التفاصيل وقد أعدت الخطة بدقة ومهارة متناهيتين .

ولذلك فإنه بينما كان أكثر المتفائلين يقدرّون أن عملية العبور ستكلف المصريين أكثر من ٣٠ ألف شهيد . لم تبلغ الخسائر الحقيقية التي تكبدوها في عبورهم القناة والسائر الترابي سوى مائتي جندي .

وقد تعرضت المعابر التي أقامها المصريون لغارات شديدة في اليوم الثاني من الحرب ، لكن تصميم المعابر ونظام تركيبها ، وجرأة الجنود مكنتهم من استبدال الأجزاء المصابة بسرعة شديدة . كما كانوا يغيرون أماكن هذه المعابر .

حتى منتصف ليلة ٧ أكتوبر كانت الفرقة السابعة مشاة المصرية قد استكملت نقل قواتها إلى سيناء وعبر معها اللواء ٢٥ المدرع . . وتم إبرار كتائب جديدة من الكوماندوز المصريين . . بينما امتدت عشرة معابر على القناة .

كان ألبرت قد وجه مدرعاته إلى حصون بارليف لمساندتها وإيقاف العبور . وكان قد تكهن بأن الهجوم المصرى الرئيسى سيكون من الشمال ، ولذلك أمر لواء « جابي » المدرع بالتحرك إلى هناك ، وكلف العقيد « أمنون » بقيادة القطاع الأوسط مع لوائه ، وكلف العقيد « دان » بالتحرك غرباً في الجنوب عن طريق مضيق الجدى ، والاستعداد في جنوب البحيرات المرة . وقد وزع الدبابات الثلثائة بالتساوى على ألويته الثلاث ، وكان يظن أن قواته المدرعة قد وصلت جميعها إلى الحصون ، ما عدا الحصن الواقع على لسان بور توفيق .

حاول بينو (نائب ألبرت) أن يستوضح صورة المعارك ، ولكنه لم ينجح لغموض التقارير التي وصلت إلى القيادة ، ولتناقضها أيضاً . وقد استقل طائرة هليكوبتر وحلق بها فوق الطرق والمجاور حتى ممرى متلا والجدى وقد أنهى هذه الجولة بسرعة بعد أن تعرض للإسقاط عدة مرات . وحتى ذلك الوقت لم يكن ألبرت وجونين يشعران بضرورة إخلاء الحصون .

وتم اتصال من القيادة العامة . . أبلغ فيه جونين بضرورة إخلاء الحصون التي لا تستطيع الصمود .

وفي منتصف الليل نقل جونين قيادته إلى أعماق سيناء .

وكانت نتائج الهجوم المضاد الذى بدأ منذ صباح الأحد مزعجة للغاية . واستأنف المصريون هجومهم . وبدأت القيادة الإسرائيلية تشعر بنتائج القتال الليلي . وكان موقف القوات كالتالى :

موقف اللواء المدرع قيادة العقيد أمنون :

- بالنسبة للواء أمنون بمجرد أن تحركت كتائبه إلى الأمام فى اتجاه المواقع المحددة من قبل . . فوجئت بأن المشاة المصريين قد احتلوا هذه المواقع ، وأمطروا الدبابات المتقدمة نحوهم بوابل من قذائف البازوكا وفى نفس الوقت انطلقت الصواريخ المصرية من على السواتر الرملية الموجودة على ضفة القناة الغربية .

« لقد تحولت شبه الجزيرة كلها إلى شعلة من النيران ، ونزلت بدباباتنا خسائر فادحة دون أن تتمكن من إيقاف تدفق موجات المشاة المصريين » (هذا ما ذكره العميد أمنون فى تقريره عن سير العمليات) وكانت كتائب لوائه تعمل فى القطاع الأوسط - وقد أرسل فى البداية سرية دبابات فى اتجاه المعبر المواجه للإسماعيلية ، وسرية أخرى فى اتجاه كوبرى الفردان حيث كان الوضع فى حصن الفردان المسمى « حيزايون » خطيراً إلى أقصى حد . إذ سقط من قواته العديد ما بين قتلى وجرحى . . بذلت الدبابات جهوداً يائسة . . ولم تنجح إطلاقاً فى الاتصال بهذا الحصن .

وأرسل أمنون قوة استطلاع كبيرة ، نحو الشمال من قطاعه ، ولكن سرعان ما انقطع الاتصال مع هذه القوة ، لأنها وقعت فى كمين للمشاة المصريين بالقرب من مزرعة

التجارب الصينية ، وأصيب الرائد يعقوف يعقبتس نائب قائد الكتيبة بجراح شديدة مات متأثراً بها ، كما جرح قائد السرية .

... ما تحقق من المهمة: لم تنجح مهمة الاستطلاع نهائياً .

موقف القوة التي كلفت بالمهمة : سقط أكثر من ٩٠٪ من أفراد القوة ما بين قتلى وجرحى وربما يكون المصريون قد أسروا بعضهم

موقف السرية التي تحركت نحو معبر الإسماعيلية :

دمرت السرية فيما عدا دبابتين فقط .

ما تحقق من المهمة :

فشلت المهمة تماماً .

.. السرية التي تحركت إلى حصن الفردان (حزايون) :

في الثامنة مساءً أصيب الملازم « زئيف يريل » وفقد بصره ، ثم قتل المدفعجي وعامل الإشارة ، وعند وصول السائق بدبابته إلى حصن حزايون ، أصيبت الدبابة مرة أخرى ، ودار السائق للخلف ، وناور واتجه شمالاً حتى وصل بالقرب من جزيرة البلاح . . . وهناك سقطت الدبابة في مستنقع من الملاحات .

• كانت هذه هي الدبابة الأولى في السرية .

• الموقف العام للسرية : دمر المصريون جميع دبابات السرية ولم تنج منها دبابة واحدة

محاولة أخرى :

دفع أمنون بوحدات أخرى في محاولة لتحقيق المهام المحدودة ، وتولى المقدم « عميرام » قيادة القوة التي كلفت بمساعدة حصن (حزايون) ، وعند اقتراب مدرعاته من القناة ، وقعت في كمين للمشاة المصريين المسلحين بالبازوكا وأل آر. بي . جي . وانفجرت معظم الدبابات واضطرت الفلول المتبقية إلى الانسحاب في اتجاه محور الفردان شرقاً .

وفي نفس الوقت كانت القوة التي اتجهت إلى معبر الإسماعيلية تعاني من نفس المصير .

.....

وهكذا طوال اليوم الثاني من القتال ، أخذت الدبابات تتساقط ، وتحترق ورأى (أمنون) كيف أن لواء المدرع على وشك الفناء . فلم يبق من كل اللواء سوى عشرين دبابة !

موقف لواء العقيد دان :

حتى الساعة الثامنة من مساء السادس من أكتوبر ، كانت قوات العقيد دان على اتصال بأغلب حصون خط بارليف (الواقعة في القطاع الجنوبي) وذلك باستثناء حصن بور توفيق . الذي استحال مجرد الاقتراب منه ، لأن المصريين حاصروه من جميع الجهات . وتوالت استغاثات قوات الحصون ، وطلب (دان) التصديق على القيام بمحاولة إنقاذ هذه القوات ، ولم توافق القيادة ، واتصل « دان » بألبرت ، وقال له : « إما أن ندافع عن الحصون ، أو نصعد الهجوم المصري . فلا يمكن أن نقوم بالعمليتين معاً » .

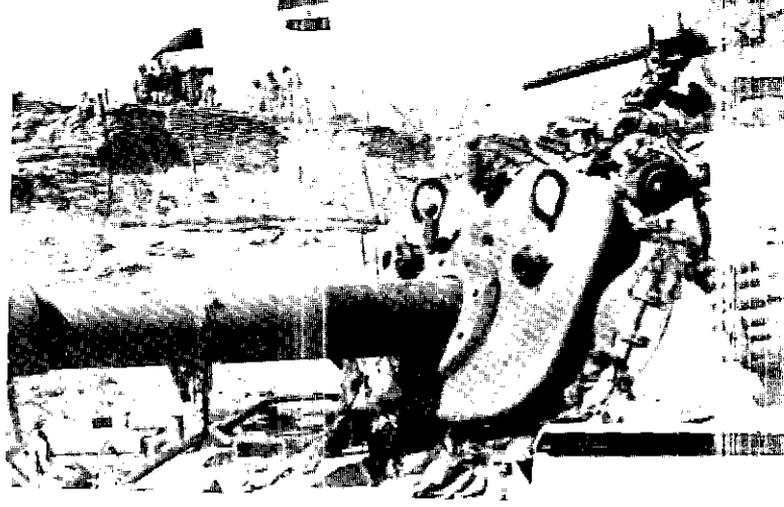
ورد عليه ألبرت بقوله : « لا خيار أمامنا إلا القيام بالعمليتين معاً ، فليس في سلطتي إصدار أوامر بإخلاء الحصون والانسحاب منها .

.....

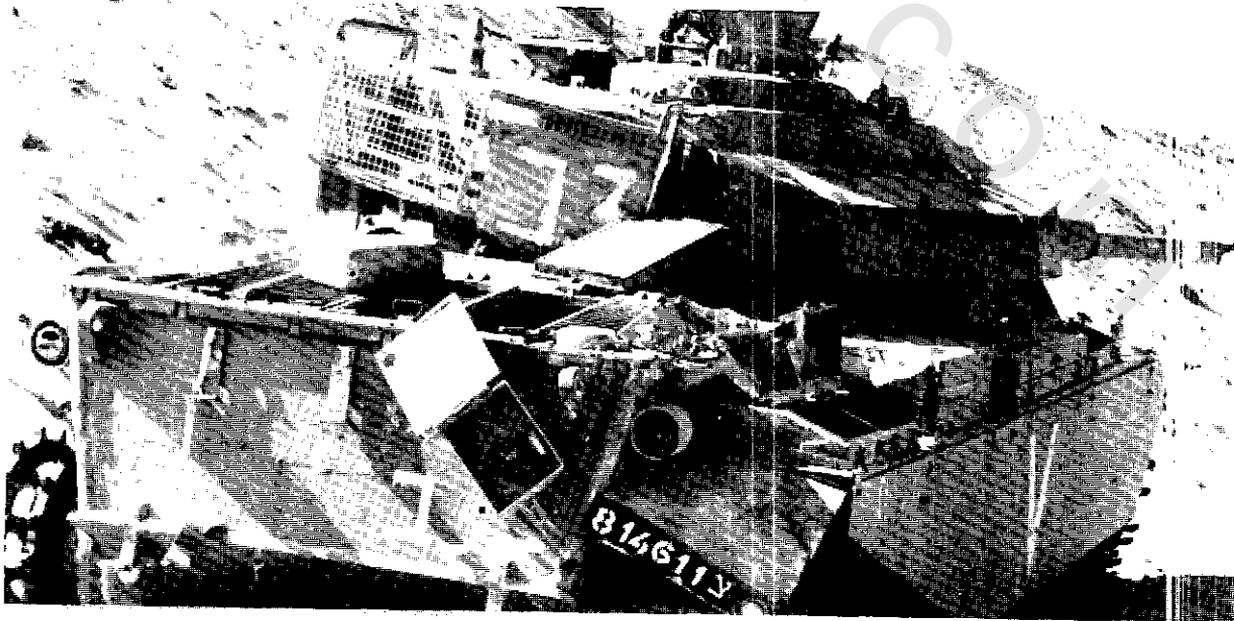
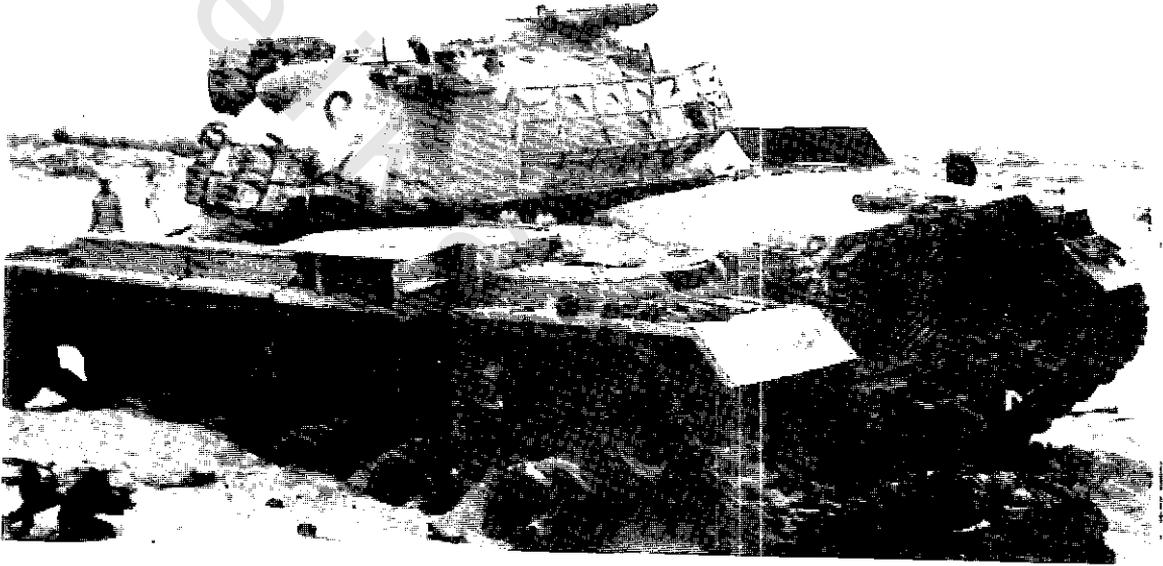
ظلت قوات « دان » تتحرك طوال الليل هنا وهناك في محاولات يائسة للاتصال بالحصون ، وكانت كل حركة في اتجاه الحصون مرتبطة بالاشتباك مع كمان المشاة المصريين بأسلحتهم المضادة للدبابات .

ازدادت الخسائر بين قوات دان التي كانت تضم في الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم نحو مائة دبابة .

الموقف النهائي للواء دان المدرع : دمر المصريون معظم دبابات اللواء فلم يبق منها - حتى الساعة الثامنة من صباح ٧ أكتوبر سوى ثلاث وعشرين دبابة فقط .



تكبدت المدرعات الإسرائيلية خسائر
فادحة على أيدي المشاة المصريين
وفي المعارك التي واجهت فيها المدرعات
والطائرات المصرية .



ما تحقق من المهمة :

فشل اللواء في تحقيق مهمته كلية . وسقط حصن « ليتوف » وحصن « يوتر » .
* تطور جديد: في التاسعة من صباح ٧ أكتوبر عبرت الوحدات الأولى من المدرعات المصرية إلى الشرق .

موقف لواء العقيد جابي :

كان لواء (جابي) طوال الأسبوع الأول من أكتوبر في حالة تأهب وفي يوم الجمعة - في الساعة العاشرة صباحاً - وصلت إليه الأوامر برفع حالة التأهب إلى الدرجة القصوى . وكان جابي يوزع قواته بأن يبقى أغلب مدرعاته ومركباته في المؤخرة ، ويترك طواقم خاصة لحراستها ، في حين يحرك قوات محدودة إلى المقدمة .
ومع أول ضوء من يوم السادس من أكتوبر ، خرج جابي مع قواد الكتائب في لوائه للاستطلاع وتحديد مناطق التحرك في إطار خطة « برج الحمام » وقد كان جزء من اللواء في وضع الحركة عند ما بدأ الهجوم المصري في الساعة الثانية ظهراً ، وصدرت الأوامر إليه بالتحرك فوراً إلى « طاسة » ثم إلى « بالوظة » .
واستطاع « جابي » أن يضع صورة للموقف من خلال الاستماع إلى شبكات اللاسلكي وكانت هذه الصورة قاتمة للغاية .
لقد سمع المقدم « بيومتوف » الذي كان يقاتل بكتيبته في القطاع الشمالي يصرخ في اللاسلكي قائلاً في توتر وانزعاج « لقد دمرت الكتيبة كلها تقريباً . . . وإن فلوها القليلة في حاجة إلى العون والمساعدة » .
. واتجه (جابي) شمالاً إلى حصن « مفريكيت » واتصل بيومتوف الذي كانت حكايته التفصيلية عن الموقف أسوأ مما سمع في البداية بكثير .
.

محاولات أخرى :

وكان العميد « كلمان ماجن » يستعد لاستلام قيادة مجموعة عمليات سيناء وقد كلف « جابي » بقيادة القطاع الواقع شمال القنطرة ، وأمره بتوزيع القوة المتبقية معه ،

وكان قوامها كتيبة واحدة على قسمين :

الأول : سريتان تواصلان التحرك إلى حصن (مفريكيث) .

الثاني : سرية مدعمة تتجه إلى شرق القنطرة لمحاولة الاتصال بميلانو .

وقد عين «جاي» المقدم إيمير مسئولاً عن السريتين اللتين اتجهتا إلى (مفريكيث)

وتولى هو قيادة المجموعة الثانية التي انضمت إليه فلول كتيبة (يومتوف) .

.....

وعندما وصل المقدم «إيمير» إلى مفريكيث ، وزع قواته على جنوب الحصن بنحو كيلومتر واحد ، وعلى شمال الحصن بنحو كيلومترين ، والباقي في المناطق المحيطة بالحصن . وما إن أخذت مدرعات إيمير أماكها حتى انهمرت عليها قذائف الـ «آر. بي . جي» المصرية ، والصواريخ المضادة للدبابات التي أطلقت من فوق السواتر الرملية ، التي على الضفة الغربية للقناة . ووقعت خسائر أربكت القوات حتى إن دبابة المقدم «إيمير» نفسه دخلت في حقول الألغام التي زرعها طلائع العبور المصري ، ووقعت صيداً لقوات المشاة المصريين ، لكنه كان قد قفز منها . . قبل أن تفجر .

» وانسحبت الدبابات وفوقها جثث الجنود :

في فجر يوم الأحد ، أصدر العميد «ماجن» أوامره لجاي بسحب هذه القوة التي تزايدت الإصابات فيها ، حتى وصلت قوتها إلى ثلث ما كانت عليه قبل الهجوم ، أما اللواء كله فلم يتبق منه سوى ٢٠ دبابة . وانسحب إيمير وقد ربط جثث قتلاه الكثيرة فوق الدبابات الباقية ، وقد زاد عدد القتلى حين تعرضت الدبابات في انسحابها أيضاً لنيران مخيفة .

جميع قادة الدبابات من قوات جاي قتلوا أو أصيبوا !!

في نفس الوقت كانت بقية اللواء بقيادة (جاي) تتحرك نحو القنطرة وبمجرد الاقتراب من مدينة رفائم أطلقت عليهم نيران قوية ، وأصيب عدة دبابات في الطريق . واقتربت القوة من المنطقة السكنية ، وازداد إطلاق النار ، وسارت الدبابات في طابورين ، وأسرعت السير عندما انهالت عليها القذائف المصرية من النوافذ تعثرت القوة المدرعة .

... أصيب أو قتل جميع القادة الذين كانوا يقفون في أبراج الدبابات من نيران الرشاشات والأسلحة الخفيفة . وعين جابي قواداً بدلاً منهم
... تعطلت شبكة اللاسلكى .

... زادت الخسائر . . دمر المصريون أكثر من ثلثي الدبابات والمصفحات كان اتجاه القوة الآن إلى حصن ميلانو .

... أصيبت دبابة يومتوف ، وقتل ضابط عمليات اللواء قبل القنطرة . . جمع المقدم « إيمير » فلول كتيبته (عشرة دبابات فقط وبعضها مصاب) جمعها على الطريق المتاخم للمستنقعات في الجنوب . اشتبك المصريون مع هذه القوة المتبقية . . حاولت دبابتان الفرار فسقطتا في المستنقعات .

خسائر . . خسائر :

خلال ساعات الصباح (في يوم ٧ أكتوبر) صدرت الأوامر إلى جابي بالانسحاب إلى الجنوب لحشد من تبقى من فلول لوائه على الطريق الرئيسي شرق حصن (مفريكيت) ، وانسحب جابي ، والتقى هناك بفلول كتيبة « إيمير » .
حصر جابي خسائره الإجمالية . . واتضح له أنه فقد أكثر من ثلاثة أرباع اللواء دون أن تتحقق المهمة .

« مفاجأة مذهلة في البحر الأحمر :

في نفس هذا اليوم ٧ - ١٠ - ٧٣ ، كان الخبر المفاجئ البالغ الأهمية هو ذلك الخبر الذى وصل من جنوب البحر الأحمر ، فمن على ظهر ناقلة بترول كاملة الحمولة (كانت تحمل علماً أجنبياً ، وتشق طريقها إلى ميناء إيلات) - لاحظ الضابط الأول ذيل قذيفة طوربيد تنطلق بالقرب من سفينته . ثم انطلق طوربيد آخر .

ولم يعد هناك شك في أن مصدر هذه الطوربيدات كان غواصة مصرية .

« كان معنى هذا الهجوم أن البحرية المصرية قد فرضت حصاراً بحرياً على إسرائيل أى أن الطريق البحرى الجنوبى أصبح مغلقاً أمام الحركة الملاحية الإسرائيلية .

... ولقد كان إغلاق مضائق شرم الشيخ في عام ١٩٦٧ ، إحدى مقدمات

حرب يونيو ١٩٦٧ . والآن قام المصريون بفرض الحصار في الثغر الجنوبى للبحر الأحمر

عند مضيق باب المندب . وأصبح محتماً توقف السفن التجارية خاصة وأن الأسطول الحربى الإسرائيلى فى هذه الساحة لا يستطيع فك هذا الحصار .

وهكذا أغلق طريق النفط المؤدى إلى إيلات ، وليس من المناسب الآن أيضاً المخاطرة فى نقل المحروقات إلى إيلات من آبار أبورديس فى سيناء . . . وأصبح على إسرائيل أن تعتمد على خزانات الطوارئ الموجودة لديها ، وأن تأمر فى أثناء ذلك الناقلات القادمة من الشرق بالدوران حول رأس الرجاء الصالح متجهة إلى جبل طارق . ، ومن هناك إلى البحر الأبيض المتوسط .

وقد أمر وزير الدفاع بعدم السماح بنشر أخبار الحصار فى باب المندب بشكل قاطع .

ومن جهة أخرى كان الموقف فى سيناء مقلقاً إلى حد كبير . وقد أبلغ « ألبرت » قيادة الأركان بأنه دخل معارك اليوم الأول بنحو ٣٠٠ دبابة تبقى منها ربعها فقط فى اليوم التالى وهذه الدبابات الباقية مبعثرة كلها على طول الجبهة .

• ازداد الضغط المصرى فى القطاع الجنوبى وبدأ الجنود فى هذا القطاع يتساقطون تحت الضغط المصرى .

• طلب ألبرت من جونين مساعدة جوية بأسرع ما يمكن ، وأبلغه جونين بأنها ستصل بعد ٢٠ دقيقة .
ورد عليه ألبرت : « لم يبق أمامى عشرون دقيقة !! » .

• جاء الرد على جونين بأن خطورة الموقف على الجبهة السورية لا تسمح بإرسال كل المساعدات الجوية التى طلبها .
وصرح جونين قائلاً : « إن لم تحضروا فلن أستطيع صد الهجوم » .
وتم التصديق على إخلاء الحصون والانسحاب منها .

فى ثالث أيام القتال أحدث تعديل فى القيادات ، وعين العميد إبراهيم آدان

الشهير باسم (برن) قائداً للقطاع الشمالى ، وعين العميد أرثيل شارون (الشهير بإريك) قائداً للقطاع الأوسط ، وظل القطاع الجنوبي تحت إشراف (ألبرت) .

- قتلى وجرحى وتشنجات عصبية :

صدرت الأوامر من القيادة بالانسحاب من الحصون ، بعد أن سقط عدد كبير منها ، وبعد أن راحت حالة الباقي تسوء لحظة بعد لحظة وبمجرد صدور الأمر سارع رجال حصن « دروة » الواقع جنوب حصن « لحصنايت » بالفرار .

أما حصن « كتوفا » فقد قتل قائده ، وسقط ستة من أفرادة جرحى ، اثنان منهم كانت إصابتهما خطيرة ، ومع استحالة الهروب من الحصن ، لاستمرار القتال ازدادت الخسائر ، وأصيب بعض جنود الحصن بتشنجات عصبية دفعت اثنين منهم إلى سرقة إحدى العربات المجتررة والهروب بها قبل الفلول الباقية من رفاقهم فى الحصن .

.....

١ - حصن أوركل « رجال أبو ديرهم يرتعدون » :

كان حصن « أوركل » الواقع فى الطرف الشمالى لشاطئ القناة يتكون من ثلاث مجموعات دفاعية وهى أوركل « ١ » ، وأوركل « ٢ » وأوركل « ٣ » وكان قائد قوات الموقع هو « سوميخ » وكان يعاونه الملازم أول دافيد أبو ديرهم والملازم أودسيبرج «

قتل (سوميخ) فى المعارك الأولى ، وحل محله « أبو ديرهم » الذى أمر الرجال بالتزول إلى المخابئ بمجرد بدء القصف المدفعى ، وغارات طائرات الميج ١٧ . . وبعد هدوء القصف أمر أبو ديرهم رجاله بالصعود إلى مواقعهم ولكنهم كانوا خائفين ويرتعدون من هول الموقف . ورفضوا الخروج من مخابثهم ونزل إليهم بنفسه ، وبدأ يسحبهم بالقوة واحداً بعد الآخر .

٢ - الهروب . . وحالة الهستيريا :

لم يصمد الجنود للقتال الذى تجدد ، وازدادت حالة الحصن خطورة ، فتركوا مواقعهم وجروا إلى إحدى الدشم ، وتجمعوا فيها ، وهم فى حالة هستيريا عنيفة . حتى إن

أبو ديرهم قال في اتصال لاسلكى إن حالة قواته في الحصن تجعلهم لا يصلحون حتى لكى يكونوا خفراً . .

٣ - الميراج تنهاوى :

أطل أبو ديرهم من الدشمة حينما أبلغ بأن سلاح الجو الإسرائيلى جاء لنجدة الحصن ، ولكنه أصيب بصدمة أخرى لقد شاهد طائرات الميراج وهى تنهاوى منفجرة فى المستنقعات المجاورة بمجرد أن انطلقت نحوها الصواريخ المصرية .

٤ - العلم الأبيض . . والوقوع فى الأسر :

رأى أبو ديرهم الموقع المجاور (أوركل ٣) وقد رفع رجاله علماً أبيض ، طالبين تسليم أنفسهم ، وحاول هو الفرار ومن تبقى معه من رجاله الذين زادت حالتهم سوءاً - وقد حدد خطة الفرار بالاندفاع شرقاً أو اللجوء إلى حصن «لحصنات» . . ولكنه وجد نفسه مضطراً أن يسلم نفسه هو وقلوب قوته . . للجنود المصريين الذين ساقوهم فى طابور طويل مع أسرى آخرين من قواتنا .

* حصن بودابست : (إننى متنازل عن المساعدة الجوية !!) :

اتصل قائد حصن بودابست الذى يقع على بعد ١٢ كم شرق بورقواد بقيادة الجبهة وقال لضابط العمليات : «إننى متنازل عن المساعدة الجوية . . إن طائراتنا الفانتوم والميراج التى جاءت لنجدة الحصن تتساقط أمامنا فوق بورسعيد وبورقواد . . إنها تتساقط كالعصافير . إننا جميعاً نرتجف هنا . إننى متنازل عن المساعدة الجوية فالحاسرات فى الطائرات فادحة . . إن جميع الطائرات التى تصل تسقط بالصواريخ المصرية . . تسقط كلها . . كلها . . .» .

وحين عادت محاولة نجدة الحصن بالمدركات تكسرت جميع الهجمات المضادة دون أن تكسر حصار المصريين للحصن الكبير . وتشتت المدركات أمام صلابة المقاتلين المصريين .

حصن لسان بورتوفيق :

. . سقط هذا الحصن هو الآخر . لكن سقوطه كان مدوياً . فُلقد أحضر المصريون رجال الصحافة والتلفزيون والإذاعة المصريين والأجانب ليشهدوا استسلام الحصن . . .
وركزت الكاميرات على شلومو أردنيست قائد الموقع الذي حل محل القائد الأصلي بعد مقتله - وهو ينزل بيده العلم الإسرائيلي ويطبقه ويسلمه لقائد القوة المصرية ثم يؤدي التحية العسكرية للعلم المصرى الذى ارتفع فوق الحصن .

حصن بوركان :

سقط هذا الحصن أيضاً وقد كان يقع أمام الإسماعيلية مباشرة .

حصن ميلانو : هربوا من رصاص المصريين . . فقتلهم رصاص رفاقهم :

كان ضباط وجنود هذا الحصن ، قد انسحبوا منذ بداية المعركة وحينما اكتشفوا وجود كمائن من المشاة المصريين فى طريقهم اختبأوا بين الأعشاب البرية فى منطقة المستنقعات المألحة .

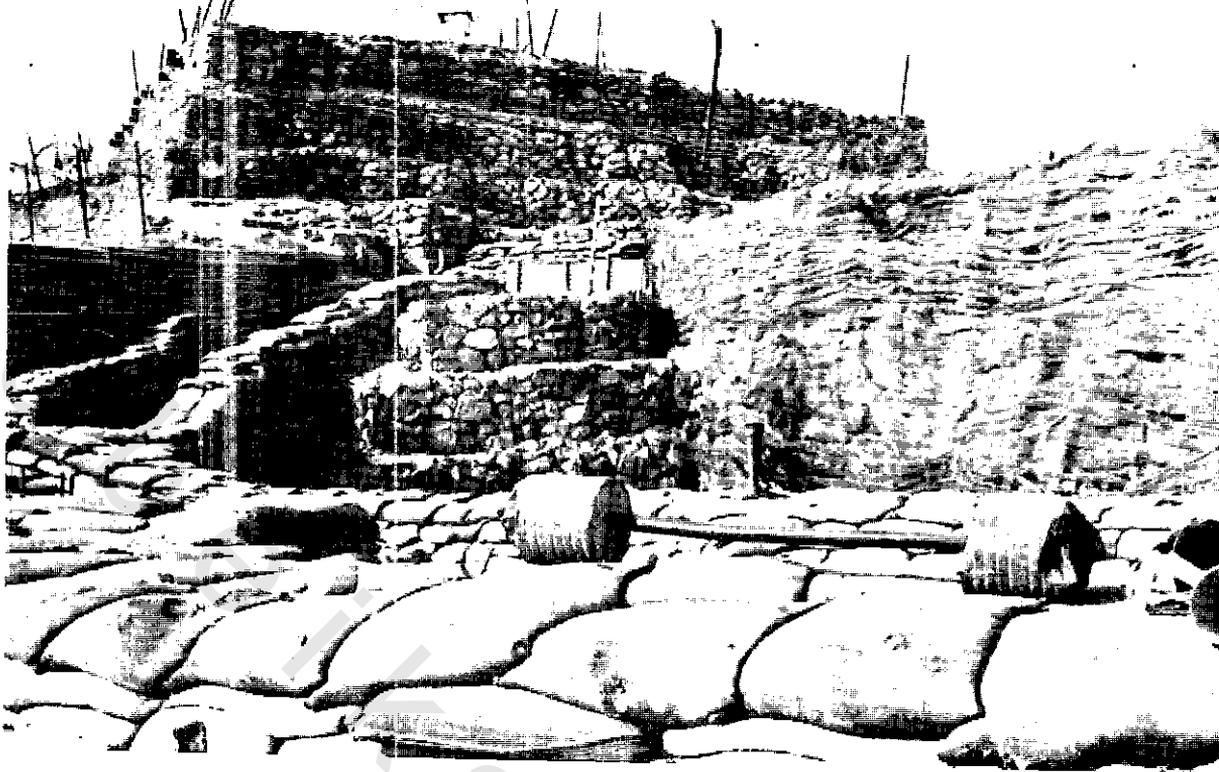
وبينما كانت كتيبة مدرعات إسرائيلية تحاول أن تهرب من كمين مصرى ، قامت بحصد هذه المنطقة العشبية بالنيران على افتراض وجود كمين آخر من قوات الكوماندوز المصريين . . . وهكذا فإن هذه القوة التى كانت قد نجحت فى الفرار من جهنم المصرية وقعت فى جهنم إسرائيلية .

.....

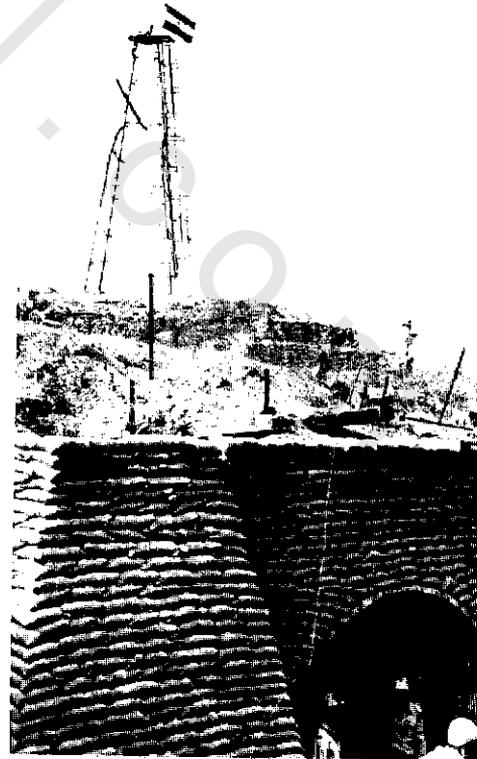
خلافات بين الجنرالات :

تفجرت يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ خلافات حادة بين قادة الجبهة الجنوبية ، فاصطدم شارون بجونين ، حين اقترح شارون القيام بهجوم مضاد شامل مساء اليوم .
ورفض جونين لأن القوات المتبقية لديه لا تسمح بذلك . . وكانت هذه بداية الصدامات بينهما .

.....



كانت المواقع الحصينة لخط بارليف مسرحاً لمعارك ضخمة وبرغم
مناعة وقوة هذه المواقع فقد أسقطها المصريون في ساعات



ديان ينهار :

وصل ديان في الحادية عشرة وأربعين دقيقة من صباح يوم ٩/١٠/١٩٧٣ إلى موقع القيادة الجنوبية ، وطلب تقريراً عن الوضع ، وبمجرد أن اطلع عليه ، قال لمن حوله « . . هذه حرب عنيفة . . يجب أن ننسحب إلى الجبال » ، ثم أشار على الخريطة إلى خط بارليف ، وقال رداً على سؤال أحد الضباط : « اتركوا الحصون . . إن كل من يستطيع أن ينقذ نفسه عليه الهرب . . أما الجرحى فليقعوا في الأسر . »

كان ديان مهتماً لدرجة الانهيار وحين عاد من سيناء إلى القيادة العامة اختلف مع أليعازر ، وقام الأخير بالاتجاه إلى سيناء ومعه إسحاق رابين ليدرس هو الموقف على الطبيعة ، ويتخذ القرارات التي يراها مناسبة .

* * *

. . تلك صورة لسير العمليات القتالية كما سجلتها غرفة العمليات الإسرائيلية وكما نقلها وأوضح تفاصيلها أكثر من معلق وخبير إسرائيلي « مطلع » ووثيق الصلة بالقيادة الإسرائيلية . . .

وحيث إن أوراق دافيد أليعازر التالية بعد عدة صفحات تكمل بقية أيام الحرب ، كما أنها قد سجلت أيام ما قبل الحرب فإن عملية السرد للوقائع التي جرت في العمليات القتالية على الجبهة المصرية تكون بهذه الصورة مكتملة تماماً . كما أننا سوف نستعرض ورقة من مذكرات جولدا مائير وورقة من أجندة موشيه ديان ثم بعض الصور الحية من المعارك . . كما جاءت على السنة الضباط والجنود الإسرائيليين وكما سجلها الكتاب الإسرائيليون .

ورقة من مذكرات جولدا مائير :

لا شيء أقسى على نفسي من كتابة ما حدث في أكتوبر ، فلم يكن ذلك حدثاً عسكرياً رهيباً فقط ، وإنما كان مأساة عاشت وسوف تعيش معي حتى الموت . فلقد وجدت نفسي فجأة أمام أعظم تهديد تعرضت له إسرائيل منذ إنشائها .

ولم تكن الصدمة فقط في الطريقة التي كانوا يحاربوننا بها . . ولكن أيضاً لأن عدداً من المعتقدات الأساسية التي آمنا بها قد انهارت أمامنا . فقد آمنا باستحالة

وقوع حرب في شهر أكتوبر . . . وأما بأننا سوف نتلقى إنذاراً مبكراً لكل تحركات المصريين والسوريين قبل نشوب الحرب ، ثم إيماننا المطلق بقدرتنا التامة على منع المصريين من عبور قناة السويس . . . إنني أستعيد الآن هذه الأيام . . . إنه شيء لا يمكن وصفه
يكني أن أقول إنني لم أستطع البكاء ، وكنت أمشي معظم الوقت في مكنتي وأحياناً أذهب إلى غرفة العمليات . . . وكانت هناك اجتماعات متواصلة وتليفونات من أمريكا وأخبار مروعة من الجبهة . . . وخسائرتنا تمزق قلبي .

وأذكر أنه في يوم الأحد عاد ديان من الجبهة المصرية ، وطلب مقابلي على الفور وأخبرني أن الموقف سيئ جداً وأنه لا بد من اتخاذ موقف الدفاع وأن تنسحب القوات الإسرائيلية إلى خط دفاع جديد واستمعت إليه في فزع .
لقد كان المصريون قد عبروا القناة كما أن السوريين تعمقوا في الجولان وخسائرتنا مروعة .

وتساءلت : هل من الضروري أن أطلع الشعب اليهودي على ما حدث ويحدث في كل مكان ؟ ! ثم قررت أن أتريث ، وبعد لحظات عاد ديان وأقفل الباب وراءه وقال لي :

« هل تريدني مني أن أستقيل ؟ إنني على استعداد لأن أفعل ذلك فوراً . . . وما لم تكن لك ثقة بي فإنني سوف أكون عاجزاً عن فعل أي شيء !
وقلت له : « يجب أن تبقى في منصبك » ، ثم أرسلت بارليف إلى الجولان ، وقمت بالاتصال على الفور بأمريكا لأطلب المساعدة » .

* * *

وريات من أجنحة موشيه ديان :

« أقول بوضوح إننا لا نملك الآن إمكانية رد المصريين إلى ما وراء القناة . . . لقد أضعف الهجوم المصري قواتنا بصورة متزايدة . . . وينبغي علينا أن نخوض الحرب ضد الجندي المصري والسلاح الذي يملكه . . .

إن أخطر ما نواجهه الآن في سيناء هم المشاة المصريون . . . إنهم مزودون بصواريخ صغيرة يختفون بها عن الأنظار ، فإذا ما تقدمت الدبابات الإسرائيلية أطلقوا عليها صواريخهم فيصيبونها وتصبح عاجزة تماماً .

وثمة مشكلة أخرى تواجه طيراننا فهو عاجز عن اختراق شبكات الصواريخ ، المضادة في مصر وسوريا دون أن يصاب بمخاطر فادحة .
لقد أخذنا كافة التحصينات على طول القناة ، وتم ذلك بنظام في بعض الأحيان ، وفي أحيان أخرى كان الإخلاء بغير نظام .
وفي الجولان لست أعرف ما إذا كنا سنستطيع تحييد سوريا أم لا . . إن ذلك - يكلفنا ثمناً باهظاً . . فتدمير دبابة ليس كسحق زهرة .

.

ولقد استخدم السوريون خلال الأيام الثلاثة الماضية صواريخ أرض أرض من طراز « فروج » وأطلقوا منها ٦ صواريخ استهدفت العمق الإسرائيلي في الجليل وطبرية . إن هذه الصواريخ ذات مدى يبلغ (٧٠) كيلومتراً ، ولهذا فهي خطيرة جداً لأنها قادرة على إصابة الناصرة ، ومجدل هايك وكريات شمونة وطبرية .
إن نجاح السوريين في اجتياح الجولان سيضع شمال إسرائيل تحت رحمة صواريخهم ومدافعهم . . ولهذا لا بد من قصف دمشق والمدن الساحلية والأهداف الصناعية في سوريا . . وسنعمل كل ما في وسعنا لتتفرغ للجبهة المصرية إذ أن الوضع فيها خطير .
. . وثمة دالتان هامتان يمكن استيضاحهما من سير القتال في الأيام الماضية :
أولاً : أدرك العالم كله أننا لسنا بأكثر قوة من العرب ، وأن الهالة التي كانت تقول إنه إذا قام العرب بأي هجوم فإن الإسرائيليين سوف يحطمونهم . . لم يعد لها وجود . . وسوف يتحتم أن نقول الحقيقة للشعب . . سيتحتم أن نعرف بالحقيقة .
وإذا تعذر علينا دفع المصريين إلى الخلف فإنهم سوف يواصلون حشد القوات ، وإتني لأخشى ، إذا ما انتقلوا إلى الهجوم أن نضطر إلى الانسحاب .
إنتي لا أستطيع أن أضمن ما سوف يحدث . . ومن المحتمل كثيراً أن نفكر في الانسحاب إلى خطوط أخرى . .

إننا لا نستطيع أن نصد المصريين أو نقهرهم في الوقت الراهن .
ثانياً : إننا ندفع كل يوم الضريبة في صورة معدات وقوات وطائرات ودبابات . . لقد دمرت المئات من مدرعاتنا في المعركة . ويوجد منها أعداد لا يمكن الوصول إليها لإصلاحها لأنها بين خطوط العدو . وسوف نحتاج إلى طائرات جديدة وإلى دبابات وطيارين ومشاة ، وعلينا ألا نعي فقط الاحتياطي . . ولكن ربما المتقدمين في السن

الذين أعفوا من الخدمة في الاحتياطي !! إننا محتاجون للجميع .
إن أملي ألا يدخل الأردنيون والعراقيون إلى المعركة . أرجو ألا تفتح الجبهة الشرقية .
إنني أعتقد أن العالم العربي قد استيقظ على هذا المشهد وهو أننا غير قادرين على
دفع المصريين والسوريين إلى الخلف » .

« من حديث مؤسسه ديان في المؤتمر الصحفي الذي
عقدته للمراسلين الإسرائيليين في ١٠/٩/١٩٧٣ -
ومنعت الرقابة نشره حتى مارس ١٩٧٤ بعد أن حذفت
منه أجزاء تكشف انهياره وخسائر جيش الدفاع
الإسرائيلي . »

الورقة التي وضعها طرفان أكتوبر في ملف ديان :

يقول مؤلفو كتاب « المحدال » :

استمر ديان في التخبط ، حتى إنه لم يستطع - مثلاً أن يصل إلى قرار حاسم عندما
ثار السؤال : ما العمل بالنسبة إلى تحصين « رصيف الميناء » (موقع لسان بور توفيق)
جنوبي القناة . لقد كان في هذا التحصين عدد كبير من جنود جيش الدفاع الجرحى
والمعرضين للخطر - ولكن ديان ترك القرار لتقدير قائد التحصين الملازم شلومو أردينست
البالغ من العمر ٢٣ عاماً . والذي اختار الاستسلام مع رجاله .
وقد علق أحد المقاتلين على ذلك « أي وزير دفاع هذا الذي يترك قراراً مصيرياً
إلى هذا الحد بين يدي قائد صغير عمره ٢٣ عاماً وذلك حتى لا يتحمل هو مسؤولية
ما سيحدث ؟

لقد شكلت حرب الغفران منذ أيامها الأولى صدمة عميقة لوزير الدفاع ، ويبدو
أنه لم ينجح حتى نهايتها في التغلب على الصدمة التي أصابته في بدايتها ، وقد لوحظ هذا
الأمر في كل المناسبات التي ظهر فيها خلال أيام الحرب في مقابلاته مع وزراء وأعضاء
كنيست ، وصحفيين ، وبصورة أوضح مع قادة الجيش .
لقد كان هذا ديان جديداً لم يعرفه الجنود أبداً من قبل ، ولم يكن هذا هو قائد
الأيام الخوالي الشهيرة الذي كان قدومه إليهم يشع حوله جواً من الشجاعة والكبرياء ،
والثقة بالنفس .

لقد عاد ديان في حرب يوم الغفران إلى صورة الإنسان الفاني العادي ، واصطدم الرجل الذي كانت له شعبية في الشرق الأوسط بأكمله ، بعد الحرب بالظاهرة المذهلة المتمثلة في فقدانه المطلق لمكانته . لقد تبخرت الأسطورة !!

لقد كانت استطلاعات الرأي العام التي أجريت في يونيو ١٩٧٠ تدل على أن ديان هو القائد الأكثر شعبية في نظر ٩١٪ من سكان إسرائيل - وفي يناير ١٩٧٢ ارتفعت نسبة شعبيته إلى ٩٥٪ - وفي مايو ١٩٧٣ حصل على المركز الأول بين المرشحين لرئاسة الحكومة بعد جولدا مائير .

أما بعد الحرب . في نوفمبر ١٩٧٣ فإنه لم يحصل إلا على ٢٪ من الأصوات في استفتاء أجرى عن الشخصية التي تصلح لمنصب رئيس الحكومة (هكذا من ٩٥٪ إلى ٢٪) . . ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد . بل إن الصحف والجماهير أخذت تطالب باستقالته من منصب وزير الدفاع . وقد حدث ذلك بالفعل .

وهكذا وضعت حرب أكتوبر مستقبل ديان السياسي أمام علامة استفهام كبيرة .

* * *



من أوراق دايفد أليغازر رئيس هيئة الأركان لجيش الدفاع الإسرائيلي

« أراهما يقتربان من بعيد بين كثبان الرمال . .
جنرالان صغيران يدخلان خيمة كبيرة
وحرس شرف أزرق يحييهما
وهما يبتسمان . .

.....
وأنا أشفق على « أليغازر »
أشفق عليه

عندما أرى أن عظام « الجسمى » سليمة
وإن لم أخطئ فهو أيضاً يبدو مرفوع الرأس
وهو أيضاً يبدو أحسن هنداماً
من ضابطنا أليغازر الذى يبدو منهكاً
. . يبدو مطأطئ الرأس

.....
وأنا أصلى لكى لا يتوقفا ، ولكى يدخلوا الخيمة المزدهمة
وحتى لا أصاب بخيبة أمل فى آخر لحظة

.....
ولكن ما باله - بحق الشيطان - ما باله أليغازر لا يخطو زاهياً
ما باله لا يتبختر - كما قال مولير - كالمملوك على المسرح » .

* * *

من قصيدة للكاتب والشاعر الإسرائيلي يهوناتان جيفن . . حين انفعل بمحادثات
فصل القوات فى خيمة الأمم المتحدة ، وتصور هذه الخيمة كالألة التى يدخل الجنرالات
من أحد طرفيها فيخرج « سلام » من الطرف الآخر ، ولكن - كما تقول القصيدة -

يبدو أن انفعال الشاعر الإسرائيلي بصورة رئيس أركان جيش الدفاع دافيد أليعازر وهو منك مطأطي الرأس وقد فقد خطواته المتبختره الزاهية - كان الانفعال الأقوى والأكثر عمقاً .

* * *

أشرت إلى أن الفصل الخاص بأوراق جيش الدفاع الإسرائيلي يتضمن جزءاً من أوراق دافيد أليعازر رئيس أركان الجيش الإسرائيلي بعد « أوراق » قد تبدو متناثرة لأنها تأتي على السنة عدد كبير من قادة وضباط وجنود وكتاب إسرائيليين وإن كانت في الحقيقة متصلة فيما بينها إذ يربطها وينتظمها جميعاً تطور سير العمليات القتالية . وخاصة تلك العمليات التي تعتبر الملامح الأساسية البارزة لحرب أوطوفان أكتوبر ١٩٧٣ .

ولعل اختياري لأوراق دافيد أليعازر بالذات - حسب ما سجله هو ، وما ذكره أقرب المقربين إليه - يرجع إلى أن موقفه كرئيس للأركان يجعل من أوراقه ملفاً خاصاً لجيش الدفاع الإسرائيلي بشكل عام . ومن ثم فإن القسمين اللذين يتكون منهما الفصل الأساسي - أوراق جيش الدفاع الإسرائيلي - يكمل كل منهما الآخر لتكون الصورة - في النهاية - دقيقة ومفصلة وواضحة من وجهة النظر الإسرائيلية .

وإنني حين أقول إن (أوراق دافيد أليعازر) تكاد تكون أوراق الجيش الإسرائيلي فإنني أقول أيضاً . . إنها تعتبر في نفس الوقت أوراق موشيه ديان ، وحاييم بارليف ، ورفائيل إيتان ويتسحاق حوفي ، وإلياهو زاعيرا وإسرائيل طال وإريك شارون وشموئيل جونين ، وبنيامين بيليد . . بل إنها أوراق جميع الجنرالات الإسرائيليين - « المذهبين » . . كما أنها أوراق جولدا مائير ووزرائها .

ولعل المغزى الهام لاختيار أوراق واحد من ألمع وأكبر جنرالات إسرائيل يرتبط بوحدة من أهم نتائج حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . وهي سقوط الهالة التي أحاطت بهؤلاء الجنرالات . . وكشف زيف الصفات الأسطورية التي رسمتها الدعاية الصهيونية لهم . . فإذا بهم يسرون « منهكين مطأطي الرؤوس . . لا تتبختر خطواتهم كملوك المسرح . . فقدوا لمعانهم وزهوم » . . بينما - على الطرف الآخر - يقف جنرالات مصر . . « مرفوعي الرؤوس . . ثابتي الخطوات ، سليمة عظامهم » (يعني لم تتحطم عظامهم أو تدق لحومهم كما وعد أليعازر نفسه في ثالث أيام الحرب . .) .

لقد كان سقوط هؤلاء القادة والجنرالات الإسرائيليين رمزاً صارخاً لسقوط أسطورة

الجيش الإسرائيلي الذي قيل إنه لا يقهر .
تماماً . . . تماماً مثلما كان سقوط خط بارليف . يعنى سقوط رمز عالمي لقوة إسرائيل
ومنعها كما قال أكثر من كاتب إسرائيلي .

وحتى يتضح الحجم الهائل لسقوط جنرالات إسرائيل بما له من دلالة تاريخية يمكن
أن نلقى نظرة سريعة على صورتهم السابقة (قبل تلك الصورة التي رسمها شاعرهم « يهوناتان
جيفن » لدافيد أليعازر رمزاً لهم جميعاً) .
يقول مؤلفو كتاب المحdal :

(كان كبار قادة الجيش الإسرائيلي - بعد عام ١٩٦٧ - يتقلون من موكب نصر
إلى آخر ومن مأدبة نصر إلى أخرى ، وتم تخليدهم جميعاً بمئات ألبومات النصر التي
غمرت العالم كله .

ونزل كبار القادة والجنرالات من الصحافة وشاشات التلفزيون إلى صفحات
الألبومات ، فقد أصبحت ظاهرة الألبومات مثلاً يحتذى به . لقد أصدرها الناشر
الخصوصيون في الأسواق ، وتخطفها الجميع كالكعك الطازج ، أما القيادات والوحدات
فقد أصدرت ألبومات خاصة بها ، ونشرت في أحد هذه الألبومات صورة أحد القادة
لا أقل من ٢٠ مرة .

وقد درج قول على أحد القادة أنه (مسفوع من وميض أضواء آلات التصوير
المتوهجة) . وقالوا عن آخر « إنه لا ينبس بينت شفة إلا إذا وضعوا أمامه ميكرفون » .
. . . تلك كانت صورة قادة وجنرالات إسرائيل . . داخل إسرائيل وخارجها ،
بل إنهم في الخارج قالوا إن على الأكاديميات العسكرية العالمية أن تدرس نظريات
وأساليب هؤلاء الجنرالات العظام في إسرائيل .

وتشدني المفارقة الهائلة . لأجد نفسي وأنا أشير مرة أخرى إلى الصورة التي رسمها
الشاعر الإسرائيلي لرئيس هيئة أركان جيش الدفاع وهو منك ، مطأطي الرأس ، فقدت
خطواته تبخترها وزهوها . .

بل إنني أشير على عجل إلى السقوط المدوي لمعشوق إسرائيل الجنرال موشيه ديان
الذي اشترك ابنه في مظاهرات ضده تصيح في وجهه « أنت وزير العار » . وطار بعد
ذلك كرسي الوزارة من تحته بعد أن كان يحلم قبل أيام من حرب أكتوبر بكرسي رئاسة

الوزارة نفسها . وتتابع من بعده سقوط معظم الجزرالات الذهيين .
 . ترى هل أوضحت هدى من تخصيص قسم مستقل من ملفات جيش الدفاع
الإسرائيلي لأوراق واحد من كبار الجزرالات الإسرائيليين . . دافيد أيعازر .
أرجو ذلك . .

ثم أدعوك (أخى القارئ) إلى وقفة سريعة نتعرف من خلالها على صاحب الأوراق
القادمة . . منذ هاجر إلى إسرائيل من يوغوسلافيا . . إلى أن تقلد أخطر منصب فى جيش
الدفاع الإسرائيلي .

من هو دافيد أيعازر ؟

يقول مؤلفوكتاب (يوم كيور) من محررى الصنداى تايمز إن حياة دافيد أيعازر
تكاد تغطى قصة الجيش الإسرائيلي .

فما هى أبرز العلامات فى حياة رئيس الأركان الإسرائيلي السابق ؟

الاسم : دافيد أيعازر
اسم الشهرة : دادو
تاريخ الميلاد : عام ١٩٢٥
جهة الميلاد : مدينة سيرايفويوغوسلافيا . حيث كان أبوه ضابطاً فى الجيش اليوغوسلافى ،
وما زال يعيش هناك .

« دادو » فى إسرائيل :

فى عام ١٩٤٠ وقبل أن يتخطى عامه الخامس عشر هاجر دادو (دافيد أيعازر)
إلى فلسطين حيث لحق بصديق الطفولة « حاييم بارليف » الذى وصل من يوغوسلافيا إلى
فلسطين فى العام السابق فقط .

وقد ذهب دادو إلى إحدى الكيبوتسات حيث التقى بعد ذلك بزوجة المستقبل .
لكن خط حياته العملية تحدد فى عام ١٩٤٦ ، عند ما التحق بمنظمة « البالماخ » وهى
القوة الضاربة للمليشيا اليهودية غير الشرعية : « الهاجاناه » التى أعلنت ثورتها ضد الحكم
البريطانى ، وقادت حرباً وحشية مرعبة ضد العرب الفلسطينيين .

وبمجرد انسحاب القوات البريطانية . . . وفي المعركة الشاملة التي أعقبت ذلك الانسحاب أصبحت البالمخ بعد أن تم تنظيمها « الذراع الإرهابية للقوات اليهودية » . وفي محاولة لتخليص المدافعين عن الجزء اليهودي من القدس والذين تعرضوا للقصف الشديد في عام ١٩٤٨ وجهت البالمخ فصيلتين من رجالها . وقد استرعى أليعازر اهتمام رؤسائه في هذه العملية حتى إنه عين قائداً لإحدى هاتين الفصيلتين . ولقد أجبرت البالمخ على الانسحاب بعد مجهود ضخم برز فيه أليعازر الذي أخذ نجمه يرتفع بسرعة .

وحيث إن إسرائيل ظلت تعتمد على المشاة حتى عام ١٩٥٦ ، فقد كان أليعازر مديراً لمدرسة المشاة في ذلك العام (١٩٥٦) وقد قاد فرقة مشاة في حرب ١٩٥٦ القصيرة - وكانت مهمة فرقة الاستيلاء على قطاع غزة .

ولما كان من الدروس التي استوعبتها إسرائيل من حرب ١٩٥٦ ضرورة الاهتمام بسلاح المدرعات ، فقد تولى حايم بارليف مسئولية إنشاء فرق مدرعة ، وقد انضم إليه أليعازر في فرق الدبابات . (وكان رفاقهما يبدون ضيقهم وتبرمهم حينما كان الاثنان « بارليف » و « أليعازر » بحكم صداقة الطفولة والصبا ، ينسيان أحياناً ويتحدثان بلغة بلدهما الأصلية) . . . وقد خلف أليعازر بعد ذلك رفيقه بارليف في منصب قائد المدرعات الإسرائيلية (ولقد ظل أليعازر يرتدى دائماً بيريه رجال المدرعات الأسود .

وفي عام ١٩٦٧ تولى (دادو) قيادة الجبهة الشمالية وقاد الهجوم على مرتفعات الجولان ، ومنذ ذلك الحين اكتسب شعبيته وشهرته الواسعة ثم أصبح نائب رئيس هيئة الأركان في عام ١٩٦٨ (وكان رئيس الأركان هو بارليف) وقد نجح بارليف في تعيين أليعازر في هذا المنصب برغم أن ديان سعى إلى أن يعين فيه « يشعياهو جافيتش » . ولما كان بارليف قد وجه معظم اهتمامه أثناء حرب الاستنزاف (١٩٦٩ - ١٩٧٠) إلى بناء خط التحصينات الذي حمل اسمه فقد كان على مساعده أليعازر أن يتولى هو أمر المدرعات التي أكدت مكانتها في حرب ١٩٦٧ وأصبحت حجر الزاوية في الفكر التكتيكي الإسرائيلي . . ثم خلف أليعازر صديقه بارليف مرة أخرى في منصبه فأصبح رئيساً لهيئة الأركان لجيش الدفاع الإسرائيلي في « ١ يناير ١٩٧٢ » واختار اللواء إسرائيل طال نائباً له .

وقد كان اختيار أليعازر رئيساً للأركان . . . حلاً مرضياً ، وقد وصف أحد الصحفيين

أسلوبه التكتيكي بقوله « إن أليعازر يستخدم تكتيك الكلب الضخم الذى يقضم قطعة كبيرة ثم يتشبث بها » .

وقد كان لأليعازر شعبية واسعة . .

وهو الآن فى الخمسين . . ممتلئ الجسم فى رشاقة . .

وفى استفتاء أجرته - قبل الحرب بأيام - « مجلة المرأة » اختارته المشتركة فى هذا

الاستفتاء ليكون (زوجهن المثالى) .

ولم تمض أيام حتى كان أليعازر يواجه أضخم مسئولية عسكرية فى تاريخ إسرائيل

وهى مواجهة الجيشين المصرى والسورى . . فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

هذا هو رئيس هيئة الأركان الإسرائيلى الجنرال دافيد أليعازر وتلك هى أبرز معالم

حياته الشخصية والعسكرية . وقد توقفنا عند المنعطف الخطير فى حياته . حين وجد نفسه

فجأة مسئولاً عن جيش الدفاع الإسرائيلى . . فى مواجهة الطوفان المصرى السورى ابتداء

من الثانية وخمس دقائق من ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . . أقول كان هو المسئول

الفعلى عن الدخول بالجيش الذى لا يقهر فى أول مواجهة حقيقية مع الجيش المصرى

والسورى . لأن وزير الدفاع انهار فى الأيام الأولى من الحرب . وإذا كان أليعازر قد انهار

فعلاً هو الآخر كما انهار قائد الجبهة الجنوبية (جونين) إلا أن أليعازر ظل ممسكاً بالخيط

فى يده - مضطراً - حين أبعد ديان عن نفسه معظم المسئوليات وإن كانت هناك رواية .

لا أرفضها تماماً - تقول إن ماثير وديان قد سارعا باستدعاء الجنرالات القدامى أمثال

بارليف وموردخاى هود ، ورحيعام زئبى وغيرهم . . ليشاركوا فى إدارة العمليات بدلاً من

عزل ديان وأليعازر خوفاً من تأثير ذلك على الروح المعنوية للقوات والشعب . .

لكن الثابت والذى لا يحتاج إلى مناقشة لتأكيد هوان دافيد أليعازر . . ظل رئيساً

لهيئة الأركان حتى عام ١٩٧٤ . كما أن الآراء اختلفت حوله - بغض النظر عن الرأى

الرسمى للجنة أجزانات . .

وأخيراً وقبل أن نتقل إلى « أوراقه » نقرأ هذه السطور التى قد تكون بمثابة مؤشر إلى

فكره العسكرى .

فقد قال أليعازر فى نوفمبر ١٩٧٢ :

« إن الأسلوب الدفاعى لا يؤدى إلى كسب الحرب ولهذا فسوف يكون صراعنا ضد

العرب دائماً هجوماً ، وسوف نحافظ فى أيدينا بزمام المبادرة التى نستطيع بفضلها أن

نفرض الإيقاع الذي نعتمز فرضه على هذا الصراع .
إن الأسلوب الإسرائيلي موضوع على أساس تحطيم الروح المعنوية للمصريين بوجه
خاص ، وإعطائهم الإحساس الدائم بعدم الأمان وإقناعهم بأنهم لن يتمكنوا أبداً من
القيام بحشد قواتهم أو حتى مجرد إعدادها للقتال .

* * *

من محتويات أوراق رئيس الأركان الإسرائيلي . . دافيد أليعازر :

- شيء ما في الأفق .
- أكبر مفاجأة بالنسبة لمتسحاق حوفي
- ماذا كان سؤال . . المسئول الكبير في المخابرات الأمريكية ؟
- ما العمل إذا كانت هذه المرة . . حقيقة ؟
- مؤتمر صحفي في منشأة بحرية
- ماذا دار في اجتماع وزارة الحرب يوم ٣ أكتوبر ١٩٧٣ ؟
- التطورات الخطيرة
- حسناً فعلت يا دادو
- حين دق جرس التليفون في منزل أليعازر في الساعة ٣,٥٥ صباحاً
- جولدا تقول إن العالم لا يهمني
- ماذا قال ألبرت لجوزين رداً على تعليقاته بدفع المدرعات إلى الأمام ؟
- وظهرت مفاجآت كثيرة
- إنهم يهجمون في جماعات وراء جماعات كالصينيين
- ديان تنتابه أزمة انهيار وتشاؤم
- ليس أمامنا خيار
- وقال ديان لجولدا في استسلام كامل
- هل نعزل شارون ؟
- ذراع المشاة المصريين أطول من مدافع الدبابات الإسرائيلية
- النجدة الأمريكية
- الرقص إلى الأمام . . وإلى الخلف

- مأساة قوات آدن
- ماذا في الجولان ؟
- لماذا صرخ الصحفي الإسرائيلي في وجه ديان
- اليوم الأسود . . واليوم الأكثر سواداً
- وكان ألبرت من أفضل رجال مدرعاتنا
- ساحة القتال الدامية
- معركة المزرعة الصينية
- عملية الثغرة بالتفصيل
- الحبل السرى
- هل نلغى العملية ؟
- أقول لك . إنها حرب رهيبة
- ونجوت بأعجوبة
- ومأساة أخرى في « ميسورى »
- السويس يجب ألا تكون ستالينجراد أخرى
- رأى أليعازر في ثغرة شارون
- النص الكامل لتقرير لجنة أبحاث عن دافيد أليعازر

* * *

الأوراق

شئ ما فى الأفق :

اليوم ٢٦ سبتمبر ١٩٧٣ تبدأ احتفالات رأس السنة العبرية . لكن يبدو أننا نحن العسكريين ليس لنا حظ مع هذه المناسبات والاحتفالات .
 اتجه اليوم موشيه ديان إلى الجولان وقام بجولة على خط وقف إطلاق النار مع السوريين ،
 فى طائرة هليكوبتر . وقد آثرت ألا أصحبه فى هذه الجولة لعدة اعتبارات .
 منذ يومين (فى ٢٤ سبتمبر) قام وزير الحربية المصرى أحمد إسماعيل بجولة خلف

خط وقف إطلاق النار ، وقد نشرت الصحف المصرية هذا الخبر وقالت إنه قام بزيارة خط الجبهة للجيش التي تقوم بمناورات واسعة .

استعرضت أنا وديان تقارير المخابرات . ثمة إجماع على أن المناورات هي جزء من المناورات الموسمية المعتادة . ولكنني أشعر بالقلق ، ويشاركني ديان في هذا الشعور . وإن كان الرد الإجماعي لنا على الاتصال الذي تم اليوم بين المخابرات الأمريكية وبيننا - على أعلى المستويات - أن ما لاحظته المخابرات المركزية لا يدعو للقلق فالعرب لن يحاربوا . إن ثمة اقتناعاً لدينا في القيادة العامة بأن السوريين سيحاولون الانتقام لطائراتهم الثلاثة عشرة التي أسقطها طيارونا في ١٣ سبتمبر (حين حلق أحد أسرابنا فوق البحر الأبيض ، في اتجاه الميناء السوري طرطوس الذي يبعد عن إسرائيل أكثر من ٢٠٠ كيلومتر ، وحاولت الطائرات السورية اعتراض طائراتنا (قالوا هم إن طيراننا دخل عمقهم للاستطلاع والتصوير) . المهم أنه نشبت معركة جوية لمدة خمس دقائق بين ١٦ طائرة ميج سورية و ١٢ طائرة من سلاحنا (فانتوم وميراج) وقد تم إسقاط ٩ طائرات سورية ، وأصيب لنا طائرة نبح قائدتها في الهبوط بمظلتها في البحر ، وعند ما قامت طائراتنا بحماية الطيار الهابط إلى أن وصلت طائرة هليكوبتر لإنقاذه . حاولت أربع طائرات ميج ٢١ عرقلة العملية فتم إسقاطها جميعها ، وبذلك بلغ مجموع ما أسقطناه لهم من طائرات ثلاثة عشرة طائرة) .

لقد أثبت طيارونا تفوقهم الساحق ، وكانت فرصة ليعرف العرب حدودهم تماماً . . لكن السوريين سيحاولون عمل أى شيء ، وقد يكتفون بضربة واحدة تستغرق عدة ساعات .

ناقشنا أيضاً احتمال قيام المدرعات السورية بالدخول إلى هضبة الجولان واحتلال إحدى المستوطنات ولولعدة ساعات فقط كعملية نفسية لا أكثر .

هذا وقد قام السوريون بنقل بعض قواتهم من حدود الأردن إلى جبهتنا في يوم ١٤ سبتمبر . والتفسير المنطقي لهذه الخطوة هو أن سوريا تظهر للأردن حسن نواياها بعد أن استأنفت الدولتان علاقتهما الدبلوماسية .

مع ذلك فقد اتفقت مع ديان على نقل بطاريتي مدفعية من سيناء إلى الهضبة فنحن مطمئنون إلى الجبهة المصرية التي لا تدعو إلى القلق . كذلك نقلنا ألوية مدرعة من الجنوب إلى الشمال .

من جهة أخرى وصلت أخبار من سوريا طيبة للغاية ، لقد انفجرت الخلافات بين حكومة دمشق من جهة والخبراء الروس من جهة أخرى . على أثر المعركة الجوية . إذ أن سلاح الجو السوري أبدى عدم الرضا عن الطائرات الروسية الميغ ٢١ ، وأخذت دمشق تطالب الروس بإلحاح بأن يزودوها بطائرات ميغ ٢٥ حتى يستطيعوا مواجهة طيراننا - وأنا شخصياً إذا كنت أعتبر أن الميغ ٢٥ طائرة خطيرة إلا أن المشكلة ليست في الطائرات بقدر ما هي في مستوى الطيارين العرب بشكل عام المهم أن سوريا بدأت بالفعل ضغطها على الروس وقد تم تحديد تحركات الخبراء الروس داخل سوريا - ومن الممكن أن تنتهي هذه التطورات بطرد هؤلاء الخبراء من سوريا كما فعل السادات في مصر ، . . وإذا ما حدثت هذه الخطوة فإن الجبهة السورية لن تقل أماناً عن الجبهة المصرية .

اقترح ديان أن أتوجه إلى هضبة الجولان لمقابلة ممثلي المستوطنات .
ومن جهة أخرى مارس ديان هوايته فبعد أن صرح بأن السوريين أقاموا شبكة صواريخ ضد الطائرات لا تكاد تقل عن الشبكة المصرية . . قال ديان للصحفيين المرافقين . والكلام للسوريين بالطبع :
« فلتعلم دمشق بأن جيش الدفاع الإسرائيلي سيرد بشدة وقسوة على التحرشات السورية » .

في نفس الوقت اتفق ديان في لقائه مع اللواء يتسحاق حوفي قائد الجبهة الشمالية بأنه لن يمنع حركة المتزهدين من الإسرائيليين والسواح في هضبة الجولان في رأس السنة .
وقد قال لنا (يتسحاق حوفي) إن الحدود مع سوريا أكثر خطراً ، وطالب بأن نوجه إليها اهتماماً أكبر ، إذ أن خط وقف إطلاق النار بين إسرائيل وسوريا لا يوجد فيه عائق مائي طبيعي كقناة السويس ، ومن السهل أن تتحرك المدرعات والوحدات الآلية السورية من حالة الدفاع إلى الهجوم .

وقد أعرب حوفي عن مخاوف كثيرة ، وأخذ يردد بأن مهمته كقائد للجبهة الشمالية . تبدو للبعض بأنها سهلة ميسورة بالمقارنة بمهمة جونين على الجبهة المصرية على أساس أن الجيش المصرى هو أكبر الجيوش العربية ، ولكن هؤلاء يغفلون حقيقة أن صحراء سيناء تفصل بين الجيش المصرى والتجمعات السكانية في إسرائيل ، بعكس الوضع في الجبهة السورية حيث يستطيع السوريون - لو قاموا بزحزة جيش الدفاع الإسرائيلي عن هضبة

الجولان أن ينقلوا المعركة إلى قلب إسرائيل . . وأشار (حوفى) - فى قلق - إلى الأنباء التى تواترت عن تزويد الاتحاد السوفيتى للسوريين بصواريخ أرض - أرض من نوع « فروج » التى يصل مداها إلى حوالى ٩٠ كيلومتراً .

وقد اتفقنا على تخصيص مبلغ إضافى من المال لاستكمال إنشاء قناة ألون المضادة للدبابات .

ولقد كان الشعور السائد فى إسرائيل كلها أن شيئاً ما لن يقع ، فالعرب يعرفون جيداً استعدادنا لردعهم بأقصى سرعة ، وهم لن ينسوا ما جرى لهم فى ١٩٦٧ . بل إن اللواء (حوفى) نفسه برغم القلق الذى أبداه لنا فى ذلك اليوم اعترف لى ولكاتب عسكرى مشهور بقوله : (كانت أكبر مفاجأة بالنسبة لى فى هذه الحرب هى كونها نشبت ، فبرغم أنى كنت أخشى أن الأمر سيحدث فإننى لم أكن أوّمن بذلك) .

ما بين القلق الشديد . . والاطمئنان البالغ :

فى ذلك اليوم (٣٠ سبتمبر ١٩٧٣) قابل مسئول كبير جداً فى المخابرات المركزية الأمريكية شخصية هامة فى مخابراتنا ، وسأله - مرة أخرى - بماذا تفسرون هذه الحشود المتزايدة للقوات المصرية والسورية ؟ إن وسائل استطلاعنا تؤكد ضخامة هذه الحشود ؟

وقد جاءه الرد هذه المرة أيضاً بأن اطمئنانا لعدم إقدام العرب على الحرب قائم على فهم جيد جداً لهم ولقياداتهم فى مصر وسوريا . وأشار إلى ضعف حكومة السادات وسخرية المصريين أنفسهم من حديثه عن الحرب .

وقبل مسئول المخابرات الأمريكية هذا التفسير وقال : « إنهم هناك - فى أمريكا - يثقون إلى حد كبير فى مخابراتكم النشطة الممتازة » .

ومع ذلك فإننى شخصياً كان يتنازعنى القلق والاطمئنان ، فبينما كنت لا أستطيع أن أطمئن تماماً لما يجرى من استعدادات على الجبهتين المصرية والسورية كنت فى نفس الوقت لا أجد ما يرير القلق الشديد .

هذا وقد تم اليوم اجتماع مصغر لمجموعة القمة فى جيش الدفاع ، اشترك معى فيه نائبى ورئيس قسم القيادة العامة اللواء (إسرائيل طال) ورئيس « الموساد » اللواء زينى زامير ، ورئيس الاستخبارات العسكرية إيلى زعيرا .

وكان « زامير » أكثرنا قلقاً ، وقد تحدث عن حصول بعض رجال « الموساد » على ما يفيد بوجود خطة للفريق أحمد إسماعيل على لشن الحرب .

وثار سؤال حول مدى صحة هذه المعلومة . وإذا كانت صحيحة فعلاً فمتى يحتمل أن يشن المصريون الحرب ؟

لكن « زاعيرا » كان واثقاً ومطمئناً ، وأبدى ثقته في أن المخابرات العسكرية سوف تحصل على ما يؤكد الحرب قبل اندلاعها بثان وأربعين ساعة على الأقل . ثم كرر قوله بأن التحليلات العسكرية . تؤكد أن ما يجري الآن ليس أكثر من مناورات تدريبية على الجبهتين ولا صلة بينهما .

ثم انتقلنا بعد ذلك إلى الحديث عن وضع قواتنا ، فالجيش في حالة تأهب على أى حال ، والتعزيزات في طريقها إلى الجولان .

وكان اللواء (طال) قلقاً بالنسبة لجبهة الجولان بصفة خاصة ، وقال إنه يرى أن نعلن التعبئة الجزئية .

وهنا أشرت أنا إلى الإنذارات الثلاثة المخططة في الشهور التسعة الماضية ، وخاصة ما حدث في مايو من تعبئة القوات وما تكلفته خزينة الدولة . وقلت لهم : إنني أبدأ لا أستطيع أن أنسى كيف صممت على إعلان التعبئة في ذلك الوقت .

وسألني اللواء طال « ولكن ما العمل إذا كانت هذه المرة حقيقة ؟ » ولكنه على أى حال لم يلبح على رغبته في إعلان التعبئة متخوفاً هو الآخر من استنزاف جديد للميزانية بدون مبرر .

.. وهكذا انتهى الاجتماع دون أن يتحدد شيء نبنى عليه مانحتاج إليه من خطوات . .

.....

مؤتمر صحفى في منشأة بحرية :

التقيت اليوم (١٠/٣/١٩٧٣) بمجموعة من محررى الصحف الإسرائيلية الذين استضافهم سلاح البحرية لمشاهدة سفينة الصواريخ الجديدة ، وكما توقعت سألتني أحدهم عن الموقف في الجبهة الشمالية ، وقلت له : « إن هناك استعدادات . . والسوريون يقومون بتركيز قواتهم ، ولكن ذلك تأهب دفاعى ، فهم على الأرجح يفكرون في عملية انتقامية محدودة ، ولكنهم يخشون رد فعلنا القاسى - ثم انتقلت بعد هذا اللقاء مع

الصحفيين في المنشأة البحرية إلى قرية (مقبيه) حيث حضرت جزءاً من الاحتفال بيوم المظليين . وأذكر أنني قلت في هذا الاحتفال : « إن على أعدائنا أن يعرفوا أن إسرائيل تستطيع أن تصل بمظلييها إلى أبعد الأهداف في عمق أى بلد عربي » ومن البديهي أنني قلت هذه الكلمات وعيني على الحشود التي تزايدت على الحدود .

.....

في نفس هذا اليوم (٣ أكتوبر ١٩٧٣) عقدت جولدا مائير اجتماعاً على مستوى عال لما عرف بعد ذلك باسم « وزارة الحرب » ، وقد اشترك في هذا الاجتماع بالإضافة إلى رئيسة الحكومة ، موشيه ديان وزير الدفاع ، وإيغال آلون نائب رئيسة الحكومة ، ويسرائيل جاليلي الوزير بلا وزارة ، وأنا ، والجنرال إلياهوزعيرا رئيس شعبة الاستخبارات ومساعدته آرييه شاليف .

وقد اتفق الرأي على أن الحشود المصرية السورية « معرزة » ، ولكنها لا تتخطى الاستعدادات التي تتبع عادة في المناورات . كما حدث أحياناً في الماضي ، وبالتالي فإن احتمالات الحرب ضئيلة وحينما تحدثت عن أهمية استدعاء الاحتياط . . اتفق الجميع على أنه لا لزوم لهذه الخطوة ، وقد قبلت وجهة نظرهم ، خاصة حينما تعهد إلياهوزعيرا بأن شعبة الاستخبارات العسكرية سيكون بإمكانها في أي حال أن تعتم إنذاراً قبل ٤٨ ساعة من الحرب إذا كانت ستندلع حقاً .

وقد قال وزير - لن أذكر اسمه - « إنني أقترح على شعبة الاستخبارات العسكرية أن تفكر ملياً في احتمال أن بعض الخطوات التي اتخذها المصريون ، والتي عرضت أمامنا في هذه الجلسة ، لا تهدف إلى تحويل الأنظار فقط ، بل إنهم ينوون في الحقيقة القيام بشيء جاد » .

.....

وقد دعت رئيسة الحكومة - في مساء اليوم - الوزراء إلى جلسة خاصة لمناقشة نتائج مباحثاتها مع مستشار النمسا « كرايسكي » ولم يخرج هذا الاجتماع عن تلك المباحثات ، وكانت جولدا تقاوم مشاعر الضيق لأن هذا الرجل اليهودي قد تأثر بالضغط العربي ، ولم يتراجع عن تعهداته للإرهابيين الفلسطينيين بإغلاق قصر شوبناو ، وإلغاء التسهيلات التي كانت تقدمها حكومة النمسا للمهاجرين اليهود السوفيت .

ولعل اقتصار هذه الجلسة على أزمة « شوبناو » . . يرجع إلى نتائج الجلسة السابقة التي أكدت أن احتمالات الحرب ضئيلة للغاية .

تحول خطير :

عرضت على اليوم ١٠/٤ الصور الجوية ، التي التقطتها طائرات الاستطلاع وكان واضحاً أن القوات المصرية تأخذ استعداداتها أوضاعاً هجومية . وقد سألت « إيلي » عن مغزى ذلك ، وقلت له : إنكم تقولون بأنه ليس هناك دليل على أن الحرب سوف تنشب . فهل لديكم معلومات إيجابية بأنه لن تقع الحرب ؟

.. أمسك « آرييه شاليف » بالصور الجوية . وقال لى : « نعم إن هناك خبراً فى هذا الموضوع » وأخذ يشرح استنتاجاته بأن المصريين - بضعفهم - لن يشنوا الحرب - وعاد يكرر أنها مجرد مناورات لامتناهات غضب وضيق الجيش المصرى ، وأيضاً للاستهلاك المحلى بالنسبة للجبهة الداخلية .

مع ذلك كان لا بد من اتخاذ قرار . وقد أصدرت قراراً بالاستعداد لفرض حالة التأهب ج . وعلى الفور ألغيت جميع الإجازات . . وكانت المعلومات تتواتر من مصادر مختلفة عن رحيل الرعايا السوفيت من سوريا ومصر ، وفى ذلك دلالة أخرى يجب أن توضع فى الاعتبار .

: ١٩٧٣/١٠/٥

دار نقاش واسع (فى رئاسة الأركان) حول المناورة التى يقوم بها الجيش المصرى ، واشترك فى هذا النقاش وزير الدفاع موشيه ديان . ما زالت مخابراتنا متمسكة برأيها بأن احتمالات الحرب ضعيفة ، وقد بررت قيادة المخابرات مسألة رحيل عائلات المستشارين السوفيت بأنه من الجائز أن تكون قد نشبت أزمة فى العلاقات بين سوريا والاتحاد السوفيتى . وقد دعم هذا الاستنتاج أن من بين الروس الذين تم ترحيلهم مستشارين لا يعتقد أن سوريا تستغنى عنهم لو كانت تفكر فعلاً فى دخول حرب .

.. مع ذلك كان علينا أن ندرس أخبار تعديل أوضاع القوات السورية والمصرية . التى استدعت احتياطياتها . .

.. فعلى الجبهة السورية . . أصبح واضحاً أن القوات تذهب لتأخذ وضعاً هجومياً . حيث تم تقديم المدفعية المتوسطة كما تم نقل كميات كبيرة من المدرعات الملحقة بفرقة المشاة إلى الخط الأمامى ، وأيضاً تم نقل طائرات قاذفة من أماكن وجودها فى المغارات

الداخلية إلى المغارات الأمامية .

وعلى الجبهة المصرية . . تحدث تطورات مماثلة ، فالمدفعية تندفق على الجبهة ، وقوات كبيرة تعسكر في العادة حول القاهرة تم نقلها إلى الجبهة - وقد شوهد عند قطاع المثلث والفردان ما يمكن أن يكون أجهزة للعبور .

أصدرت الأوامر لإذاعة الجيش بأن تكون على أتم استعداد لاستئناف البث حيث أن الإذاعة الرسمية ستوقف غداً بمناسبة يوم الغفران . . وأحيطت أجهزة الشرطة بضرورة إعداد سيارات تحمل مكبرات صوت للمشاركة في عملية التعبئة .

استكمالاً للاستعدادات تم إرسال عدد من المهندسين إلى الجنوب لفحص منشآت النيران المجهزة لإشعال القناة إذا ما حاول المصريون العبور .

دعت رئيسة الحكومة مجدداً « وزارة الحرب » إلى الاجتماع اليوم ، واشترك هذه المرة إلى جانب مائير والوزيرين جاليلي وديان « حاييم بارليف (وزير التجارة والصناعة) والوزيران بيريز وحزاني ، وكذلك وصل شلومو هيلل وزير الشرطة الذي كان في ذلك الوقت موجوداً في كيبوته (جينوسار) في شمالي البلاد ، لتمضية العيد هناك . وقد حضرت هذا الاجتماع الذي بدأ بتقرير الاستخبارات العسكرية ، الذي أعطى اليوم دلالة أكثر أهمية . ولكن لم يكن قد برز فيه التوتر الكبير الذي ميز الأنباء الأخيرة التي وصلت من مصادر أخرى . واقتُرحت - من جهتي - إعلان حالة التأهب (ج) وهي أقصى درجات التأهب التي لم تعلن منذ انتهاء حرب الاستنزاف » . وأعلنت لرئيسة الحكومة وأعضاء المجلس أنني أصدرت تعليماتي بإلغاء إجازات الجنود في كلا الجبهتين » .

ونظر ديان ناحيتي وقال بإيجاز غير عادي « حسناً فعلت يادادو . . افعل المزيد » ولكنه لم يقترح دعوة الاحتياط .

وقد أصدرت أنا في نطاق « التأهب ج » تعليمات بنقل إنذار خاص إلى قادة الفرق المدرعة ، وبناء على هذه التعليمات وضع سلاح الجو في حالة تأهب عليا استعداداً لهجوم محتمل .

وقد أجاب بارليف على سؤال حول رأيه في الوضع القائم فقال : « إننا مستعدون بما لدينا من دبابات في سيناء أن نوقف الدبابات المصرية . » ثم رددت أنا على تساؤل حول احتمال الحرب (وجهه إلى في نهاية الجلسة) ، وقلت للمجتمعين « إنني لا أستطيع أن أضمن عدم وقوع الحرب وإن كنت لا أستطيع في نفس الوقت أن أجزم بأنها ستقع

« . واتجه جاليلي بالسؤال إلى « بيريز » قائلاً له : « ما رأيك فيما قاله دادو ؟ » فأجاب بيريز الذى كان على عتبة الباب : « لا أدرى . . وأخشى أن تقع الحرب فعلاً » . وقد نهبت جولدا على سكرتير الحكومة بالاستعلام عن أماكن وجود جميع الوزراء ليتيسر دعوتهم إلى اجتماع عاجل يوم السبت .
وقد وصلت بقية اللواء المدرع الذى بدأ تحريكه يوم ٢٧ / ٩ إلى مواقعها فى الجولان - كما أرسل لواء مدرع آخر إلى سيناء .

حالة التأهب كاملة فى جميع الأسلحة :

لم أغادر مكنتي برئاسة الأركان إلى منزلى إلا بعد منتصف الليل ، وكنت أشعر بالقلق والحيرة ، فمازلت أذكر تلك الفترة من شهر مايو ١٩٧٣ حينما وصلت أبناء عن حشود عسكرية على طول الحدود ، وانتهت تحليلات المخبرات إلى أن الحرب سوف تنشب بل إنها حددت تواريخ نشوبها متناقضة مع رأيها الذى سجلته أيضاً فى نفس التحليل - بأن من غير المنطقي أو المتوقع أن يقدم المصريون على الحرب .
وقد تصرفت أنا على أساس الجزء الأول من التحليل الذى يؤكد احتمال وقع الحرب ، وأصدرت أمراً بحالة التأهب ، واتخذت عدة أعمال استعداداً لهذه الحرب لكن المصريين والسوريين لم يتحركوا . . ولم يحدث - بالتالى - أى شىء وكانت النتيجة أننى - كما قال صحفى سخيف - كلفت الدولة أكثر من ٦١ مليون ليرة بقرار غير مبرر .
ترى هل يحدث نفس الشىء هذه المرة أيضاً ، وأكون قد كلفت الدولة أعباء أخرى بدون مناسبة ؟ لقد كان هذا أخشى ما أخشاه . .

النبأ الخطير :

لم أنم ساعتين فقط . لقد دق جرس التليفون فى منزلى فى الساعة الثالثة وخمسين دقيقة صباحاً .
ولم أكن أنا وحدى الذى دق جرس تليفونه فى هذا الوقت لقد حدث نفس الشىء .
عند رئيسة الوزراء وموشيه ديان ، وإيلي زعيرا رئيس شعبة الاستخبارات برئاسة الأركان .
وكان النبأ الذى حملته هذه الاتصالات هو أن مصر وسوريا سيبدأان الحرب اليوم (٦ / ١٠ / ١٩٧٣) فى الساعة السادسة مساءً وكان مصدر النبأ موثقاً به للغاية .

وبينما كنت أرتدى ملابسى العسكرية على عجل اتصلت بقائد السلاح الجوى وسألته : متى يكون السلاح الجوى مستعداً للهجوم ؟ وأجابنى (بيلد) قائلاً : « كما اتفقنا أمس فى الساعة ١٣,٠٠ الواحدة (ظهراً) فإذا ما صدر الأمر سنكون على أتم الاستعداد صباح الغد » وأنهيت محادثتى معه بأن يصدر أمره فوراً لقواته بأن تكون على أتم الاستعداد للهجوم فى أى وقت .

ثم اتجهت إلى رئاسة الأركان وعقدت فى الخامسة (صباحاً) اجتماعاً عاجلاً انضم إليه بعد فترة قادة المناطق الثلاث (الشمالية والوسطى والجنوبية) وقلت للأعضاء فى بداية الاجتماع :

لقد وصلنا نبأ محدد عن تآهب المصريين والسوريين لشن الحرب اليوم فى السادسة مساء . ونحن لا نستطيع أن نشكك فى هذا النبأ . وقد أصدرت أوامرى للسلاح الجوى بالاستعداد للهجوم ، كما أصدرت الأوامر باستدعاء الاحتياطى الجوى ، ومجموعة من رجال الاحتياطى التابعين لرئاسة الأركان » .

وكما هى العادة كان أول المتحدثين بعدى من ألوية الأركان ، هو رئيس شعبة الاستخبارات ، وقد عرض (زعيرا) حالة التآهب فى الجيوش العربية ، وتحدث عن النوايا العربية، وقد تراجع عن رأيه السابق وقال إن الأنباء الجديدة قد زادت من احتمالات الحرب .

وقد أنهيت هذا الاجتماع الذى استغرق ساعة بأن عدت إلى التأكيد بأن العرب سيبدءون الحرب هذا المساء ، وقلت لهم إننى سأطلب إعلان التعبئة الشاملة ، وأملى كبير فى أن يتم التصديق على طلبى .

ولم يكده ينتهى الاجتماع حتى كنت أنا واللواء طال نقطع الممر الطويل الذى يفصل بين مكنتى ومكتب وزير الدفاع ، وخلال دقائق بدأ اجتماع آخر مع ديان الذى وصل لتوه إلى مكتبه ، وكان التوتر كبيراً .

واقتناعاً منه (من ديان) بأن ما سيحدث لن يزيد عن اشتباك كبير على الجولان بدأ حديثه قائلاً : « هيا نتحدث أولاً عن الجزئيات الصغيرة .

يجب أن نعمل فوراً على إخلاء الأطفال والنساء من مستوطنات هضبة الجولان » . واقترحت أنا القيام بتوجيه ضربة وقائية رادعة ومسبقة ، لكنه (ديان) عارض بشدة

وأبدت أنا عدم رضائي عن معارضته ، وانتقلت إلى اقتراحى الثانى بتعبئة جمع احتياطى الجيش ، أى إعلان التعبئة العامة - ولكنه عارض هذا الاقتراح أيضاً وقال : « يجب أن نكتفى بتجنيد كتيبة مدرعة من الاحتياطى وإرسالها إلى هضبة الجولان ، وكتيبة أخرى نرسلها إلى سيناء » .

وثار جدل عنيف . أيدنى فيه اللواء طال ، وقد عدل ديان من رأيه وقال : « إننى مستعد بأن أوصى أمام (جولدا) بتجنيد لواء مدرعات لكل جبهة من الجبهات » .

فى الساعة الثامنة وصلنا - ديان وأنا - إلى منزل رئيسة الحكومة ، واشترك فى النقاش كل من الوزراء إيجال آلون ، ويسرائيل جاليلى الذى استدعته ماثير بمجرد وصولنا ، كما انضم أخيراً حاييم بارليف . . وأعدت أنا إثارة اقتراحى بإنزال ضربة وقائية بالعرب ، وقلت لها إن سلاحنا الجوى على أهبة الاستعداد لتوجيه هذه الضربة ولكن جولدا عارضت - ولقد كنت مدركاً أن هذه الضربة الوقائية التى أقرحتها لن تمنع الحرب الآن ، ولكنها يمكن أن تعرقل الهجوم العربى .

والحقيقة أننى كنت مندهشاً فالذين يتزعمون معارضة اقتراحى (جولدا وديان) كانا وراء التخطيط للضربة الوقائية التى حدثت فى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ كما أن إيجال آلون (الذى كان يجلس على مقربة منهما والذى تحدث فى أحد كتبه عن الهجوم الوقائى . المسبق وكيف أنه مبرر أخلاقى وسياسى) لم يتحدث أو يؤيد وجهة نظرى .

ويبدو أن جهود مصر فى العمل الدبلوماسى بما أثمرته من عزلة سياسية لإسرائيل قد تركت تأثيرها على قرار هؤلاء الوزراء .

وانتقلنا بعد ذلك إلى طلبى التعبئة العامة والشاملة لجميع الأسلحة بدأديان النقاش وقال :

« سوف يتهمنا العرب بالعدوان ، وسيقول العالم إن الحرب قد بدأت بسبب التعبئة

فى إسرائيل . » .

وعقبت جولدا على كلامه قائلة .

« إن العالم لا يهمنى الآن » .

ثم توجهت بحديثها إلىّ وسألتنى :

كم لواء مدرعاً يوجد عندنا ؟

وأخذت أشرح لها الموقف وتحدثت بالتفصيل عن استعداد الطيران منذ أمس ثم

قلت لها إن الأمر يستلزم تعبئة مائة ألف رجل على الأقل .

ووافقت جولدا على طلبى ، وتم الاتصال فوراً باللواء طال لتنفيذ القرار . وكان ذلك فى الساعة ٩,٢٥ بالتحديد .

وكان ديان مازال معتزاً برأيه ، حتى أنه قال - مبتسماً - لجولدا مائير : « إننى لن أستقبل حتى ولو كان قرارك بزيادة التعبئة . . فأنا أعتقد أنه يكفى تعبئة حوالى ٣٠ ألف رجل فقط » .

وقد غادرت أنا الاجتماع بعد أن بدأ اجتماع آخر مع كينيث كيتينج سفير أمريكا الذى كان ينتظر فى غرفة الانتظار .

واجتمعنا نحن فى رئاسة الأركان وكان (شموئيل جونين) قائد الجبهة الجنوبية قد وصل منذ أقل من ساعة وعرضت أنا الخطط المقترحة والتي تحقق إمكانية قيام جيش الدفاع (اليوم السبت وغداً الأحد) بعملية ردع كبيرة - وأن يستعد الجيش لعبور القناة وفقاً للخطط المعدة من قبل .

وقام اللواء (طال) بعرض خطط التعبئة ، فى الوقت الذى وصل فيه ديان (قبل انتهاء الجلسة) وكان مهتماً جداً بما يجرى فى هضبة الجولان ، وسألنى مرة أخرى عما تم بشأن إخلاء مستوطنات الهضبة .

هذا وقد عقدت الحكومة اجتماعاً آخر فى الساعة الثانية عشرة ، ثم استمر اجتماع مجلس الحرب بينا كان الجنرال إيلى زعيرا يعقد مؤتمراً لجميع المراسلين الحربيين للصحف الإسرائيلية ليقول لهم إن حرباً قد تندلع فى أية لحظة .

فى نفس الوقت توالى التعليمات الخاصة بتحريك القوات فى الجبهة ، ولكن بينا كان جونين يتصل لاسلكياً بالجنرال ألبرت - وكان ذلك فى الساعة الثانية ظهراً - وفى اللحظة التى كان يقول له فيها : « يجب أن تدفع بالألوية المدرعة إلى الخطوط ، لأنهم عندما يصلون سيكون الليل قد جاء » .

فى نفس تلك اللحظة رد عليه ألبرت قائلاً فى توتر مفاجئ : « نعم . . ولكن المصريين بدعوا الحرب فعلاً . . إنهم يقصفون الآن » رافيديم » .

لقد بدأت الحرب وقد كنت أنا واللواء طال واللواء مردخاي هود واللواء يتسحاق حوفى فى طابق آخر . . حين جاء النبأ فقفزت أنا واللواء طال وحوفى من مقاعدنا وأسرعنا إلى غرفة العمليات ، وطلبنا على الفور مشاهدة الخرائط مشاراً عليها بواسطة الأسهم إلى تحركات العدو ومحاور اقتحامه . وقد ساد التوتر لدرجة أن أحداً لم يستطع رسم هذه الأسهم . .

توالى الأحداث بسرعة مخيفة وصورة الوضع مازالت غامضة وبالرغم من صرخات الاستغاثة المنبعثة من أجهزة اللاسلكي (المصريون يطلقون علينا الصواريخ وقذائف البازوكا . . السوريون يفتحون علينا النيران من كل جانب) بالرغم من هذه الصيحات إلا أننا كنا نشعر أن مدرعاتنا سوف تسحق مشاتهم ، كما أن سلاحنا الجوى سيتكفل بالضربة الكبرى .

ظهرت مفاجآت كثيرة :

- لقد بدأ المصريون والسوريون هجومهم في وقت واحد وبتنسيق واضح .
- إن المصريين يقتحمون القناة بطول المواجهة . ليست هناك منطقة واحدة يركزون عليها ، حتى نكتشف نحن بدورنا هجومنا عليهم كما أن معظم مطاراتنا قد تعطلت نتيجة للهجوم الجوى المصرى والأخطر من ذلك أن الطيران المصرى وجه ضربات عنيفة لقواعدنا في أم خشيب وأم مرجم .
مرت أربعون دقيقة ومازال طيراننا غير قادر على دخول المعركة - ليس أمام قواتنا الجوية بعد ذلك وقت كاف فسوف يحل الظلام بعد ساعات قليلة جداً .
مفاجأة أخرى : إن المشاة المصريين يتصدون بنجاح غريب لمدرعاتنا ، وصواريخهم الصغيرة أثبتت فعالية رهيبية في ضرب المدرعات .
التقارير تصل متتالية . . والأخبار غير مطمئنة .
مع حلول الظلام تحسن الوضع قليلاً . . إذ أنه بدأ يحمى دباباتنا من صواريخ المشاة المصريين .

انتقلت إلى قيادة الجبهة وقدم لى جونين تقريراً مفصلاً عن الوضع ، وكان قد وصل منذ لحظات تقرير آخر يشير إلى أن عدداً كبيراً من الدبابات التى عملت في الجبهة قد أصبح غير صالح للعمل نتيجة للصواريخ وقذائف البازوكا المصرية . في نفس الوقت أصبح موقف قواتنا في خط التحصينات (خط بارليف) حرجاً . . ومنذراً بنتائج وخيمة . . ولقد سقط عدد من المعادل بالفعل في أيدي المصريين دون أن تنجح محاولات إنقاذ من فيها .

تمكن المصريون من إقامة عدد من الجسور . . وقد عبرت بعض مدرعاتهم بالفعل .

اليوم الثاني (٧ تشرين - أكتوبر ١٩٧٣)

يتضح ساعة بعد أخرى أن العرب ينفذون تخطيطاً دقيقاً للغاية .
صدرت الأوامر بعدم السماح بنشر أى أخبار عن الحصار الذى ضربه المصريون
على باب المنذب (وقد كان ذلك مفاجأة مذهلة لنا) . . كذلك تم حظر نشر أخبار
سقوط موقع جبل الشيخ فى أيدي السوريين بعد ذلك .

فى اللحظات الأولى من فجر هذا اليوم اتصلت باللواء جونين : وقلت له إن الموقف
فى الجولان يتسم بالخطورة ، وإن السوريين قد وصلوا فى عدة أماكن إلى سفوح الجولان
وبالتالى يتطلب الموقف نقل معظم الطائرات إلى الشمال .

ولقد كان جونين مقدراً للموقف ، إذ قال لى : إنه من الواضح لديه أنه إذا اقتحم
السوريون الجبهة الشمالية فيصلون إلى المستعمرات الإسرائيلية . أما المصريون فسيستغلون
فى الصحراء الشاسعة . . وحينما سألته عن موقف مواقع التحصينات . . لم يصف سوى
أن معظمها محاصر . .

وقد أقام المصريون جسوراً جديدة . . عبرت عليها مركبات ومدركات جديدة فى
حماية الصواريخ والمدفعية ورجال المشاة . .

والواقع أن خسائر طيراتنا - فى الهجوم على الجسور المصرية - تتزايد هى الأخرى
بينما لا تتحقق أهداف الغارات بشكل حاسم . . إن شبكة الصواريخ المصرية تعمل
بصورة قاتلة ، كما أن المصريين يضيفون إلى صعوبة مهمة طيارينا بتلك الستائر الدخانية
التي يطلقونها حول الجسور فتضعف الرؤية ، ويصعب التمييز بين الجسور الحقيقية
والجسور الوهمية .

أبلغ بعض الطيارين عن سقوط زملاء لهم بصواريخ يطلقها المشاة المصريون من
الكتف . . وهذا عنصر آخر يجب أن يدخل فى حساباتنا بالقدر الكافى من الاهتمام .

أصبحت الجهود المصرية الرئيسية واضحة لنا وقد تركز الجهد الكبير جنوبى البحيرة
المرّة الكبرى حيث يعمل الجيش الثالث بقيادة الجنرال عبد المنعم واصل ، الذى كانت
قواته تتسلل إلى الطرق المؤدية إلى محاور متلا والجدى . .

كما أنه كان هناك جهد كبير فى القطاع الأوسط بين الإسماعيلية والطريق المؤدية
إلى (رافيديم) وقد توغلت قوات الجيش الثانى العاملة فى هذا القطاع وحققوا بعض

المكاسب في القنطرة .

وقد أحرز المصريون في هذه المنطقة مكاسب فورية بأن أغلقوا بقواتهم الطريق إلى طول القناة واستولوا على القطاع الشمالى من القنطرة حتى بورسعيد .

تقرير مزعج للغاية :

المصريون - وخاصة المشاة - يسحقون قوات « ألبرت » المدرعة . ولم تعد مدرعاتنا قادرة على كبح الطوفان المصرى إذ واصل مشاتهم الهجوم جماعات كالصينيين . « إنهم يهجمون جماعات كالصينيين » تكررت هذه الجملة مئات المرات في أجهزة اللاسلكى من الناحية العسكرية البحتة اتضح أمامنا أن المصريين قد استولوا بالفعل على القناة (بالرغم من استمرار مقاومة بعض الحصون) فلقد نجحت عملية العبور المصرية . وتعرضت قواتنا الرئيسية لضربات فادحة .

في نفس الوقت يواصل الكوماندوز المصريون أعمالهم الإزعاجية خلف الخطوط - وقد اصطدمت بمجموعة منهم اليوم في المحور الشمالى قوات (نتكه) الواقعة تحت إمرة (دان) . ودخلوا معها في معركة طويلة . وقد أصيبت بعض الدبابات بفعل قذائف البازوكا والصواريخ ومدافع المورتار .

من ناحية أخرى لم يتحسن الموقف في الجولان . وقد وصل ديان في الفجر - إلى قيادة المنطقة الشمالية ، وتشاور هناك مع « يتسحاق حوفى » و « مردخاى هود » - وكنت قد أصدرت الأوامر بتوجيه المزيد من الطلعات الجوية ضد القوات السورية لعرقلة تقدمها . قتل ظهر اليوم « إسحاق بن شوهم » (قائد أحد الألوية المدرعة) كما قتل أيضاً مساعده « دافيد يسرائيل » وقتل ضابط عمليات نفس اللواء (بينى كيشين) . الموقف بشكل عام . . غير سار .

لم ينجح إلا عدد قليل جداً (يعد على أصابع اليد) من قواتنا المتمركزة في موقع جبل الشيخ . وقد طلب قائد لواء الجولان التصديق على القيام بهجوم مضاد لإنقاذ بعض الأفراد المحاصرين داخل الموقع لكن (حوفى) أخبره بأن ينتظر حتى تظهر نتائج الحملة الشاملة .

هذا وقد استغل الروس نجاح الكوماندوز السوريين في الاستيلاء على موقع جبل الشيخ ، ونقل بعض مستشاريهم المعدات الإلكترونية الكثيرة التي كانت في الموقع .

انتابت ديان أزمة تشاؤم بالغة ظلت مسيطرة عليه طوال وجوده في الجبهة الشمالية ، وانتقلت معه إلى جبهة سيناء حيث كانت طائرته الهليكوبتر معرضة للإسقاط من قبل رجال الكوماندوز المصريين المنتشرين في المنطقة . وفي اللحظة التي كنت أتصل فيها باللواء جونين ، كان هو يقول له :

« إن هذه الحرب قاسية يا جونين . . إنها ليست مجرد اشتباك عادي . . لذلك يجب علينا الانسحاب إلى الخط الثاني . . إلى الجبال من أجل التحصن هناك » .
قطعت مكالمتي حديث ديان مع جونين وضباط قيادته وأمسك هو بالتليفون وسألني في قلق متوتر :

« اسمع يا (دادو) . . ماذا تستطيع أن تقدم لجونين ؟

كان ديان يقصد بالطبع ما الذي أستطيع تقديمه لقواتنا في سيناء من دعم جوى وكنت مضطراً إلى أن أقول له : ليست هناك إمكانية تقريباً لزيادة الدعم الجوى للجبهة الجنوبية . . وقد كنت أنت منذ ساعات في الجبهة الشمالية ، ورأيت كيف أن أى دعم جوى إضافي يجب أن يوجه إلى هناك . فلقد اقتحم السوريون الخطوط كلها .

وقد عرفت فيما بعد أن ديان التفت إلى جونين ومساعديه قائلاً : من الواضح أن الأولوية ستعطي إلى طبرية وغور الأردن وكيبيوتسات دجانيا ، فإن سيناء ليست على نفس الدرجة من الأهمية . .

ولذلك فإن عليكم أن تنتظروا دعماً جويًا أكثر من صباح الغد وليس اليوم » .

ثم أضاف ديان قائلاً لجونين ومساعديه : « هذه حرب عنيفة يجب ترك خط الماء ، والانسحاب إلى الجبال . ويجب ضرب العدو باستخدام المدرعات الموجودة والمدرعات التي يتولى وصولها .

وبالنسبة لمعاقل التحصينات فإنها لن تفيد الآن ، وليس منطقيًا أن نحاول شق الطريق إليها خاصة وأن ذلك لن يغير من الأمر شيئاً » .

وقد سأله أحد الضباط :

وماذا عن الجرحى في هذه الحصون ؟

وأجابه هو في توتر متفجر :

بالنسبة للأصحاء فإن عليهم أن يحاولوا اجتياز الخطوط . أما الجرحى فليس أمامنا

خيار سوى أن يقعوا في الأسر » .

وقد خيم على الغرفة صمت ثقيل الوطأة - كما وصفها لي أحد مساعدي جونين فيما بعد - وأضاف ديان قوله : (إن ما ذكرته هو نصيحة على المستوى الوزاري ، ومن الواضح أنه يجب تنسيق الأمور مع دافيد) .

وقد حضر ديان بعد هذا اللقاء اليائس إلى مقر قيادة الأركان وكانت ملامحه كثيبة منهارة ، وهو يقول لي : « إن هذه حرب على البيت الثالث وليست على سيناء ، ويجب التراجع إلى شرم الشيخ وترك خليج السويس كله فإن المهم هو أن نبقى في هذه المنطقة . إن علينا أن نعد أنفسنا من جديد في خط ثان بالمرات وبالنسبة للجولان علينا الانسحاب إلى المرتفعات التي تطل على نهر الأردن وإعداد خط ثان على هذا النهر » .
وهنا وجدته أسأله :

« حتى إذا كان علينا أن نعد أنفسنا من جديد في خط ثان فلماذا يتوجب إخلاء الخليج ؟ »

وأجابني ديان : « ربما لن يكون هناك إخلاء . ولكن يجب إدارة معركة إعاقة هناك » .
كان تشاؤمه كبيراً ومعدياً ، لكنني حاولت أن أتماسك ، وقد لاحظت أنه لم يعد يصدر أوامره - كما دته - بل إنه أخذ يكتفي بالأقوال وبتقديم الاقتراحات .

وقد غادر هو مقر القيادة ، متجهاً إلى رئاسة الحكومة حيث التقي مع جولدا مائير وإيجال آلون ويسرائيل جاليلي ، وقال لهم : إن الوضع على الجبهات خطير ، ففي هضبة الجولان لن يكون هناك مفر من الانسحاب إلى السفوح السفلى للهضبة » . سيطر الذهول القاتل على الجميع حتى إن سكرتير جولدا (يسرائيل ليثور) ترك الغرفة ، وخرج ، وتم استدعائي على الفور إلى هناك ، وقد حاولت أن أوجد بعض التوازن وألا أكون متشائماً جداً .

قلت لهم : إن الوضع سيئ ولكن ذلك لا يوجب الانسحاب كما يقول ديان ، وإنني أقترح أن يقوم حاييم بارليف بالتوجه إلى الجبهة الشمالية للوقوف على حقيقة الأمر ، وسأتوجه أنا إلى الجبهة الجنوبية لأتأكد عن قرب فيما إذا كان الوضع قد وصل إلى هذه الدرجة من الخطورة ولم يكن مفاجئاً أن يقبل ديان هذا الوضع الذي ينتقص من دوره وسلطاته بل لقد ظهرت على ملامحه سعادة مفاجئة وهو يرى أن عبء نقل الأخبار السيئة سوف يوزع على آخرين .

المهم أنه قد تم على الفور إبلاغ يتسحاق حوفي بأن بارليف (الذي ارتدى الملابس

العسكرية) سيصل إليه (ليس كقائد له وإنما للقيام بجولة استطلاعية) وبالفعل وصل بارليف في مساء نفس اليوم ، وقد اتصل من هناك بجولدا ماثير وقال لها : إن الوضع صعب وربما صعب جداً . ولكنه لا يدعو لليأس تماماً . ولقد تم إيقاف الانسحاب إلى السفوح السفلى » .

وفي الوقت الذي كنت أشعر فيه للتوجه ومعى إسحق رايبين (الذي لم يكن قد استدعى للخدمة وجاء معى بملابسه المدنية) قبل أن نشرع في التوجه إلى سيناء ، قال ديان لجولدا ماثير في استسلام كامل :

« أقول لك بصراحة يا جولدا . إذا كنت تعتقدين أن هنالك شخصاً أفضل منى باستطاعته القيام بوظيفة وزير الدفاع فكلفيه بالمهمة) .

وتوقف عن الحديث لحظة ثم أردف قائلاً .

« لو كنت أنا رئيس الحكومة واعتقدت أنه يجب تغيير وزير الدفاع لما ترددت لحظة ، وأنها ستكون غلطة من جانبك إذا لم تفعل بما تعتقدين أنه الصواب » .

وساد السكون لحظات . . ونظرت إليه جولدا ملياً ثم قالت وثمة اختلاجة تظهر على وجهها : « معاذ الله . . معاذ الله » .

.....

وصلنا - إسحق رايبين وأنا - بالطائرة العمودية إلى مركز قيادة سيناء ، واجتمعنا مع جونين وعدد من قادة قوات الجبهة ، وكانت الفوضى والخسائر التي لحقت بقواتنا منذ نشوب القتال قد أثرت على جونين الذي قال لى فى توتر « إننى آسف لأن الأمور سارت هكذا وكان « أريك شارون » لم يتمكن من الوصول فى بداية الجلسة .

وقد حدثنى جونين عن متاعب شارون معه وكان قد اتصل به طالباً بالحاح تنفيذ خطة لإنقاذ من تبقى من رجالنا فى حصون خط بارليف . وقال له إنه وضع الخطة بالفعل ، وحدثه عن قائد أحد المواقع الذى قتله المصريون أثناء اتصاله به وحل مكانه ضابط آخر ، وألح شارون على جونين أن تبدأ عملية الإنقاذ الليلة ، لكن جونين قال له :

« لا يمكن أن نحسم هذا الأمر من خلال التليفون وأنا أقترح أن تأتى إلى هنا لفحص الخطة فى اجتماع مشترك مع جميع قادة القوات ، وسنرسل لك طائرة هليكوبتر لإحضارك » .

وأخبرنى جونين أن شارون صاح فى التليفون بطريقته الانفعالية « إنك يا جونين تضع بذلك ليلة كاملة » .

وقد بدأنا نحن الاجتماع قبل أن يصل شارون واقترح (آدن) أن يتم العمل بحذر من المصريين إلى أن يعاد تركيز المدفعية ، كما تحدث جونين عن الحاجة إلى عبور القناة في الغد ، لكنني أخذت أكبر جماحه مؤكداً أنه من الخطير جداً أن نلقى بجميع قواتنا مرة واحدة في الهجوم المضاد الذي من المقرر أن يبدأ في صباح الغد (٨ / ١٠ / ٧٣) وأشرت عليه بأن يكون الهجوم تدريجياً ، على أن تقوم أولاً قوات آدن بالهجوم من شمال إلى الجنوب في منطقة الجيش المصري الثاني ، و ينتظر أريك شارون في الجنوب كقوة احتياطية ، فإذا لم ينجح هجوم آدن يقوم شارون بمساعدته ، أما إذا نجح فسيتم أيضاً تشغيل قوات شارون الاحتياطية بأن تتوجه إلى الجنوب . وتبدأ بالهجوم في منطقة الجيش الثالث المصري مع توجيه جهودها باتجاه مدينة السويس ، وعند ذلك تستخدم القوة التابعة لألبرت كقوة احتياطية لشارون .

ولم أوافق على خطة العبور ، وإن كنت لم أرفضها نهائياً وقلت لهم : «علينا أولاً أن نصل إلى الجسور ثم نقرر بعد ذلك الخطوة التالية ، وأنا أرفض أن تعبر كل القوات على جسر واحد لأن ذلك معناه سهولة ضربها من المصريين ، أما إذا سيطرنا على عدة جسور فسوف يمكننا نقل عدة مجموعات من الدبابات . » وقد لاحظت أن جونين لم يظهر عليه الاقتناع الكامل بوجهة نظري ، ولذلك فإنني قلت في نهاية كلامي بلهجة قاطعة :

« على أي حال فإن عبور القناة يجب ألا يتم إلا بأمر مني شخصياً » قبل أن أوجه إلى الطائرة الهليكوبتر لنعود بي وإسحق راين إلى رئاسة الأركان قابلي شارون الذي كان قد وصل في نفس اللحظة ، وشرحت له البنود الرئيسية في خطة الغد ، وقال لي :

« إنني أريد أن أعبر القناة غداً صباحاً » .

وقلت له : « لا بد أولاً أن نضرب رؤوس الجسور ونعيد تنظيم قواتنا » لكنه عاد يلح على وركز على ضرورة إنقاذ الرجال المتبقين الذين حشروا في معاقل بارليف ، فقلت له هل تريد أن نخسر دبابات ورجالاً بالإضافة إلى ما خسرنه حتى الآن . . إن أول محاولة ستكلفنا على الأقل خمسين دبابة أخرى .

ولم أترك له الفرصة لمزيد من المناقشة فأنا أعرف طباعه جيداً ولا أرتاح لتفكيره أو أسلوبه ، قلت له « عليك تسوية الأمر مع جونين » وكنت أعلم أن جونين لن يغير

الجنرال دايفيد اليعازر
رئيس الأركان الإسرائيلي



من اليسار إلى اليمين ، الجنرال آدن (برن) ، والجنرال
اليعازر ، والجنرال ماجن الذي مات في الأيام
الأخيرة للحرب



مقر قيادة الجبهة الجنوبية (سيناء) يظهر الجنرال اليعازر « الثاني من
يمين » وإلى يساره الجنرال جوتين ، وعن يمينه الجنرال آدن (برن) ، بن آري ،
رايين » بينما يقف الجنرال ماندلر في أقصى اليسار بجوار إحدى الخرائط



الخطة التي اتفقنا عليها ، خاصة وأنه نفسه حدثني عن الخسائر التي وقعت في مدرعاتنا منذ بدأت محاولات مساندة حصون بارليف . . . وتركته . . . واتجهت إلى الطائرة . وقد اتصل ديان بعد ذلك وفي ساعة متأخرة من الليل بغرفة العمليات في قيادة الجبهة وطلب التحدث مع جونين وسأله عن الوضع ، فقال له : « إنني أخطط لعملية هجوم مضاد في الغد ، وأريد أن أتمركز في الجانب الآخر » . واكتفى ديان برد قصير « عال » . . « عال » ولم يتدخل أو حتى يسأل عن تفاصيل الخطة العملية . لقد أصبح واضحاً أنه حدد نفسه بتقديم الإرشادات العامة .

.....
طلبنا اليوم من الولايات المتحدة سرعة تزويدنا بالأسلحة . إن جيشنا يقف في موقف لا يحسد عليه . حيث بلغت نسبة تدمير المعدات حداً كبيراً وسريعاً جداً ، بحيث أصبح واضحاً أنه إذا استمرت الحرب بهذا المعدل فسوف تفرغ المخازن وتدمر معظم المعدات . لقد خسرتنا خلال يومين فقط « ٢٥٠ » دبابة ، كما فقدنا عشرات الطائرات . وقد سألت اليوم عن رد الولايات المتحدة لكن سفيرنا سيمحا دبتنتز لم يكن قد تحدث بعد .

فزع المشاة المصريين أطول من مدافع دباباتنا :

اتضح عملياً ضعف مدفيعتنا بالنسبة للمدفعية المصرية التي بدأت تهدر منذ الدقائق الأولى للحرب .

تقدمت بعض المصفحات المصرية حتى عشرين كيلو مترا داخل سيناء . مدرعاتنا في الخطوط الأولى لا تفعل شيئاً حقيقياً سوى الدفاع عن وجودها . المشاة المصريون مفاجأة رهيبية لنا . كل التقارير تقول بأن ضرباتهم لمدرعاتنا وحصوننا بالغة الدقة والحساسة . لقد اتضح أن ذراع هؤلاء المشاة المصريين أطول من مدافع الدبابات . بل إن بعضهم كان يلقي بنفسه فوق الدبابات ليفجرها . لقد أثارت أعمالهم الانتحارية ارتباك رجال مدرعاتنا وانهار من تبقى من قواتنا في خط بارليف .

تأكدت استحالة إنقاذ بقية المعادل الحصينة فقد أحكم المصريون حصارها . . وتحولت إلى منطقة استدراج قاتلة لدباباتنا التي تتحرك لإنقاذها . والواقع أن هذه المشكلة (تخليص الرجال الذين انقطعوا خلف خطوط العدو

الجديدة داخل تحصينات خط بارليف) أثارت جدلاً وقلقاً واسعين ، ففي جميع حروب إسرائيل لم تفلح هذه المشكلة أحداً من القادة كما حدث في هذه الحرب . فعلى مر السنين وجد تقليد يقضى بعدم ترك الجرحى والقتلى في ساحة المعركة . أما الآن فعلياً أن نقرر الثمن الإضافي الذي سندفعه في سبيل تخليص الرجال من موقع حوصر أو من دبابه أصيبت وقد بادر بعض القادة فلم يلتفتوا تقريباً إلى الخسائر ، ودفعوا ثمناً غالياً في سبيل تخليص رجال قلائل بل إن معظم محاولاتهم تعثرت . ومنذ عام ١٩٤٨ كانت هذه المرة الأولى التي ينسحب فيها جيش الدفاع الإسرائيلي مخلفاً وراءه جرحى في ساحة المعركة ، وكان هذا أحد أسباب ازدياد عدد المفقودين في هذه الحرب . إن فتح العرب لجبهتين في وقت واحد ، وطول الخطوط في الجبهة المصرية . . أمر يلقي بظله الكئيب على إدارة الحرب ، وهذا ما عانينا منه بشكل ملموس .

اليوم الأسود :

حققت قواتنا نجاحات نسبية على جبهة الجولان وإن كانت لم تحسم شيئاً حقيقياً ، لكن مشكلة استفاد أسلحتنا ومعداتنا تفاقمت وأصبحت على درجة كبيرة من الخطورة ، وانتقل القلق بيننا في القيادة . وعاودت جولدا الاتصالات - بسمحا دينتر - سفيرنا في واشنطن . واتصلت بملحقنا العسكري هناك (موردخاي جور) لابد من سرعة إرسال الأسلحة . يجب أن يعلم الرئيس نيكسون وهنري كيسنجر أن موقفنا يتدهور ، فليحلوا مشكلة نقل الأسلحة والمعدات التي يتحدث عنها شليزنجر بأى طريقة .

إن الأسلحة التي تنقلها طائرات العال حتى الآن لا يمكن أن تفي بمتطلباتنا الكثيرة . وقد ذهل الأمريكيون حينما قرءوا قائمة الكميات المطلوبة من الأسلحة . وقال أحدهم ماذا تريد إسرائيل بكل هذه الأسلحة إلا إذا كان جيشها قد انتهى تماماً في صحراء سيناء . ومن جهة أخرى أعرب سيمحا دينتر لكيسنجر عن قلقه وقلق الحكومة لعدم إقامة الجسر الجوي الذي لن ينقذ إسرائيل سواه ، وقد علمنا أن ثمة خلافاً حاداً وقع بين كيسنجر ووزير الدفاع شليزنجر ، وقد هدده كيسنجر بأنه يتقاعس في تنفيذ أوامر الرئيس ، وقال له إنه يخاطبه ليس فقط بصفته وزير الخارجية وإنما بصفته مستشار الرئيس للأمن القومي ، وقد اتصل كيسنجر بعد ذلك وأبلغ نيكسون بموقف شليزنجر ، فوبخه نيكسون بالتليفون وقال له تصرف بأى طريقة في وسائل نقل الأسلحة إلى إسرائيل . . ولا تتقيد بأى شيء . .

وبدأت الاستعدادات بالفعل للإنقاذ .

في نفس الوقت نشطت سفاراتنا في مختلف دول العالم في تجميع وإرسال عدد من اليهود (من جنود وضباط سابقين في جيوش دولهم) وقد وصل عدد كبير منهم واشتركوا فعلا في المعارك - وكان تركيز سفاراتنا على الطيارين والأطباء ورجال المدرعات .

ومع وصول الطائرات التي تحمل هؤلاء المتطوعين إلى مطار اللد ، كان قسم منهم (كرجال المدرعات) يرسلون فوراً إلى ساحة القتال ، وقد سقط كثير من منهم في المعارك بدون أن تعرف عائلاتهم شيئاً عن وصولهم إلى إسرائيل .

تقارير الجبهة السورية لا تحمل أخباراً سارة ومع أنه تم صد جزء كبير من المدرعات السورية ، ولم تتمكن قواتنا من الوصول إلى نهر الأردن فإن المعركة لم تحسم بعد .

وبالنسبة لطائراتنا الذي يدير معاركها موردخاي هود (قائد الطيران السابق) فإنها تعاني خسائر كثيرة من الصواريخ السورية .

وقد بدأ اليوم هجوم سوري ضخم قرب القنيطرة ، وكان بمثابة موجة الانقضاض الثانية على هضبة الجولان ، وقد ألقى السوريون في المعركة بفرقهم الثالثة وهي القوة المدرعة الاحتياطية . وبدأ الهجوم في الساعة الرابعة من بعد الظهر - وقد اشتركت أيضاً مع المدرعات عدة كتائب من رجال الكوماندوز السوريين ، وكانت كثافة الهجوم المركز في قطاع ضيق كبيرة جداً ، وباستثناء الهجوم الذي وقع في الليلة الأولى فلقد كانت هذه هي أصعب الساعات على جنودنا من جيش الدفاع في هضبة الجولان . وكان القلق في قيادة الجبهة شديداً . فبعد أن تم صد السوريين في القطاعين الأوسط والجنوبي فإنهم يقومون الآن بإلقاء كامل قوتهم في القطاع الشمالي وأمامهم يقف جنودنا الذين لم يدقوا النوم منذ بداية الحرب .

وقد وصل إلى قيادة الجبهة إيجال آلون في أثناء الهجوم الشديد ، وقام باستطلاع الخرائط والوجوه المعلقة ، وسمع النداءات بأجهزة اللاسلكي وقد انفرد آلون بيتسحاق حوفي في أحد أركان الغرفة وهمس في أذنه قائلاً :

« ما رأيك لو قام طيراننا بغارات ثقيلة على الأهداف الاستراتيجية داخل العمق السوري . ألا يخفف ذلك عنك في الجبهة ؟ ؟ »

ورد عليه حوفي : « إن هذا سيساعد كثيراً ومن المؤكد أنه سيثقل عليهم الأمر » .
وبتبادل الاتصالات بين « آلون » من الجولان و « جولدا » في تل أبيب ، ومقر

القيادة العامة حيث رئاسة الأركان استقر الرأي على الإغارة على العمق السوري .
وكان هجوم القوات السورية قد استمر سبع ساعات متواصلة ، وألقيت في ساحة
المعركة في مواجهة هذه القوات عدة كتائب متتالية تكبدت خسائر كبيرة
كان الوضع مزعجاً ، وكان يتسحاق حوفي أكثر قلقاً « حتى عن الليلة الأولى للحرب »
خاصة حينما اتصل بقائد اللواء الذي كان مشتبهاً في ذلك الوقت وسأله عن الموقف .
فقال له « الوضع صعب جداً » لقد كانت هذه الجملة حسب الاتفاق المسبق تعني أن
الموقف خطير . . وقد اتصلت به في الساعة العاشرة مساء ، وسألته عن التطورات في
المعركة الدائرة وأحسست أنه « يبلغ ريقه وهو يقول بصوت مبسوح :
« إنني غير واثق من أننا سننصمد : »

والتهبت الأعصاب . واستمر الاتصال بالجبهة الشمالية وكان رفائيل إيتان المسئول
الآن عن معركة الصدى ينادى بالميكروفون « لن تتراجعوا » قاوموا خمس دقائق فقط . .
خمس دقائق فقط وحينما فتح جهاز اللاسلكي الموجود في عربته المجتررة وأخذ
ينادى على قائد اللواء ليشجمه ويطلب منه التماسك لم يرد عليه . وعرف أنه قتل .
ولحسن الحظ . . ساعد التوقف المفاجئ للهجوم السوري ، مع التدعيم الكثيف
لقوات الصدى على عدم تدهور الموقف . وحينما اتصلت في صبيحة اليوم التالي . قال « إيتان »
وهو قليل الكلام بطبعه : « لقد كانت هذه ليلة مريعة » .

الرقص للأمام والخلف :

في جبهة السويس كانت التطورات لا تحمل هي الأخرى أبناء سارة ، وكان على
جونين أن يقول لضباطه : إن الجيش المصري الآن ليس هو ذلك الجيش الذي كان
في عام ١٩٦٧ ، وأن الأمر لن يكون كما كان في ذلك العام .
وفي الصباح استلم جونين الصور الجوية التي التقطت مع أول خيوط الفجر . ورأى
كيف أن معظم الجسور التي قال الطيارون إنهم دمروها أثناء الليل ما زالت قائمة كما هي .
فإما أنهم لم يدمروها أساساً أو أن المصريين يعيدون بناءها في سرعة غريبة .
المهم أن معنى الصور التي كانت بين يديه أن المصريين سيستأنفون إرسال طوابيرهم
المدرعة إلى سيناء .

وقد قرر جونين أن يستخدم تكتيكاً جديداً أمام الجيش المصري الذي تغير بهذا

الشكل . وكان هذا التكتيك هو لا انسحاب ولا هجوم مضاد ، إنه يريد كسب الوقت بأى طريقة ، ولكنه أيضاً لا يريد أن يخسر الأرض ، لذا أصدر أوامره لقواته بالعمل بأسلوب يشبه خطوات الرقص للأمام والخلف أى الانسحاب قليلاً ثم الهجوم والعودة إلى نفس التلال التى تم الانسحاب منها قبل ذلك .

كذلك أصبح واضحاً أن المصريين يتبعون أيضاً أسلوب الحفاظ على قواتهم ولكن فى مجال سلاح الجو ، فإذا كانوا يقومون بإرسال مشاتهم للهجوم عدة مرات وعلى شكل موجات وراء موجات فإنهم كانوا يدخرون سلاحهم الجوى (بعد أول يوم) للمرحلة الثانية من الحرب . وبعد ذلك جرب المصريون أسلوباً جديداً فى الهجوم وهو الهجوم الواسع من الجو فاشتركت أكثر من مائة وعشرة طائرة فى الهجوم على أهداف مختلفة فى سيناء . وقد أسقطت بعض هذه الطائرات .

هجوم « جيش الدفاع » المضاد :

مع الصباح بدأ « إبراهيم آدن » هجوماً مضاداً مستخدماً عدة ألوية فى نفس الوقت - وقد حدد جونين لآدن مهمة السيطرة على ثلاثة جسور قرب الفردان ، والاستعداد لنقل وحدات من الدبابات إلى غربى القناة على هذه الجسور . وقد دارت بين جونين وآدن (أثناء تحركه » هذه المكالمات عبر جهاز اللاسلكى :

جونين : اسمع يا آدن . . أريد - قبل العبور - إبادة جميع القوات المصرية التى دخلت سيناء ، وأنا أعنى بذلك إبادة جميع قوات العدو فى القطاع الممتد من القنطرة جنوباً وحتى (متسمد) وبعد أن تقضى على جميع هذه القوات ، تعبر فى أحد المواقع .

آدن : فهمت . . انتظر .

جونين : ومن المهم جداً أن تستمر الحركة إلى الجنوب كالتيار بدون توقف حتى تصل إلى « متسمد » .

آدن : سيكون كل شئ على ما يرام ، وأنا أنوى الاستيلاء على المناطق الواقعة فى منطقة (متسمد) هل تريد منى أن أتصل بموقع (حزايون) .

جونين : موافق . وإذا كان بالإمكان العبور إلى حزايون فمن الأفضل أن تعبر مع وحدة صغيرة لتبقى على الضفة الثانية .

وقد تساءل « آدن » بعد انتهاء المكالمة ما سر هذه الثقة التي يتحدث بها جونين هل يكون ذلك لأننى أخبرته بأن المرحلة الأولى من تحركنا لم تواجه مقاومة تذكر من المصريين أو ماذا ؟

ثم التفت إلى من معه فى المصفحة وقال لهم : إن هذا الأمر يدل على تفاؤل كبير . وعلى ما يبدو فإن هناك أخباراً سارة جديدة لا نعرفها .
كان تفاؤل جونين نابعاً من إخطار آدن له بأنه لم يواجه مقاومة حقيقة فى أولى مراحل هجومه المضاد . وقد وصل به التفاؤل إلى التفكير فى سرعة التحرك العام للصد والاختراق والعبور إلى ضفة القناة الغربية . فقد اتصل بى وطلب منى الإذن بتحريك قوات شارون هى الأخرى وفى نفس الوقت تقريباً . وقد أثرت أن تتمهل قليلاً فأعطيته رداً سلبياً ، لكنه عاد إلى الاتصال بى ، وقال لى إن قوات آدن أرسلت فى تقاريرها أنها وصلت فعلاً إلى أحد الجسور ، وسألنى مرة أخرى أن أصدق على تحريك قوات شارون كسباً للوقت . وأمام هذه الأخبار وافقت على طلبه - وكان طلب جونين وموافقى عليه تعنى تغيير مهمة شارون حيث إنه كان مكلفاً فى الخطة الأساسية بالهجوم من الشمال وليس من الجهة الجنوبية الشرقية . وعلى أية حال فإنه (شارون) لم يكذب يتحرك حتى أرسلنا فى استدعائه للعودة إلى مواقع تمر كره فلفقد وصلت الأنباء المزعجة عن تورط مدرعات (آدن) فى معركة صعبة وقاسية .

لقد كان الخبر الأول الذى نقله إلى جونين عن وصول قوات آدن إلى ضفة القناة باعثاً على التفاؤل خاصة وأننا جميعاً فى القيادة كنا فى انتظار متلهف لأخبار سارة من الجهة وقد انتشر ذلك الخبر عن اقتراب آدن من الخط المائى ومن الجسور التى أقيمت قرب الفردان كشرارة كهربائية وانتقل بسرعة البرق إلى تل أبيب . حتى أن صحفياً فرنسياً نشره فى صحيفة « لوفيجارو » كما أن اللواء (جور) الملحق العسكرى الإسرائيلى فى واشنطن قام بإبلاغه إلى عدة أشخاص .

وساد اجتماع مجلس الوزراء الذى كنت مشتركاً فيه جو من الثقة والتفاؤل ولكن عندما خرجت من الجلسة اكتشفت أنه ليس فقط أن (آدن) لم يعبر القناة ولكنه أيضاً قد تلقى ضربات قاسية فبينما كانت طلّائع دباباته تقترب من القناة . صرخ أحد قادة الدبابات (إن المصريين يطلقون علينا صواريخ ساجر) ولم يكذب ينتهى من صراخه حتى كانت ثمانى دبابات قد اشتعلت ، وخلال بضعة دقائق انفجرت عشر دبابات أخرى . ودبت فوضى

شديدة بين مدرعات (آدن) ، بينما واصل المصريون توجيه صواريخهم مع قصف المدافع المركز الكثيف . وهكذا انسحبت بقية المدرعات تاركة الدبابات المدمرة في ساحة القتال وبدخلها الجرحى لا يجدون من يسعفهم .

وكانت الضربات المصرية شديدة وطلب «آدن» مساعدة جوية سريعة ، ووصلت تشكيلة من عدة طائرات ألقت قذائفها بصورة خاطفة واختفت ، في الوقت الذي دفع فيه المصريون بعض مدرعاتهم وأعداداً من مشاتهم من غرب القناة إلى أرض المعركة مستخدمين الجسور . وتشتت قوات آدن .

لقد واجهنا في رئاسة الأركان صعوبة بالغة في تكوين صورة عن التغيير الفجائي السريع في ساحة المعركة . هذا التغيير الذي حدث نحو الأسوأ بشكل حاد .

وقد علمت فيما بعد أن آدن كاد يدفع حياته - بعد ذلك - ثمناً لهذا الهجوم الفاشل فقد سقطت قرب مركز قيادته عدة قذائف فسارع بالهروب إلى مكان آخر . كذلك فإن قواته أخذت تخالف الأوامر ولا تلتزم بالاتجاهات المحددة لها .

قتلى وجرحى وأسرى من رتب عالية :

لم تتوقف القوات المصرية ، فهاجمت قوات (نتكه) ولم ينج رجاله أيضاً من المصير الذي لقيه رجال القوة الأخرى ، وأصيبت في اللحظات الأولى عشر دبابات تابعة له واشتعلت فيها النيران . . . وقد أصيبت أيضاً دبابة الكولونيل عساف ياجورى الذى انقض عليه عشرات الجنود المصريين وقاموا بأسره .

واستمر المصريون في ضغطهم وسقطت عدة قذائف أخرى في وسط قيادة آدن ، وتوالت شكاوى قواته الأمامية عن نقص الذخيرة والوقود . وكشفت التقارير عن حدوث فوضى بين القوات وبقي لكل واحد من اللوائين الموجودين في الأمام دبابات معدودة ، واستغل المصريون الموقف فانقضوا بمجموعات كبيرة من الدبابات والمشاة على قوات (آدن) المنهكة وكان ذلك قبل مغيب الشمس .

وطلب اثنان من القادة الإذن بالانسحاب ، وفي أثناء بحث الطلب أعلن أحدهما أن الدبابات المصرية تهاجمه . . . ومع الليل توقفت هذه المعارك . واجتمع القادة في غرفة عمليات الجبهة ولخص جونين الموقف الصعب بقوله :

« علينا بالانتظار . ولن نعبر القناة ولن نصل إلى الحصون ، المحاصرة ، بل لن نقرب من القناة وسنتوقف على طريق البطاريات الذى يبعد تسعة كيلومترات عنها » .
لقد كان هذا اليوم لصالح المصريين . وكان يوماً سيئاً لنا . وقد تحول وضع حصون بارليف إلى ماهو أسوأ بصفة كاملة .

وقد تم تقسيم الجبهة بعد ذلك إلى أربعة قطاعات :
وكان قائد القوات المتواجدة في أقصى الشمال هو (كالمان ميجن) وعلى مقربة منه في مقابل الفردان والقنطرة قوات (إبراهيم آدن) ، وإلى الجنوب منها (أريك شارون بقواته ، ثم في أقصى الجنوب قوات (ألبرت مندلر) .
من جهة أخرى زاد موقف قواتنا المتبقية في معقل بارليف سوءاً وتعقيداً وتأكد من المحاولات التى بذلت لإنقاذهم أنها تكلفنا ضحايا أكثر فقد أخذ عدد القتلى يتزايد بشكل واضح وبصورة كبيرة . ولذلك فقد أصبح أى عمل بهذا الهدف ميثوساً منه .

.....
بلغت نسبة المصابين والقتلى في قواتنا حدًا كبيراً فقد تجاوزت النسبة العددية للقتلى والجرحى في هذا اليوم القتالى كل ما عرفه جيشنا في الحروب السابقة .

ماذا أقول لهم ؟

دعيت هذا المساء لعقد مؤتمر صحفى ضخيم يحضره أكثر من ٣٠٠ صحفى وتنقله شاشة التلفزيون وقد وصلت إلى مكان المؤتمر عقب انتهاء جلسة الوزارة - وكان موشيه ديان قد سبقنى إلى الحديث بالأمس وقال كلاماً كثيراً . . قال إن المصريين سينالون ضربة قاسية . . وقال إنه لم يكن ليتمنى أن يرى نفسه مصرياً في نهاية هذه المعركة .
هذا بعض ما قاله . . ولو رآه اليوم الذين رأوه بالأمس . . لكان قد هالهم تغير وجهه .

ولكن ماذا أقول أنا ؟ إن العميد بينيه لاهف (الناطق باسم الجيش) يطلب منى أن أبدو متفائلا ولكن المعلومات التى توافرت في غرفة العمليات قاسية ومؤلمة . ولكن هل أعبر عن هذا الواقع . . متجاهلا الحالة المعنوية لجنودنا في الجبهة وما سيصيبها من جراء ذلك ؟ ثم ماذا يقول الجمهور الذى تعود أن يسمع انتصارات جيش الدفاع المتتالية ؟ ثم إن أحداً لا يعرف حتى الآن ما جرى لنا فوق الجولان . . أو ما حدث من انهيار وضياح

بدأ المؤتمر على أى حال . . ووجدتني أقول وأنا أدق المنضدة بيدي :

« إن قوات جيش الدفاع قد شنت في الجبهتين هجوماً مضاداً ناجحاً . لقد بلغت قواتنا قناة السويس في عدة نقاط ، وإنها في سبيلها إلى بلوغ خطوط وقف إطلاق النار في الجولان .

إن قواتنا قاتلت بشجاعة نادرة ، ولقد أثبت هذا الجيل العسكري أنه يتفوق على الجيل الذي حقق النصر في عام ١٩٦٧ .

لقد انتهت منذ صباح اليوم المرحلة الأولى من الحرب ، وهي المرحلة التي تشمل على احتواء العدو إلى أن تصل التعزيزات . إننا نصد العدو ونواصل تقدمنا على طول الجبهة .

وإنني أؤكد لكم أننا - في سيناء - نوشك على تدمير الجيش المصري ، وقد قامت قواتنا الجوية بضرب القوات المعادية ، ويتم اليوم إسقاط العشرات من طائرات العدو في سيناء .

إننا سوف نسحق عظامهم ، وندق لحمهم ، وسيستغرق ذلك من الوقت ما يستغرقه ، وسوف نلاحقهم حتى التدمير الشامل لقواتهم ومعداتهم .

وهنا سألتني أحد الصحفيين عن الأماكن التي لا تزال القوات السورية موجودة فيها ، فقلت له : إنني لا أستطيع توضيح ذلك على الخرائط . . لأن ذلك بالنسبة لكم لن يكون واضحاً بالقدر الكافي . ولكنني أقول لكم إنهم اقتحموا العمق في ثلاثة قطاعات هي شمال القنيطرة وبالقرب من كوشينه وفي قطاع رايبد . . وفي جميع هذه القطاعات تم تدمير القوات السورية أو صدها . ولا توجد قوات سورية حتى الساعة التي أتحدث إليكم فيها الآن ، إلا في قطاع رايبد على بعد بضع مئات من الأمتار داخل الأراضي التي كنا نسيطر عليها قبل هجومهم في ٦ أكتوبر .

واتجه صحفي آخر بسؤال وجهه إلى عن الجبهة المصرية فقلت له : « إن المصريين نجحوا في إقامة ثلاثة رءوس للجسور ، أحدها في قطاع القنطرة شمالا ، والثاني في الإسماعيلية في الوسط ، والثالث في مدينة السويس . وانطلاقاً من هذه الجسور دفع المصريون قوات إلى مسافة أكبر داخل سيناء . ونجحنا نحن خلال هجومنا المضاد اليوم في صد هذه

القوات ، وتحديد مساحة رموس الجسور التي أقامها المصريون إلى حد كبير ، وأقول لكم إن دباباتنا تحاصر رموس الجسور هذه حالياً .

.....

واختتمت حديثي إلى مئات الصحفيين بقولي :

« إن جنودنا المحاربين أثبتوا أنهم أعظم الجنود . لقد استطعنا بفضلهم أن نوقف تقدم العدو ، وقد استمرت المرحلة الأولى من السبت ، وتم تجنيد الاحتياط في يوم الأحد ، وقمنا أمس بتهيئة أنفسنا للمعركة ، ونفذنا الهجوم المضاد صباح اليوم . وبالنسبة لسلاحنا الجوي فإنه قدم عوناً كبيراً في معارك جو - جو ، ولم تستطع طائرات العدو في جميع المعارك أن تسقط طائراتنا ، وقد سقطت طائرات سورية ومصرية فقط .

يوم أكثر سواداً . .

وديان ينهار تماماً

كان هذا اليوم (٩ أكتوبر ١٩٧٣) وهو رابع أيام الحرب ، من أصعب أيامنا بشكل عام ، وأشدّها صعوبة بالنسبة لديان بشكل خاص لقد تضاعفت أزمته التشاؤمية بعد فشل عمليات أمس في الجبهة المصرية وكثرة الخسائر التي تكبدناها . . . وقد دخل علينا اليوم في غرفة العمليات ممتع الوجه تلمع حبات العرق في جفن عينه ، وأعاد علينا ما قاله في ثانی أيام الحرب حول ضرورة الانسحاب إلى الخط الثاني في سيناء ، وأهمية تعزيز هذا الخط . وكان ينقل يده المهتزة على خريطة العمليات مشيراً إلى المناطق التي يتحتم الانسحاب إليها ، وكان واضحاً لنا أنه يقصد الانسحاب العميق إلى ما وراء ممر متلا وحتى الجبال الواقعة في المثلث الشرقي لشبه جزيرة سيناء قرب جبل (مراره) .

ولم نناقشه نحن طويلاً . حول هذا الانسحاب ، كما أنني لم أصدر الأوامر بذلك . ثم حدث أن طلب ديان عقد مؤتمر صحفي في نفس اليوم وطلب من قائد السلاح الجوي (بنى بيلد) الانضمام إليه في هذا المؤتمر الخطير

وكم كان ميسوراً بالنسبة للصحفيين أن يستتجوا التطورات الخطيرة التي ستعلن لهم . . فقد بدا وجه ديان أكثر عصبية وانفعالا كما كان وجه (بيلد) مكفهراً (خاصة وأنه علم منذ قليل أن ابنه البكر - وهو طيار فانتم - قد أسقط المصريون طائرته بالقرب

من القناة وشوهد وهو يهبط في أرض العدو) .

ومع ذلك فوجئ الصحفيون الإسرائيليون حينما بدأ ديان حديثه قائلاً : « فلتعلموا جيداً أنه لم تعد لدينا الآن القوة لطرد المصريين إلى ما وراء القناة بدون أن نستنزف قواتنا بصورة كلية تقريباً ، وإذا ما نحن فعلنا ذلك ، فسنخسر قواتنا تماماً ، وسنبتى في دولة إسرائيل بلا قوة .

إن ما يجب علينا عمله الآن هو أن ننظم قواتنا في الخطوط الخلفية ، وفي القسم الجنوبي من سيناء ، فالطريق مفتوحة هنا أمام المصريين للوصول إلى أبورديس . وأنا أشك في مقدرة قواتنا على إغلاق الخط ، وعلينا أن نقوم بتعزيز خط في مكان ما بين القناة وسلسلة الجبال ، بحيث لا يستطيع العدو اختراقه ، ولن يتمكن العدو من اجتياز هذا الخط ، إذا ما أعددنا أنفسنا بصورة جيدة . .

واستمر ديان في حديثه . . والصحفيون يتبادلون فيما بينهم نظرات التساؤل والقلق واليأس ، إلى أن أضاف موشيه قائلاً :

إنني سأقوم بإعلام الشعب الإسرائيلي بذلك . نعم لا بد أن يعرفوا ما يجري الآن إنني سأذيع بياناً في التلفزيون في التاسعة مساء .

زاد ذهول الصحفيين ، واندفع (جرشوم شوكن) أحد محرري الهآرتس قائلاً :
« إنك إذا قلت للشعب ما قلته لنا الآن ، فإن ذلك سيغني زلزالاً ، في وجدان الشعب الإسرائيلي . وسيكون تأثيره بالنسبة للعرب خطيراً علينا » .

وساد صمت ثقيل . ولم تمر دقائق على انتهاء المؤتمر حتى وصل إلى جولدا مائير تقرير تفصيلي بما ذكره ديان - ثم اتصل بها أحد الصحفيين وقال لها مترعجاً : « يجب أن تمنع إذاعة خطاب الجنرال ديان . فلتتصرفي بأسرع ما يمكن . . إن الأمر خطير للغاية . . »

وقد تم بالفعل الاتصال بالمسؤولين في الإذاعة - وكان ذلك في الثامنة مساء وأبلغوا بإلغاء خطاب ديان . وبدلاً منه قام (أهارون ياريف) بتوجيه كلمة موجزة قال فيها « إن الوضع ليس سهلاً ، وإن الحرب ستطول » . وكانت هذه هي المرة الأولى التي يعرف فيها الشعب بعض جوانب الحقيقة ، وكانت الصدمة شديدة .

أما ديان فقد استمر في ترده وتهربه من اتخاذ أي قرار مكثفياً بتلك الجملة التي يشفع بها كل رأى له (إنها مجرد مشورة وزارية) حتى أنه لم يشارك فعلياً في اجتماعات مجلس الحرب الذي تقلص بسفر بنحاس سايبير إلى الخارج لجمع الأموال ، ووجود

أباييان في الولايات المتحدة ومرض (حاييم جباني). وبذلك لم يبق مع جولدا سوى إيجال ألون ويسرائيل جاليلي . أما هو ديان فكان لا يحضر الجلسات إلا قليلاً خاصة إذا كان هناك قرار يجب اتخاذه ولا يريد هو تحمّل مسؤوليته وإنّي أذكر الآن كيف تصرف أثناء حرب ١٩٦٧ حين طلب مني (قبل نهاية الحرب بقليل) أن أقود عملية اقتحام الجولان - بدون استشارة رئيس الحكومة .

.....

لا مفر من التركيز - الآن - على جبهة واحدة :

وافق مجلس الحرب - بعد تردد - على قراري بنقل مركز الثقل إلى الجبهة السورية ، وكان النقاش حول قراري هذا قد بدأ منذ يومين عندما اقترحت توجيه قوات احتياطية أخرى إلى هذه الجبهة - وكان من المعارضين لاقتراحي اللواء « طال » الذي أصبح يخشى التطورات الجديدة وقال : إن من الضروري أن نحافظ بهذه القوة تحسباً للأمر غير المتوقع . لكنني صممت على قراري - في ذلك الوقت - ووصلت هذه القوات بالفعل إلى الجولان . . وكان وصولها في اللحظات العصبية من الانقضاء السوري .

هذا وقد بنيت قراري الجديد بنقل مركز الثقل إلى الجولان على عدة عوامل منها فشل الهجوم المضاد الذي جرى بالأمس على الجبهة المصرية ، وصعوبة تحقيق شيء نساوم به في هذه الجبهة في مقابل سهولة ذلك - نسبياً - على الجولان كما أن أي تطورات جديدة لصالح السوريين ستكون تهديداً مباشراً وسريعاً للبلاد .

بالإضافة إلى خشية استثمار الأردن للإنجازات العربية ، وفتحه للجبهة الشرقية . كما أنه وصلت للتو أنباء عن تحرك قوة عراقية قوامها حوالي ستة عشر ألف رجل ومعهم مائتا دبابة إلى الجبهة السورية للعمل منها إلى جانب قوات سوريا .

وبدأ تنفيذ الخطة الجديدة بتوجيه ضربة جوية في الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق إلى دمشق نفسها ، فأصابت قذائف الفانتوم وزارة الدفاع وقيادة السلاح الجوي ومبنى محطة الإذاعة كما أصيب حي أبو رمانة الرائي بما فيه من سفارات كثيرة إصابات شديدة ، وضربت طائراتنا أيضاً محطة الكهرباء وخزان الوقود في مدينة حمص ، ثم ضربت محطة الرادار اللبنانية في الباروك لأنها كانت تنقل المعلومات بصورة مستمرة لسلاح الجو السوري .

ولم يكن الأمر سهلاً بالنسبة لطيارينا فلقد تعرضت الموجات المتتالية لنيران الصواريخ السورية . وسقط لنا بالفعل عدد من طائرات الفانتوم والميراج .
ومن ناحية أخرى دارت معارك المدرعات ، وكانت أقسى هذه المعارك ما دار في منطقة حسينية ، فقد شهدت هذه المنطقة المعركة الرئيسية حيث حدث تداخل بين قواتنا والقوات السورية مما عطل طيراننا عن العمل فترة طويلة كما أن القطاع الشمالي شهد أيضاً معارك متعددة .

الجبهة المصرية تحتم إجراءات تعديلات في القيادة :

تأكدت أهمية إجراء تعديلات في جبهة سيناء وقد اقترحت على حاييم بارليف ، (صديقي الذي عملت فترة طويلة تحت رئاسته) أن يكون مسئولاً عن قائد الجبهة الجنوبية « شموييل جونين » وقد شرحت له سوء الوضع في الجبهة . . والخلافات الحادة بين جونين وشارون وقد وافق على اقتراحي لكنه اشترط أن يتلقى موافقة موشيه ديان وجولدا مائير .
وبينا كان هو في طريقه إلى منزله للاستعداد للتوجه إلى الجبهة ، أخبرت ديان ورئيسة الحكومة باقتراحي .

وما كاد بارليف يصل إلى منزله حتى اتصل به ديان تليفونياً وسأله : هل أنت مستعد فعلاً للتوجه إلى الجنوب واستلام القيادة ؟ وأجاب بارليف بالإيجاب .
فقال له ديان : « أعتقد أنه ليس هناك فهم واضح لما يجري في الجنوب ، وليس واضحاً بالنسبة لي ما يجري هناك ، ولا أعتقد أن ذلك واضح لأليعازر أو غيره » .
وبعد هذه الكلمات بدقيقتين اتصلت به جولدا مائير وأعربت عن تأييدها للقرار وقالت له إنها سوف تبلغ ذلك للوزارة في جلسة الليلة .

ومن جهة أخرى تم الاتفاق مع موردخاي هود على التوجه مع بارليف إلى سيناء وقد تقبل جونين وصول بارليف كمندوب لي وقائد أعلى للجبهة بضييق واضح لكنه ما كان يملك سوى القبول والتنفيذ .

.....
.....

هذا بينما وحدات الكوماندوز المصريين تواصل أعمالها خاصة في منطقة رأس سدر والخليج ، تركز القوات المصرية على طول القناة بسرعة ، وكانوا قد نقلوا حوالي سبعمائة

دبابه إلى سيناء ، وتم إصلاح الجسور التي أصيبت ونقلت عليها كميات كبيرة من المواد التموينية ، كما تم مد خطوط المياه والمحروقات وأجهزة الاتصال تحت سطح مياه القناة .

ومن ناحيتنا تم تعزيز الشبكة التموينية ، ولكن المشكلة الرئيسية التي واجهتنا كانت في المدرعات إذ أن أعداداً كبيرة من دباباتنا لم تعد صالحة للعمل . وقد ألحق المشاة المصريون كثيراً من الخسائر بسلاحنا العتيد ، ولم يكن هؤلاء المشاة هم المفاجأة الوحيدة لنا ، إذ أن تقارير مخابراتنا لم تكشف شيئاً عن ذلك النوع من الصواريخ الذي استخدمته الطائرات المصرية (صواريخ قلط جو - أرض) وقد دمر به الطيارون المصريون عدداً من الأهداف وكان من أهمها شبكة الرادار الرئيسية في سيناء .

وكانت المفاجأة الأخرى هي المدافع ذات القطر ١٨٠ مم ، والتي يصل مداها إلى حوالي أربعة وأربعين كيلومتراً .

اليوم طلب منى جونين عزل شارون لعدم انضباطه وقيامه بهجوم دون أوامر خسر فيه عشرين دبابة واهتمامه بأفكاره الخاصة ولم يكن الموقف يسمح بتنفيذ طلب جونين ورجوته محاولة التفاهم معه .

١٠ أكتوبر ١٩٧٣ :

وصلت مساء أمس الطائرات التي أرسلتها الولايات المتحدة تعويضاً عن جميع الطائرات التي سقطت لنا حتى الآن - وقد وصلت هذه الطائرات من القواعد الأمريكية في أوروبا . وقد طبعت عليها إشارة سلاحنا الجوي ، وبالتالي فإنها دخلت المعارك بعد لحظات معدودة .

لقد كانت نسبة التدمير في أسلحتنا كبيرة ، ونهاية الحرب لم تظهر بعد ولم تكن واشنطن ترغب حتى الآن في الإعلان عن مساعداتها العسكرية لنا ، ولذلك لم يكن ما يصل إلينا حتى الآن كافياً لاحتياجاتنا ومع ذلك فقد قال أكثر من مسئول أمريكي كبير لرجالنا هناك . من المهم جداً أن تلقوا العرب درساً قاسياً .

وقد حددنا في القائمة الكبيرة التي طلبناها على وجه السرعة أصنافاً معينة من الأسلحة بالإضافة إلى الطائرات والمدرعات . طلبنا صواريخ (تاو) المضادة للدبابات - وبالرغم من أن الوحدات الأمريكية نفسها لم يكن لديها هذه الصواريخ بصورة كافية . . فإننا أبلغنا

سفيرنا وملحقنا العسكري بالإصرار على أن تتضمن شحنات الجسر الجوي كميات كبيرة من هذه الصواريخ ، وأيضاً من البندقية الحديثة (م ١٦) .
وكان مكتب الملحق العسكري الأمريكي في تل أبيب يتلقى تقارير مفصلة عن كل التطورات وعن الخسائر التي تقع في الأسلحة والمعدات والأفراد ، وكان يبلغها بدوره إلى مجموعة العمل الخاصة بمنطقتنا والتي كانت تضم كيسنجر وشيلزنجر وقادة الأسلحة والمخابرات .

كما أن جولدا مائير عاودت الاتصال من خلال التليفون المباشر بالرئيس الأمريكي نيكسون . . وأخذت توضح له خطورة الموقف والحاجة الماسة والعاجلة لكميات كبيرة من الأسلحة والمعدات والأجهزة الإلكترونية .

وقد أخذ نيكسون يهدئ من روعها . . ووعدها من جديد بأن الولايات المتحدة لن تتخلى عن إسرائيل في هذه الظروف الحرجة وقال لها إنه سيحسم على الفور مشكلة وسيلة نقل الأسلحة المطلوبة .

تم استدعاء عدد من كبار الجنرالات للخدمة فوراً . . وعاد بالفعل رجبعام زئيفي ، وأهارون ياريف ، ويشعياهو جافيش . .

وقد وصل صباح اليوم حاييم بارليف إلى غرفة العمليات بجهة سيناء . وقال لجونين بمجرد أن التقى به :

« إنني ليس لي أى مصلحة في المساس بمنصبك ، ولا يزعجني أن يكون دافيد إليعازر قائدى الآن وهو الذى كان تحت إمرتي في السابق كما تعلم ، فأرجو ألا يزعجك كونى قائداً » .

وقد وقع بارليف في تناقض واضح عندما تحدث بعد ذلك بقليل إلى رجال القيادة وقال لهم :

« أنا لست قائد الجبهة ، فصلاحيات قائد الجبهة مازالت في يد جونين وأنا هنا القائد الأعلى في الجبهة مع كامل الصلاحيات » .

هذا وقد كانت الجبهة هادئة إلى حد ما . لكن المعارك الثابتة لم تقلل من عدد المصابين ، وكان المصريون يسبقون كل هجوم مهما كان صغيراً بقصف مدفعى شديد وثقيل ، وكانوا يكثرون من دفع ضباط استكشاف يتسللون عبر خطوطنا ، ويقومون بتوجيه نيران مدافعهم . وكانت إصابات رجال مدرعاتنا كثيرة متزايدة ، وكان الباقون منهم يعملون ليل نهار

دون أن يغمض لهم جفن .
ولقد كانت هذه هي الحرب الأولى بالنسبة لجيشنا التي يقوم فيها الأطباء بمعالجة عدد كبير جداً من الجنود الذين أصيبوا بالصدمات النفسية والعصبية .
اتضح اليوم مصير عدد من رجال المدرعات ورجال تحصينات خط بارليف . فقد نشر المصريون في صحفهم صور العديد منهم بعد أن وقعوا في الأسر .
في الجبهة السورية حققت قواتنا - برغم الخسائر الكبيرة - قدراً كبيراً من حسم المعركة بصد الهجمات المضادة وللمرة الأولى أصبح لدى القادة والجنود وقت لمراجعة حساباتهم .

اليوم السادس للحرب (١١ / ١٠ / ١٩٧٣) :

اتجهت اليوم إلى جبهة الجولان ، والتقيت بعدد من قادة الألوية وقد جرت المقابلة في خط الجبهة شمالى معسكر « نافع » ، والتف حولى القادة داخل مصفحة (رفائيل ابتان) . . .
كانت عيونهم منهكة وذقونهم مستطيلة لم تحلق منذ نشوب القتال .
كان يبدو عليهم الإحساس بأن مهمتهم بصد السوريين عن الجولان قد انتهت ولكن في نفس الوقت الذى كان يسقط فيه المزيد من مئآت القتلى . كان على أن أحدد لهم المهمة الجديدة وهى اقتحام تجمعات السوريين . وكم كنت أتمنى لو كلفت بهذه المهمة ضباطاً وجنوداً غيرهم . لكن ما الحيلة وقد أخذ مخزون الطاقة البشرية فى الجيش يهبط بشكل واضح ؟

أخذت أشرح لهم الأمر بكل الطرق وبكل مالمدى من قدرة شرحت لهم فى البداية الوضع على الجبهة المصرية (وكانوا لا يعرفون الكثير عنها) . قلت لهم : (إن فرصة الحسم تعنى القضاء على الجيش السورى . إننا مضطرون للقيام بذلك لأن فيه أهمية كبرى . .)
وفى الوقت الذى كنت أتحدث فيه إليهم كانت طائراتنا تندفع بالعشرات نحو المواقع السورية للقيام بالمهام التمهيدية للخطة التى وضعتها وقد تعلقت الأبصار بإحدى هذه الطائرات وهى تعود مترنحة يتصاعد الدخان من ذيلها ثم تسقط فى موقع قريب بعد أن ظهرت مظلة الطيار فى السماء .

هذا وقد كان ديان أحد القلائل الذين وقفوا إلى جانبي ضد الكثيرين فى القيادة الذين لم يوافقوا على خطتى فى البداية وقد تحددت الخطة بأن يجرى الاقتحام فى محورين بحيث

تقوم فرقة « دان لير » بشق طريقها على الطريق الرئيسية القنيطرة - دمشق ، بحيث تتمكن من اقتحام تجمع القوات السورية قرب خان أرنبه . وفي الوقت نفسه تقوم قوات رفائيل بالتغلغل في المنطقة الجبلية في القطاع الشمالي لهضبة الجولان لتؤمن الجانب الأيسر .

ومع خطوات التنفيذ أبدت المفازر السورية الأمامية مقاومة جريئة تسببت في إيقاع خسائر جديدة في قوات (دان لير) . . وكان السوريون يطلقون من بيوت قرية أرنبه نيراناً غزيرة دمرت العديد من المصفحات وأنت على أطقمها . حتى أنه لم يسلم من القوة التي بدأت الاقتحام سوى ثلاث دبابات فقط . وفقدت القوة الأخرى عشرين دبابة لكن قوات رفائيل وصلت في المساء إلى مسافة ٤٠ كم من دمشق . . ولأول مرة تظهر دلائل الانتعاش على وجه ديان وخاصة أن أخبار بدء الجسر الجوي الأمريكي قد أصبحت مؤكدة . في الجبهة المصرية دارت معارك ليلية اتضح فيها أن المصريين قد تدربوا أيضاً على القتال الليلي بشكل جيد . .

ولم تكن المعارك التي دارت اليوم نهائياً أو ليلاً بمثل عنف المعارك في الأيام السابقة . وقد اهتمت القوات المصرية بتدعيم مواقعها الجديدة ورؤوس الكباري ، وأخذت قواتنا تعيد تنظيم صفوفها .

١٢ أكتوبر ١٩٧٣ :

تحت ضغط شارون بذلت محاولة أخيرة لإنقاذ قواتنا في موقع لسان بور توفيق وألقيت المهمة على عاتق وحدة من الكوماندوز البحريين ، وكان الهدف هو القوم في قوارب عن طريق البحر لإخلاء الرجال من الموقع الحصين . وبعد أن قامت القوة بدراسة الخرائط ، خرجت إلى مهمتها ، لكنها لم تكمل تقرب من هدفها حتى شق سكون الليل قصف مصرى ثقيل كان مصدر معظمه مدفع ١٣٠ ملمياً وتوالت الانفجارات وأصيبت القوارب وأغرقت بمن فيها .

وصل حاييم بارليف من سيناء وتباحث معي في خطة عبور قواتنا إلى غرب القناة وطلبت أنا منه الانتظار حتى يحضر ديان وترضى عليه الخطة هو الآخر ، ثم قمت بالاتصال بإسرائيل ليثور السكرتير العسكري لجولدا مائير وطلبت عقد اجتماع لمجلس وزراء الحرب من أجل بحث اقتراح عبور قناة السويس .

وجاء ديان وبدأ اللقاء الذي اشترك فيه أيضاً سكرتيره العسكري (يشعيا هو ريب) .

وقد سأل ديان « ما هو هدف العبور ؟ » وكان يقصد بذلك على ما يبدو ، الاستيضاح عن الاتجاه الذى ستسلكه القوات غربى القناة لو تمكنت من العبور ، واعتقد بارليف للحظة أن وزير الدفاع يشك فى قائد العملية كلها فقال له (إن هذه هى الحركة الوحيدة التى يمكن أن تشكل ضغطاً على المصريين لأنه ليس هناك حتى الآن أى ضغط عليهم ، ولا حتى ضغط سياسى .)

وقال ديان : « اتركوا المسألة السياسية جانباً وابعثوا الأمر من الناحية العسكرية وعليكم أن تقرروا فيما إذا كان بالإمكان تنفيذ الخطة من هذه الناحية فقط . . » .
قال ديان هذه الكلمات . ثم غادر الغرفة بدون أن يحدد موقفاً وكان الاضطراب بادياً على بارليف وعلى أنا أيضاً . . وقد شعرت بالحيرة فهل سأعرض الاقتراح على مجلس وزراء الحرب وأنا لا أعلم إذا كان وزير الدفاع سيؤيده أم يعترض عليه ؟
. . . عدت إلى الاتصال بسكرتير ديان وشرحت له الأمر وقلت « إننى لن أذهب إلى جولدا بدون وزير الدفاع ، وإذا كان معترضاً عليها فليس هناك مجال لبحثها . . وعلى الجنرال أن يحدد موقفاً) .

وبعد دقائق معدودة اتصل بى (ريبب) وأخبرنى بأن ديان سيشارك فى الجلسة مع جولدا عند عرض الخطة .

وذهبت أنا وبارليف إلى الاجتماع الذى اشترك فيه مع رئيسة الحكومة كل من ديان وآلون وإسرائيل جاليلى ، وتحدث بارليف عن وضع القوات على الجبهة وعن فرص العبور ، وأيدته أنا كما أيدته (بينى بيلد) قائد الطيران والحقيقة أننى كنت أرغب فى عملية عبور مبكرة لكن آلون اعترض على العملية . . وبدأ الرأى يميل إلى الانتظار حتى يتضح موقف القوات المصرية وهل ستطور هجومها وبالتالي تتغير أوضاعها أم لا ؟ . . وأثناء انعقاد الجلسة وصلت صور جوية (. .) وضحت أن المصريين بدأوا ينقلون على الجسور باتجاه سيناء فرفقتيها المدرعتين الثقيلتين « الرابعة ، والحادية والعشرين » ، بالإضافة إلى فرقة آلية . وكان معنى ذلك أن المصريين فى نيتهم فعلاً استئناف الهجوم وهكذا سيتركز حوالى ١٢٠٠ دبابة فى الحزام الضيق الذى تشكله رؤوس الجسور فى سيناء كما ستكون المنطقة الواقعة غربى القناة خالية إلى حد كبير .

وهكذا فإنه رأى تأجيل اقتراح العبور . . حتى وقت آخر انتظاراً لتبلور موقف القوات المصرية ولأشياء أخرى .

من ناحية أخرى تعرضت قوات (دان لير) لهجوم مفاجئ من القوات العراقية التي وصلت إلى الجبهة السورية ، كما تعرضت قوات رفائيل إيتان لهجوم من قوة مغربية مدرعة تعمل مع السوريين منذ بدء القتال .

وقد احتاج الأمر إلى بعض الوقت لإعادة تنظيم قوات (دان لير) وقوات (رفائيل) والخروج من الكمائن التي تظهر فجأة .

هبطت اليوم في أحد المغارات أولى طائرات الجسر الجوي الأمريكي وكانت تحمل ذخيرة وقطع غيار وأجهزة إلكترونية .

١٣ أكتوبر ١٩٧٣

دخلت معظم الدول العربية إلى المعركة مع مصر وسوريا ، بشكل أو بآخر ، فقد وقف اللواء المدرع الأردني والذي يضم ثمانين دبابة باتون على مسافة حوالي خمسة عشر كيلومتراً من قواتنا فوق الجولان ، وفي الوقت نفسه كان يتم نقل عربات مصفحة سعودية من إنتاج فرنسي على الطرق الأردنية باتجاه سوريا وبدأت ليبيا بتحميل السفن بدبابات من اللواء المدرع الذي سيتوجه إلى مصر ، وكان المغاربة سيرسلون هذه المرة وحدة إلى مصر ، كما أن الكويت قررت إرسال لواء مدرع مصغر إلى الجبهة المصرية .

والمعروف عسكرياً أن هذه القوات لا تشكل خطراً حقيقياً علينا وخاصة أنها تصل إلى جبهات القتال دون تنسيق أو تدريب مشترك سابق لكنها دليل على اقتراب العرب بعضهم من بعض كجبهة واحدة . .

استمرت اليوم عملية نيكل جراس وهي عملية الجسر الجوي الأمريكي بقيادة وإشراف الميجور جنرال «مارتشي كيسي» أحد كبار المسؤولين في وزارة الدفاع الأمريكية وقد انطلقت الطائرات الأمريكية الضخمة من طراز جلاكسي سي ٥ وسي ١٤ من القواعد العسكرية حيث تم تحميلها بالمعدات والأسلحة .

وعلاوة على عملية النقل هذه ، قام البنتاجون بإعدادات لنقل طائرات حربية إلى إسرائيل ، وصدر الأمر إلى قائد سلاح الجو في ولاية كارولينا الجنوبية لإعداد سرب من طائرات الفانتوم لرحلة طويلة ، وطلب منه إزالة العلامات المميزة لسلاح الجو الأمريكي عن هذه الطائرات قبل توجيهها إلى إسرائيل . وقد تم ترتيب تزويد هذه الطائرات بالوقود في المحيط الأطلسي سواء في الجو أو على حاملات الطائرات التابعة للأسطول الأمريكي . وفي الوقت

نفسه صدر أمر إلى قاعدة (بييز) الجوية في (نيوهامشاير) لإرسال ثلاث طائرات تزويد وقود من طراز كمية سي ١٣٥ إلى ثلاثة أمكنه فوق المحيط الأطلسي .
هذا وقد امتنعت دول حلف الأطنطى عن تزويد هذه الطائرات خوفاً من قطع النفط العربي عنها .

المهم . أنه بعد فشل عمليات الإمداد السابقة عن طريق طائرات العال وبعض السفن . . أصبح هذا الجسر الجوي الأمل الوحيد لنا حتى نتماسك ونستعيد أنفاسنا . . من جهة أخرى قامت طائرة التجسس الأمريكية إس . ار . ٧١ باختراق المجال الجوي للدول المتحاربة الثلاث . وقد التقطت صوراً جوية غاية في الأهمية . الموقف بالنسبة لقواتنا على الجولان غير مقلق .

في الجبهة المصرية لم يبدأ بعد هجومهم المدرع المتوقع على ما يبدو فإنهم لم ينقلوا بعد جميع فرقهم المدرعة إلى سيناء ولذا كانوا يكتفون بالقصف الثقيل وبمعاارك مدرعة محلية . . بالنسبة لقواتنا فهي تواصل تنظيم صفوفها . وقد استعوضت الألوية خسائرها بالمدرعات والمعدات الجديدة لكن المشكلة ما زالت متمثلة في تعويض الرجال الذين ماتوا أو فقدوا أو أسروا . وقد قامت طائراتنا اليوم بغارات عديدة على بورسعيد وبرغم الخسائر التي تعرضت لها فإن عدداً من قواعد الصواريخ المصرية أمكن تدميره أو تعطيله . ولم تكتشف الطائرات مواقع صواريخ سكود (الأرض - أرض) والتي يبلغ مداها ثلاثمائة كيلو متر .

نهاية مؤلة :

ثار اليوم جدل حول موقف قواتنا في حصن لسان بور إبراهيم (بور توفيق) وطلبهم الاستسلام للقوات المصرية التي تواصل حصارهم والضغط عليهم ، وقال موشيه ديان رداً على اقتراحى « يجب ألا تطلب من جنود جيش الدفاع الاستسلام ، بل إن عليهم أن يقرروا ذلك بأنفسهم » ومن خلال الاتصال اللاسلكى المشترك بين مركز القيادة العليا وقيادة الجبهة وقائد الحصن . . قال شلومو (قائد الحصن) إنه ليس بإمكانهم الصمود وإنهم يريدون الاستسلام ، وقد تم الاتصال بالصليب الأحمر لترتيب عملية الاستسلام التي دعت مصر إلى مشاهدتها مراسلى وكالات الأنباء والصحف العالمية . . لتستغلها هى الأخرى إعلامياً [لقد انتهى خط بارليف] .

صدمة أخرى:

انتقلت إلى جبهة سيناء لعقد اجتماع لقادة الفرق في منطقة طاسة ، وكان معي في الطائرة الهليكوبتر حاييم بارليف ، ولحق بنا في طائرة أخرى جونين ، وجور ، ووايزمن . وبمجرد وصول طائرهم . . قرأنا في وجوههم حزناً شديداً . . وقال لنا جونين « إنه اتصل لاسلكياً من طائرته بالبرت ماندلر الذي كان قد عاد منذ دقائق من جولة بين قواته ، وكان يتحدث من داخل إحدى المصفحات حين انقطع صوته فجأة . . وعندئذ أحسست أن شيئاً خطيراً قد وقع ، وقلت لوايزمان (لا بد وأن أمراً ما قد حدث لألبرت) ، وبالفعل اتضح أن قذيفة مصرية دمرت العربة المصفحة التي كان يستقلها وأدت إلى مقتل أربعة آخرين غيره وكان من بينهم « رافي أونجر » المراسل الحربى لإذاعة إسرائيل « وقد أثار قلقنا تحديد المصريين لمكان ألبرت بسرعة بالغة ثم دقة استخدامهم للمدفعية .

لقد كان ألبرت من أفضل قواد مدرعاتنا وقد عمل تحت قيادتي في حرب ١٩٥٦ .

.....
« إنها صدمة أخرى »

.....
أصدرت قراراً بتعيين كالمال ماجن مكانه . . وكان قد تسلم منذ نشوب الحرب قيادة قوة في القطاع الشمالى من القناة .

١٤ أكتوبر ١٩٧٣:

قبل أن يطلع فجر هذا اليوم كنت ومعى مساعدى اللواء (طال) في غرفة العمليات الخاصة بالجبهة الجنوبية وعلى الفور بدأت اجتماعات متتالية .
كنا جميعاً مشدودين مثل زنبك هائل . فقد كان واضحاً أمامنا أن الهجوم المصرى بات وشيكاً .

وكان (إسرائيل طال) أكثرنا قلقاً . . فلم تهدأ حركته وظل يمشى في الغرفة الطويلة يقطعها ذهاباً وإياباً .

ولعل أهم أسباب توقعنا للهجوم المصرى الجديد هو اتصال دمشق بالقاهرة . وطلبها أن تضغط القوات المصرية على جيش الدفاع حتى يخف بالتالى الضغط على القوات السورية .

لم يدم انتظارنا طويلاً . . . فقد بدأ الهجوم المصري في السادسة صباحاً بقصف مدفعي ثقيل استمر يدوي ثلاثة أرباع الساعة ، كما قامت الطائرات المصرية بهجوم سريع وقد تعرضت بعض قواعد دفاعنا الجوي للتدمير من جراء هذا الهجوم وسقط عدد من الجنود قتلى وجرحى .

ثم قام المصريون بالهجوم على طول الجبهة مستخدمين ما بين ثمانمائة إلى ألفي دبابة دفعة واحدة .

لقد بدأت أضخم معركة مدرعات بعد الحرب العالمية الثانية .

.....

هدأ الهجوم في الثانية عشر ظهراً . . .

... اتصل بارليف بجولدا مائير في المساء طالباً الموافقة على العبور ، وقد قبلت الحكومة اقتراح رئاسة الأركان .

جولدا تقبل الطيارين الأمريكيين :

وصلت جولدا مائير اليوم إلى مطار (. . .) ، وقامت بمعانقة وتقبيل اثنين من الطيارين الذين قدموا أمامها . وسئل الطياران اللذان فوجئتا فيما يبدو ، عما إذا كانا يريدان أي شيء في الساعات القليلة التي سيقضيانها في إسرائيل ، فقال أحدهما إنه ليسعه القيام بجولة في القدس . . . وقالت جولدا لمرافقيها (جهزوا لهما سيارة . . . ونفذوا كل ما يطلبانه) . . . وكان قسم من المعدات التي وصلت في الطائرات الأمريكية لازماً جداً وبصورة ماسة لقواتنا في الجبهة ، فلقد استهلك جيش الدفاع الإسرائيلي كمية من الذخيرة تفوق الكمية التي تصورها المخططون ، كما تناقص بصورة مقلقة مخزون قذائف المدافع . . . خاصة قذائف المدافع (الأمريكية) بعيدة المدى من عيار ١٧٥ ملمياً ، وكانت هذه الذخائر والمعدات تنقل من الطائرات رأساً إلى الجبهة .

ولقد كنا في رئاسة الأركان نشعر بقلق شديد بالنسبة لمخزون الذخيرة اللازم لاستمرار الحرب ، فأصبح هذا الموضوع واحداً من الموضوعات الهامة التي لا بد من بحثها وحلها . وخاصة أنه ليس هناك أي دليل على اقتراب وقف إطلاق النار ، فالعرب لم يتحدثوا عن ذلك إطلاقاً ، ولم يتحرك أحد في الأمم المتحدة لإثارة اقتراح بإصدار الأمر بإيقاف النار ، وقد عبر عن ذلك موشيه ديان حين قال في قيادة الجبهة الجنوبية :

« إن العائلة الدولية لا تريد أن تربك العرب باقتراح لوقف النار ، وذلك خشية أن تكون الدول العربية غير مستعدة بعد ذلك . »

.....
ومن جهة أخرى فإن عدداً من (المستولين) الأمريكيين ، قد اتصلوا بجولدا وديان أكثر من مرة مطالبين بالإسراع في عملياتنا ضد القوات العربية ، وقال أحدهم لجولدا غاضباً :

(ماذا تنتظرون ؟ لقد أجبنا كل طلباتكم . . لماذا لا تسارعون بإنجاز أى شئ قبل أن يصدر قرار وقف إطلاق النار ؟)

١٥ أكتوبر ١٩٧٣ :

بدأ صباح هذا اليوم دون أن يقوم المصريون بالهجوم كما لم يتراجعوا عن محاولتهم باختراق الجبهة في هجوم مدرع شامل . وقد تخلوا عن فكرة شق الطريق إلى خليج السويس في أثناء الليل للوصول إلى حقول النفط . بعد أن تدخل سلاحنا البحري في محاولتهم .

كمين . . وخسائر :

تلقى جيش الدفاع ضربة أخرى حين قامت مجموعة من رجال الكوماندوز المصريين بالتمركز في المرتفع الرملي المجاور للطريق المؤدى لحصن بور فؤاد - وهو الحصن الذى لم يسقط حتى الآن - وقد أعد هؤلاء الكوماندوز كميناً لقافلة مدرعة إدارية إسرائيلية كانت في طريقها إلى الحصن ، وقد انهالوا عليها بقذائف آر . بي . جيه والصواريخ المضادة للدبابات وكانوا يطلقونها من مسافة قريبة جداً . مما أوقع بقواتنا خسائر كبيرة تصل إلى مائة قتيل وجريح . ولم يكن من الممكن إنقاذ بقية الأفراد والمدرعات إلا بدفع قوات نجده سريعة من دبابات ومظليين وقد استمرت المعركة خمس ساعات كاملة . . وتعرضت مجموعة الكوماندوز المصريين لعدة خسائر .

العبور المضاد :

تمت هذا المساء مراجعة الاستعدادات لعبور القناة إلى الغرب ، وقد ألقى على فرقة شارون أصعب مهمة وهي إقامة رأس جسر ، حيث انه أقدم قائد فرقة والأكثر خبرة واستعداداً

لهذه العملية بالذات .

... وقد كان متفائلاً أكثر من اللازم حتى انه قال لى : « إننا سوف نقيم جسرين خلال الليلة الأولى من العملية ، وقلت أنا له « إذا أمكن إقامة جسر واحد فسيكون ذلك أمراً حسناً) .

في الخامسة بعد الظهر بدأ التحرك الشامل . فتحركت وحدات العبور التي تحمل الجسور على المحاور الموصلة إلى طاسة ، وتحركت الوحدات الخلفية التابعة لشارون على الطرق الواقعة في القطاع الأوسط ومن الجنوب كان يصعد المظليون حتى يلتقوا في الطريق مع رجال الهندسة كى يلتقوا منهم قوارب المطاط التي يستخدمونها في عبور القناة . . . حدث ارتباك شديد في التحركات . . وانطلقت النيران المصرية بكثافة . . حتى ان معظم الآراء التقت حول ضرورة تأجيل العملية . . لكن شارون آثر أن يستمر برغم كل ما يحدث .

ويبدو أن المصريين - في أهم القطاعات بالنسبة للعملية - قد تصوروا في البداية أنهم بالفعل أمام قوات مصرية . . إذ أن قواتنا استخدمت دبابات روسية من التي غنمها في حرب ٦٧ ، وقد ظلوا في تصورهم إلى أن انطلقت نحوهم نيران قواتنا . . فأثرت فيهم المفاجأة . .

وبالرغم من نجاح بعض المظليين في الوصول إلى الضفة الغربية فإن النيران المصرية اشتدت مع منتصف الليل بصورة رهيبية . كما أن الكتيبة المدرعة التي كانت تسعى إلى توسيع رأس الجسر إلى الشمال قليلاً باتجاه المزرعة الصينية واجهت مقاومة عنيفة للغاية فلقد أدخل المصريون في العملية دبابات كثيرة ومفارز من المشاة حاملي الصواريخ المضادة للدبابات .

... وقعت خسائر كبيرة جداً في الكتيبة المدرعة . استدعيت سرية « رافي بارليف » لنجدها . . وبمجرد أن انضمت لبقايا الكتيبة فتحت عليها نيران الدبابات من الخلف ، وتلقت الضربة الأولى مصفحة (عامى فريدمان) التي تقدمت فرقة شارون ، واشتعلت فيها النيران ولم ينبج منها سوى اثنين فقط بينهما (عامى) الذي أصيب مع زميله بحروق شديدة . وفي الطرف الآخر من سيناء كانت المنطقة كلها عبارة عن ساحة قتال دامية . واستمات المصريون في محاولة سد الطرق في وجه قواتنا التي تحاول الدخول إلى غربي القناة .

وسقط قائد الوحدة الاستطلاعية (يو آب بروم) قتيلا (وكان قد حل مكان قائدها السابق الذى قتل فى الأيام الأولى للحرب) . . وأيضاً سقط (رافى بارليف) قتيلا ، عندما اخترقت قذيفة آر . بي . جيه برج دباباته . . فقتل هو ومن معه .

... صدر الأمر لبقاياكتيبة الدبابات وبقايا سرية الاستطلاع بالانسحاب من هذه المنطقة ومحاولة إخلاء الجرحى الكثيرين بمساعدة مصفحات تم دفعها نحوهم ، وإن كانت قد تعرضت هى الأخرى للضرب الشديد حتى ان قائد المصفحة الأولى التى كانت تقل (عامى) انحرفت لتقع فى كمين مصرى يقضى عليها وعلى كل من فيها ، بينما سقطت المصفحة الثانية فى القناة القريبة .

.....
١٦ أكتوبر ١٩٧٣ :

لم تتمكن من دفع أول دبابة إلى غرب القناة حيث كان المظليون الذين عبروا وحدهم إلا صباح اليوم .

ولم يكن المصريون غرب القناة يقومون بمقاومة حقيقية باستثناء القصف المدفعى القصير والشديد - أما بالنسبة للمحورين الرئيسيين المؤدبين من شرقى رأس الجسر إلى الشمال باتجاه المزرعة الصينية . . فهذان الطريقان كانا فى الواقع مسدودين تماماً بالمقاومة المصرية الشديدة . لقد تكبد المصريون فى معارك الليلة الماضية خسائر كبيرة - مثلما تكبدت قواتنا أيضاً - لكنهم نجحوا فى إغلاق هذين الطريقين . ولقد كشف صباح هذا اليوم عن بشاعة معارك الدبابات التى دارت طوال الليل ، حتى ان الدبابات المصرية والإسرائيلية المصابة كان يقف بعضها أمام بعض لا يفصل بينها سوى أمتار قليلة جداً .

.....
لقد تكبدت قوات الاختراق خسائر كبيرة ، ولم يبق منها سوى بضع عشرات قليلة كما قتل العديد من أفرادها . وكانت الدبابات المتبقية تفتقر إلى الذخيرة الكافية . وبينما كان الاتصال اللاسلكى يدور مع شارون . قام المصريون بغارة عنيفة للغاية . . وقد نقلت أجهزة الاتصال أصوات الانفجارات الشديدة التى وقعت بالقرب من قيادة شارون ولم يعد ممكناً سماع صوته .

تقرر إعفاء قوات شارون (المتبقية) من مهمة القيام بهجوم على مفرق الطرق كما تقرر انسحاب هذه القوات قليلا إلى شاطئ البحيرة المرة باتجاه حصن (لققان) لكي تستعيد تنظيمها . . وأصبح على قوات آدن أن تقوم بالسيطرة على القطاع الواقع شمال الجسر . وقد أرسل تقريراً عاجلاً يقول فيه (من جهتي فأنا لا أعتبر هذا رأس جسر على الإطلاق) .

الحبل السرى :

كان رأس الجسر بالفعل متداعياً وهزياً . . ولم يتمكن شارون من نقل أكثر من عشرين دبابة إلى الغرب ، وتعرضت بقية المدرعات لخسائر متلاحقة . وكان المصريون ينتشرون بين قوات (آدن) وكانت معدات إقامة الجسر محشورة في الخلف ، واستحال مرورها في المحاور التي تغطيها نيران المصريين . . كما كسر الجسر في أحد أجزائه .

.....

وساد بيننا الشعور بأن العبور أصبح مشكوكاً فيه ، فبعد ثمانى عشرة ساعة من بدء العملية لم يتم إقامة أى جسر حقيقى على القناة (كنت محقاً حين سخرت من شارون وقلت له إنه لو استطاع إقامة جسر واحد - بدلاً من الجسرين اللذين وعد بهما - لكان عملاً طيباً) .

كما أنه « شارون » لم ينجح إطلاقاً في تعزيز المظليين والدبابات العشرين التي انحسرت هي الأخرى غرب القناة ، وكان الحبل السرى الذى يمد هذه القوة دقيقاً وضعيفاً للغاية بحيث كان معرضاً للقطع بسهولة في أية لحظة .

.....

كنا نتابع العملية في قلق واكتئاب . وكان أكثرنا توتراً موشيه ديان ، أما إيغال آلون الذى كان قد جاء مع ديان إلى مركز القيادة الجنوبية فإنه بمجرد أن جاءت الإشارة الأولى عن عبور المظليين إلى الجانب الثانى من القناة . . أبدى رغبته في النوم معتذراً بأنه مرهق من التوتر ، ولكن يبدو أنه لم يكن يرغب في متابعة التطورات التي تلاحقت في شكل مزعج ، وقد لاحظت أنه حين أراد أن ينام على أحد السريرين الخاليين في الغرفة (غرفة جونين قائد المنطقة) ، تجاهل أحد الجنود طلبه ، وقال للحاضرين باستخفاف فيه استعراض غريب :

« اقترح أن ينصرف من ليس له عمل هنا » .
وقد فرس آلون لينام في إحدى الحافلات خارج غرفة العمليات ، وبقى ديان مكانه ،
وجلس متفوقاً على نفسه في الركن وقد زادت حالته المعنوية اكتئاباً .
وكان معنا في الغرفة أيضاً بالإضافة إلى جونين ، الجنرال حاييم بارليف (قائد الجبهة)
والجنرال (عاموس حوريب) ، والجنرال (أوري - بن - آري) .
. . . وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل تقريباً وصلتنا تقارير متتالية عن قواتنا
التي كانت موجودة على المحور وحوله .

هلي نلغي العملية :

. . وبعد دراسة ما وصل إليه موقف قواتنا في عملية العبور من واقع هذه التقارير ،
تحرك ديان في جلسته وقال في يأس : (أنا أقترح إعادة القوة بما فيها المظليون والدبابات) .
وساد صمت ثقيل . . لكن الصيغة التي عبر بها ديان عن رأيه فتحت كعادته في
هذه الأيام مجالاً للمناقشة والرفض : وكنت أول من أبدوا اعتراضهم على كلامه ، واستمع
الجميع إلى ، ثم قال (جونين) « إن على قوات شارون وآدن أن تقتحم المعابر . .
مهما حدث » .

وانضم بارليف إلى رأيي أنا وجونين قائلاً :
« إن المصريين لن يذبحوهم وإذا لم تسر الأمور بشكل أفضل فسنعيد القوات بنفس
الطريقة التي عبرت بها . وبذلك نكون قد خسرنا عدة عشرات من الدبابات المحترقة » .
وقال ديان :

« موافق . . ولكن يجب تحديد خط أحمر أي الوقت الذي ستعاد فيه القوات من
الضفة الأخرى إذا لم يقم الجسر حتى ذلك الوقت » .

. . تقرر إسناد مهمة فتح المحاور إلى لواء من المظليين بدلاً من المدرعات التي تعرضت
لخسائر كبيرة وخاصة أن المشاة المصريين ما زالوا ينتشرون بأسلحتهم الفعالة .
ومع المساء وعند وصول المظليين تحدث بارليف في اللاسلكي مع قائدهم وقال له :
« إن فتح المحور يعتبر أمراً حيوياً وخطيراً حيث ان النجاح كله معلق به . وبدون
هذا النجاح لا أعرف كيف ستنتهي الحرب » .

« وقام » قائد المظليين بنقل ما قاله بارليف إلى أركانه .

وبدأوا مهمتهم على الفور فتقدمت كتيبة . وخلفها قيادة اللواء .

قطع المظليون ثلث مسافة الطريق بمعارك قاسية ، ثم أصبحوا في وضع لا يستطيعون معه التحرك خطوة واحدة . فلقد وجهت كمائن المصريين نيران عشرة مدافع (جوريونوب) نحوهم وغطت الطريق تماماً . وتبعثرت سرايا المظليين ، وتناثرت جثث الكثيرين منهم حتى ان كل متر من الطريق كان عليه جثث لهم اخترقتها نيران المصريين .

مع طلوع الفجر . . كانت الخسائر رهيبه . وقتل خمسة ضباط من قادة السرايا . . وسقطت بعض القذائف وسط جماعة القيادة فقتل عدد آخر منهم .

أصبحت المشكلة الآن هي إيجاد مخرج من هذه النيران المصرية وكان هناك قناة واسعة قرب الطريق (استعملت قبل سنوات من قبل القائمين على المزرعة الصينية) ، وكان في طرفها قوة مصرية ، لكنها ما إن تحركت إلى مكان آخر حتى اندفع إليه من تبقى من المظليين ووجدوا فيها مأوى يحميهم من النيران ذات المسار المسطح .

ولكن سرعان ما اكتشف المصريون أن المظليين قد دخلوا في هذه القناة فقاموا بصب نيران مدفعيتهم عليها ، وكانت تنهمر بدقة لم يسبق لها مثيل .

هكذا بقى المظليون محشورين في القناة الطويلة ، وبدلاً من أن يقوموا بفتح المحور ، وقعوا في كمين مخيف ، فسقط منهم الكثيرون ونفدت الذخيرة لدى معظمهم ، ولم يكن ممكناً إمدادهم بأى شيء .

١٧ أكتوبر ١٩٧٣ :

مع طلوع فجر هذا اليوم زادت صعوبة وخطورة موقف الذين نجوا من المظليين واختبأوا في القناة الطويلة ، فقد كان أسهل على المصريين تسديد نيران مدافعهم في ضوء النهار - وإذا كانوا قد فعلوا ذلك بدقة بالغة ليلاً . . فإن العمل نهراً سيكون أثقل وأخطر على المظليين .

وكان الوضع أقل خطورة على ضفة القناة . لكن المظليين لم يكونوا يعرفون شيئاً ، وكان كل همهم هو الخلاص من المأزق الذى وقعوا فيه .

وقد صدر الأمر بدفع عدة مصفحات لإنقاذهم بعد أن تعذر انسحابهم تماماً ،

وجرى بالفعل إخراجهم في مجموعات صغيرة ومفرزة أثر مفرزة وكان آخر من تبقى منهم في المنطقة ١٨ مظلياً .

ثم إحلال الدبابات محل المظليين . . في محاولة أخرى ، وقد صمم رجال المدرعات على أن تدعم دباباتهم بعناصر مشاة من الكوماندوز ليواجهوا مع المشاة المصريين وحتى يتمكنوا من توسيع رأس الجسر ، لذا تم تجميع سرايا من المظليين من كل جهة ودفعوا مع المدرعات .

وقد قاوم المصريون بصلابة شديدة في المحاور المؤدية إلى شمالي البحيرة المرة ، وتقدمت دبابات (آدن) ببطء خلال معارك قاسية للغاية ، وفي الساعة السادسة وخمسة وعشرين دقيقة هبطت العوامة الأولى في قناة السويس . . ووصلت العوامة الأخيرة إلى الساحة في الساعة العاشرة .

وكان القصف المصري كقطرات ثابتة من القذائف ، لكنه تحول الآن إلى ما يشبه الأمطار الاستوائية من قذائف المدفعية وقنابل المدافع والكاتوشا من عيارات مختلفة . وتلقت إحدى العوامات إصابة مباشرة أحدثت فتحة ضخمة في مركزها وقتل عدد من أفراد سلاح الهندسة وجرح قائد المعديات فخلفه قائد آخر ، وبعد ذلك جرح قائد إحدى وحدات العوامات .

ثم أصابت قذيفة ثقيلة إحدى المعديات الأخرى وكانت إصابة مباشرة ، فمالت وغطست بسرعة وكان عليها دابتان ، ولم تفلح أية محاولة لإنقاذهما فلقد غاصتا بسرعة مع طاقميهما إلى قاع القناة ولم ينج أحد . وأدت شراسة النيران المصرية إلى خسائر جديدة ، وتعويق خطير لعملية إقامة الجسر العائم .

إعادة التفكير :

كان لابد من عقد اجتماع سريع لبحث الأمر وقد تم ذلك في الساعة الواحدة ظهرًا - في قيادة آدن .

وضم الاجتماع موشيه ديان وبارليف وشارون وأنا . اقترح بارليف تمكين شارون من عبور القناة مع جزء من قواته لمجرد إقامة الجسر على أن يبقى نائب شارون بجانب رأس الجسر ويبدأ شارون نفسه في توسيع الهجوم خلف

القناة مستغلا الدبابات الروسية التي غنمها جيش الدفاع في حرب الأيام الستة .
اعترضت على اقتراح شارون وتمسكت بالاستمرار في الخطة كما تحددت في
البداية ، بأن يظل شارون مسئولاً عن السيطرة على رأس الجسر وأن يكون مسئولاً عن
الجانب الشرقي للجسر أيضاً .

ويكون على آدن العبور أولاً ، أما كالمال ماجن فيتأهب استعداداً للتحرك بقواته .
لم تتوقف المعارك أثناء الاجتماع ، وقام سلاحنا الجوي بالمساعدة بمجهود كبير خاصة
ضد المشاة المصريين قرب المزرعة الصينية وشمالها .

تقرر أن يتصدى (آدن) للواء المدرع المصري الذي ورد نبأ عن صعوده من الجنوب
وعلى طول البحيرة لدعم الجيش الثاني الذي يحاول قطع رأس الجسر . . . ونظراً لضيق
الرقعة التي كان يتحرك فيها اللواء المصري ، استطاعت قوات آدن تدمير العديد من
دباباته وتعطيله .

قام سلاح الجو المصري بمحاولة ثانية للنفاذ إلى عمق الأراضي الإسرائيلية وفي الوقت
نفسه أغارت الطائرات الميغ على القوة التي كانت تقوم بوصل العوامة الأخيرة في الجسر ،
والتي كان يقودها الرئيس (يهودا حوده) . وكان هذا أكبر هجوم مركز على الجسر ،
وأصاب أحد الصواريخ العوامة الأخيرة وفتح فيها ثغرة كبيرة مما جعلها غير صالحة كما
أن عملية فكها تحتاج إلى وقت طويل . . . وكان الحل هو استخدام دبابة من حاملات
الجيوسور . وتم ذلك في الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر ، لكن قوات آدن لم تكن
مستعدة للعبور ، وأثار شارون من جديد اقتراحه بأن تقوم قواته بالعبور أولاً ، وكانت
الساعة الرابعة وخمسين دقيقة .

وقد تحدثت أنا إليه من غرفة عمليات الجبهة . . . ودار الحوار كالتالي :
أنا - أنا لست موافقاً على خطتك يا «أريك» ، عليك الاحتفاظ برأس الجسر
وتمكين آدن من العبور .

شارون - إن هذا لخطأ تاريخي وإضاعة للوقت .
أنا - أنا لا أشتغل بالتاريخ ، عليك أن تستمر في عملك وأن تنفذ ما يطلب منك ،
وأن تقدم تقريراً عن ذلك .

وكما توقعت لم يتوقف شارون عن ثرثرته ، فقد عاود الاتصال بي بعد خمس دقائق
مكرراً طلبه ، وكنت منطراً إلى الرد عليه من جديد وبلهجة محددة وقاطعة فقلت له :

« عليك أولاً القيام بالمحافظة على رأس الجسر ، وبعد ذلك نرى » .
بلغت الساعة الثامنة إلا ربعاً . . و « آدن » ما زال يقول إنه يحتاج إلى وقت آخر ،
لكن جونين صاح فيه قائلاً « عليك أن تعبر فوراً وألا تؤجل الأمور » .
وما كادت الدبابة الأولى تندفع فوق الجسر حتى انحرفت إلى اليمين وهدمت حاجزه
الأيسر . واحتاج الأمر إلى تأخير العبور حتى الساعة العاشرة ليلاً . وقد تعرضت قيادة
آدن لقصف ثقيل ومركز فاق في عنقه كل ما تعرضوا له منذ بداية الحرب ، ووقعت
القذائف أيضاً قرب الجسور وقتلت عدداً من رجال الكبارى وكان منهم الرئيس
(يهودا حوده)

مع الفجر كانت قوات (آدن) قد تواجدت غربى القناة ، وكان عليها أن تواجه
التجمع المصرى الذى تم دفعه بسرعة إلى المنطقة . ولكن ضرب عدد من قواعد الدفاع
المصرى أتاح الفرصة لمساندة سلاحنا الجوى لقواتنا البرية بشكل جيد .
كذلك قام سلاح الجو المصرى بمجهود خاص ، وكان هذا الجهد موجهاً فى معظمه
ضد الجسر شمالى البحيرة ، فكانت الطلعات لا تتوقف برغم تعرضها للخسائر ، وكانت
أخطر هذه الغارات تلك التى حدثت فى المساء حيث أحدثت أضراراً أكبر فى الجسر .
هذا ولم يتوقف القصف على منطقة الجسر وكانت معظم النيران تأتى من الشرق
شمال وجنوب الجسر .

وقد سقط قتلى آخرون كان منهم قائد المهندسين فى فرقة شارون ، ويدعى (يهودا
ده ليئون) كما قتل عدد آخر من سلاح المهندسين حين وقعوا فى كمين للكوماندوز
المصريين عند عبارة ماء مسقوفة .

تم تعديل التعديل الذى حدده بارليف ، فكلفت قوات كالمان ماجن بشق طريقها
إلى السويس بدلاً من قوات شارون أما شارون فسيعمل فى توسيع رأس الجسر والتوجه
إلى الشمال نحو الإسماعيلية .

١٩ أكتوبر ٧٣ :

استدعى كيسنجراليوم (سيمحا دينتس) سفيرنا فى واشنطن، وسأله بلهجة عصبية :
ما زلتم تطلبون مهلة أخرى ؟ « لقد طلب الروس إجراء بحث عاجل هنا فى واشنطن وهذا
يعنى أن وقت إطلاق النار سيدخل حيز التنفيذ غداً . ولقد قلت لهم إن البحث سيجرى

عندهم حتى نكسب مهلة يوم آخر لكم لذا أرجو إبلاغ رئيسة حكومتك بأن على التوجه إلى موسكو . وعليكم التصرف بأسرع ما يمكن . . والواقع أن الجسر الجوي الأمريكي قد أعاد لقواتنا كل ما فقدته وأكثر بل إن الأمريكيين لم يبخلوا بأحدث المعدات الأليكترونية الحديثة التي وصل معها خبراء أمريكيون .

أقول لك . . إنها حرب رهيبية :

التقيت اليوم بشارون وقبل أن أسأله عن صورة الموقف ، وخطواته القادمة قال لي في عصبية « إن هذه حرب رهيبية . . أقول لك إنها حرب رهيبية لم نواجه مثلها أبداً . لقد كانت حرب يونية ١٩٦٧ بالنسبة لهذه الحرب مجرد معركة واحدة ! ! » هذا وكان موقع قيادة شارون قد تعرض في نفس هذا اليوم لغارة من طائرات الميج المصرية . . أحدثت بعض الخسائر .
المهم أننا تشاورنا في الموقف ، ولم يؤثر على لقائنا ما حدث منذ أربعة أشهر حين عينت جونين بدلاً منه كقائد للجبهة الجنوبية دون أن أعرض عليه منصباً آخر .

ونجوت بأعجوبة :

بعد انتهاء اجتماعي مع شارون ، أقلت بي الطائرة العمودية للعودة إلى غرفة العمليات ، ومرت الطائرة بالقرب من المجال الجوي للجيش المصري الثالث في سيناء ، وفجأة ظهر جنود مصريون قاموا بتوجيه النيران الأوتوماتيكية صوب الطائرة .
اهترت أعصاب الطيار . وحاول الإفلات من النيران المتدفقة . . أصيبت الطائرة .
ولكن الطيار نجح في الإفلات بها والوصول إلى القاعدة . في الوقت الذي سقطت فيه الطائرة الثانية التي سلكت الطريق نفسه .
لقد رأيت الموت بعيني . . ولا أدري حتى الآن . . كيف نجوت .

٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ :

التقي كيسنجر في موسكو مع بريجنيف وعجلة الوصول إلى قرار وقف إطلاق النار تدور بسرعة . الأمريكيون يخطروننا بالمباحثات أولاً بأول .
وصلت سفينة الشحن رقم ١١٥ ، وقد تعرضت لبعض المتاعب في الطريق إلى الميناء

من إحدى الغواصات المصرية ، لكنها وصلت بما تحمله من شحنات ضخمة من أسلحة ومعدات .

قواتنا غربى القناة وخاصة قوات شارون تواجه صعوبات عديدة حيث نسف المصريون قناة المياه الحلوة جنوبى الإسماعيلية فأغرقت المياه المتدفقة منطقة واسعة وملأتها بالطين الذى تسبب فى إغراق الدبابات حتى أبراجها . وفى الوقت نفسه أدى انتشار الكوماندوز المصريون إلى إحداث خسائر كبيرة فى المدرعات التى حاولت التقدم باتجاه الإسماعيلية دون جدوى .

٢١ أكتوبر ١٩٧٣ :

انصلت صباح اليوم بجونين لأبلغه أننا سنقبل اقتراح وقف إطلاق النار . ثم اتجهت بنفسى إلى غرفة عمليات الجبهة حيث عقد اجتماع سريع حضره ديان وبارليف وجونين وعدد من قادة الفرق ، وقد أثرت أهمية الاتجاه نحو الجنوب حيث الفرصة أفضل (خاصة بعد التعثر الشديد لقوات شارون فى اتجاهها شمالاً نحو الإسماعيلية) .

وقد همس أحدهم قائلاً ، إننى أفضل الإنجازات البسيطة ما دامت مضمونة ، وقد أيدنى جونين فى التركيز على محاولة تطويق الجيش الثالث .

لكن موشيه ديان كان هو الوحيد تقريباً المؤيد للتوجه شمالاً أيضاً نحو الإسماعيلية . ثم جرى الحديث حول منطقة (ميسورى) التى تقع فى الشرق شمالى رأس الجسر ، والتى تعتبر جناح الجيش المصرى الثانى فى داخل سيناء ، وقد نفذت قواتنا من جنوبه فى نقطة الوصول الواقعة بين الجيشين حتى القناة ويبلغ طول تجمع ميسورى (حيث توجد وحدة مشاة مصرية) حوالى ثمانية كيلومترات وعرضه حوالى أربعة كيلومترات وقسمه الشمالى فى الخط الموازى لبحيرة التمساح ومن الجنوب المزرعة الصينية .

وكان الحديث قد جرى حول ضرورة الاستيلاء على ميسورى منذ اللحظة التى بدأ فيها التخطيط لعبور القناة شمالى البحيرة المرة ، وكان يخشى من وصول وحدة المشاة المصرية الموجودة فيها ، جنوباً إلى المحاور التى كانت ستمر عليها قواتنا فى طريقها إلى رأس الجسر ، وكان قد تحدد أن تقوم قوات شارون فى الليلة الأولى بالسيطرة على قسم من ميسورى وإبعاد المصريين حوالى أربعة كيلومترات شمالى رأس الجسر . لكن هذا لم يتم بعد أن وجه الجهد الرئيسى إلى رأس الجسر ، وبعد أن فشل المظليون فى هجومهم على المزرعة الصينية .

وقد كنت أضغط شخصياً - كل يوم - على بارليف وجونين من أجل السيطرة على هذه المنطقة (ميسورى) .

وكانت قواتنا الجوية ابتداء من ١٧ أكتوبر تقوم بغارات متتالية على الوحدة المصرية الموجودة فى ميسورى حتى ان حجم القنابل التى ألقيت عليها يفوق ما ألقى على أى تجمع آخر ولدرجة أن شارون استنتج أن المصريين - من نجا منهم - قد انسحبوا وبالتالى - ركز عمله فى غرب القناة باتجاه الإسماعيلية .

. . . لكن الواقع أثبت أن المصريين لم ينسحبوا أو يتخلوا عن المكان . ولذلك تلقى شارون فى الساعة (٩,٤٨) من صباح اليوم أمراً بإيقاف العمل غرب القناة والتوجه إلى ميسورى . وقد اتصل به جونين قائلاً :

« عليك توجيه الجهد الرئيسى إلى ميسورى ، وأنقل إلى هناك من الغرب «أ» (تشكيل اختراق) وأيضاً قسماً من الوحدة «ح» أو بالعكس .
« المهم أن يتم الاستيلاء على ميسورى . وعليك التوجه إلى هناك بعد أن يؤدي سلاح الجو مهماته بالإغارة على المنطقة كلها مرة أخرى تمهيداً لهجوم قواتك » .

هل كان شارون يتوقع ذلك ؟

مرت ساعات . . دون أن يبدأ شارون هجومه على ميسورى وقد أثار ذلك جونين مرة أخرى فهذه حلقة من سلسلة خلافاتهما الطويلة منذ نشبت الحرب .
واتصل جونين فى الساعة ١٧,١٢ ظهراً بشارون من جديد ودارت المكالمة كالتالى وكما سجلتها تقارير العمليات :

أريك : اسمعنى يا جونين بدلاً من بذل الجهد فى ميسورى يجب التقدم إلى الأمام لقطع طرق تموينهم ، وأنا أفضل التوجه شمالاً بدلاً من التوجه شرقاً .

جونين : اسمع يا شارون . نحن نريد ميسورى ونحن نعرف لماذا يجب أن تكون الأولوية لميسورى . ويكفى أنها تلقت حتى الآن أكبر غارات جوية فى الحرب كلها .

أريك : قد يكون كلامك صحيحاً ولكنى أعتقد أن التوجه للاستيلاء على ميسورى يعتبر خطأ . . . ومن الممكن التوجه إلى الشمال وقطع الإسماعيلية والمحاور المؤدية لها ، وليس التوجه شرقاً .

جونين : اسمع يا شارون إن الأمر هو التوجه إلى ميسورى وليس التوجه شمالاً .

أريك : انظر . إننا نفذنا الأوامر . ومع أن هذا الأمر ليس منطقياً ولكننا سننفذه .
جونين : إذا كنت تريد الاعتراض . . فإن حاييم بارليف سيكون بطرفك حلال
نصف ساعة .

انتهت المكالمة . ولم يتدخل ديان الذى كان موجوداً أثناءها ، وغادر المكان دون
أن ينطق بكلمة واحدة . ونجح شارون فى إقناع بارليف بوجهة نظره . ولكن الأخير قال له :
« إننا نقرب من وقف إطلاق النار . . ورأس جسر كهذا لا ينفعا » .

أخيراً . . . وفى الساعة الثالثة بعد الظهر بدأ شارون الهجوم على ميسورى وسار
الهجوم فى البداية على ما يرام . وبدا للقوات المتقدمة أن الغارات العنيفة للطيران قد
أخمدت أنفاس كل شىء . ولكن سرعان ما صعدت بعض الدبابات فوق الغمام بثها
المصريون فتوقفت ثلاث دبابات ، ثم انطلقت صواريخ المصريين وقدائفهم الـ « آر . بي . جيه » .
لم تستطع القوة إتمام مهمتها فقد قام المشاة المصريون بهجوم مضاد عنيف . توقفت
القوة الإسرائيلية تماماً وخمد هجومها ولم تستطع أن تتحرك وبقيت فى الساحة أربع عشرة
دبابة دون أن يتمكن من بقوا فيها أحياء من الخروج منها . كما أنه لم يكن من الممكن
تخليصهم .

كان نبأ الفشل الكامل للقوات فى هجومها على ميسورى مذهلاً ومفجعاً لكن قيادة
الجبهة ظلت مقتنعة بضرورة الهجوم مرة أخرى . . لتخليص بقايا القوة السابقة وتنفيذ
المهمة الأصلية . .

واتصل جونين من جديد بشارون . وأخذ يحدثه عن الاحتمال الكبير بأن يكون المصريون
فى ميسورى يواجهون الآن مشكلة نقص الذخيرة . . وبالتالي فإن مقاومتهم لن تكون بنفس
العنف السابق .

وأخيراً طلب منه أن توجه قوة جديدة لتنفيذ المهمة .
ثم انتظرت القيادة بدء الهجوم الثانى . . لكنه تأخر بشكل ملحوظ وحاول جونين
الاتصال مرة أخرى بشارون . . ولكن عبثاً ، فقد أخذ يهرب من الرد عليه إلى أن كانت
الساعة ١١،٥٩ مساء أى قبل منتصف الليل بدقيقة واحدة . وتم الاتصال الذى سجلته
التقارير كالتالى :

جونين : مساء الخير .

- شارون : مساء الخير .
- جونين : هل تنوى دعم الوحدة التي هاجمت ميسورى واستئناف الهجوم مرة أخرى .
- شارون : لا . . ليس لى ما أقدمه .
- جونين : وماذا عن الوحدة المحاصرة هناك ؟
- شارون : بأى حال من الأحوال لن أهاجم مرة أخرى .
- جونين : إذن فأنا أمرك بتقديم الدعم والهجوم .
- شارون : لن أفعل ذلك بأى حال من الأحوال .
- جونين : ليكن معلوماً لديك أن هذا يشكل عدم تنفيذ الأوامر ؟
- شارون : وماذا يعنى ؟
- جونين : إن هذا يعتبر امتناعاً عن تنفيذ الأوامر .
- شارون : بالله اتركنى من أقوالك هذه .
- جونين : إذن . . فليكن معلوماً لديك أنى أمرك مرة أخرى بتنفيذ المهمة .
- شارون : ليس لى ما أقدمه لهذه المهمة .
- جونين : حسناً . . طابت ليلتك .
- شارون : طابت ليلتك . .

.....

انتهى الاتصال العاصف . . وتلفت شارون لمن حوله قائلاً : « لقد عضنى الندم لأننى قمت بتنفيذ أوامره . . فلقد تصلبت وتصلبت فى رأى . . ولكننى تراجعت وقمت بتنفيذ الأوامر . . وكانت النتيجة أننا أصبنا بخسائر كبيرة . .

وفى الوقت نفسه كان جونين يقول لمن حوله :

« إن الأمر لن ينتهى بهذه الصورة » .

ثم توجه بحديثه إلى بارليف وقال له :

« أنت ممثل رئيس الأركان هنا وأنا أطلب منك أن تنقل له ذلك . إن هذه ليست مسألة اعتبار شخصى ولكنها وصلت إلى عدم تنفيذ للأوامر . . » .

وتحدث بارليف إلى شارون ، وأعلن له شارون أنه سينفذ الأوامر وسيدفع مرة قوة مدرعة أخرى إلى ميسورى . ولكنه لم ينفذ شيئاً ، وبدلاً من ذلك اتصل بموشيه ديان - وكان ذلك فى الرابعة صباحاً - وطلب منه أن يلغى الأمر . واتصل بي (ديان وأبلغنى بأنه يرى

عدم التمسك بتنفيذ هذه المهمة . وتحدثت مع اللواء (طال) وقلت له : « يبدو أن لا أمل في هذه المعركة . . وعلى أى حال فإن احتلال كيلومتر من التجمع المصرى فى ميسورى لن يغير من الأمر كثيراً » وبإمكانك الاتصال بجونين وإبلاغه بإيقاف الهجوم على هذه المنطقة » .

واتصل اللواء طال باللواء جونين وأبلغه الأمر - باعتباره صادراً من وزير الدفاع وقال له : « إن محاولة السيطرة على ميسورى نوع من الانتحار » .
وأسقط فى يد (جونين) ، لكنه لم يستطع أن يقاوم مشاعره الشخصية ولما كان لا يعلم أنى قد وافقت على القرار بدورى - فإنه اتصل بى . وكرر طلبه بعزل شارون ، ودعمه هذه المرة بأن بارليف يؤيده فى طلبه .

ماذا فى الجولان :

بالرغم من النجاح بشكل عام فى صد السوريين فإن تواجدهم فوق جبل الشيخ . وبالذات فى مركز الأرصاد الذى أطلق عليه اسم « عين إسرائيل » كان مشكلة عسكرية إعلامية . فمواقع جبل الشيخ - عسكرياً - لها خطورتها ، ومن الناحية الاعلامية لم يكن ممكناً إصدار بيان عن صد القوات السورية دون الإشارة إلى سقوط مركز جبل الشيخ فى أيديهم وهذا ما تجنبت جميع البيانات السابقة الإشارة إليه بأى صورة من الصور . لذلك كله . . تقرر استعادة هذا المركز والمواقع الأخرى فوق جبل الشيخ بأى طريقة . . وتم توزيع المهمة على لواء جولانى وقوات المظليين .

وقد استطاع المظليون تحقيق مهامهم بعد إسقاطهم خلف القوات السورية المتمركزة فى مواقعها ، وقد دارت معارك عنيفة حتى نجح المظليون فى السيطرة على هذه المراكز ، أما لواء جولانى الذى قام بنفس المحاولة فى اليوم الثالث للحرب - فقد تكبد خسائر هائلة قبل إتمام مهمته وكانت الجثث مكموماً بعضها فوق بعض . إذ كلما حاولت مجموعة إنقاذ بعض الجرحى . . وقعت هى الأخرى بنيران الكوماندوز السوريين .

٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ :

فى الوقت الذى جاء فيه بارليف لمقابلة رئيس الحكومة وزيارة رئاسة الأركان ، كان ديان يتجه منذ الصباح إلى قيادة الجبهة الجنوبية . وتحدث إلى كبار الضباط قائلاً :

« لقد طلبتم من شارون الاستيلاء على ميسورى . . واعلموا أن هذه فضيحة . . فمحاولة الاستيلاء على ميسورى مرة أخرى كانت بمثابة الانتحار » .
وأدرك جونين أن ديان يقصده هو بهذه الكلمات ، فرد عليه قائلاً :
« إن شارون يدير حرباً خاصة به » .

ولكن ديان - الذى تبنى أفكار شارون - قال لجونين ومن معه : « إننى أفضل حصار الإسماعيلية عن حصار الجيش الثالث ، ومن المهم قطع الجيش الثانى كما أن الإسماعيلية مهمة من الناحية السياسية » .

.....

ثم استطلع ديان خريطة العمليات ، وأشار بإصبعه إلى داخل سيناء ، ثم وضع أصبعه على تجمع مصرى مقابل البحيرة المرة الصغرى يدعى (عفرة) وقال موجهاً كلامه لجونين :

« يجب الاستيلاء على هذا التجمع . وعلى القوة (ج) أن تقوم بذلك ، حيث إنها لم تفعل شيئاً له قيمة طوال الحرب . . اطلبوا منها أن تحتل هذا التجمع » .

ودار نقاش فنى حول هذا (الأمر) ، وعارض (جونين) مكتفياً بشرح الأسباب العسكرية . ولم يقتنع ديان بتعليقاته وحاول جونين تأجيل القرار . فقال لوزير الدفاع :
« سأحاول إقناع رئيس الأركان بعدم لزوم هذا الأمر » .

وهنا غضب ديان وغادر غرفة العمليات الحربية ، وبقى الجو متوتراً ، وكانت هذه آخر مرة يزور فيها ديان قيادة الجبهة الجنوبية قبل عزل جونين من منصبه واستبداله بيسارئيل طال .

اتصل جونين بى ، وبعد محادثة قصيرة ، أصدرت أوامرى بالاستمرار فى المهمات كما تم تحديدها من قبل وبدون تغيير أى شىء .
وقد كنت أعلم أننى بذلك ألغى أوامر ديان ولكننى لم أعبأ كثيراً .

.....

ومن جهة أخرى . دخلت قوات آدن فى معارك قاسية . . ولم تستطع أن تكمل حتى الآن حصار الجيش المصرى الثالث . وقد أصيب قائد لواء مدرع وحل مكانه مساعد كالمات ماجن كما قتل وأصيب عدد من القوات المهاجمة .

وكان المصريون - وخاصة رجال الكوماندوز - يقاومون بجرأة كبيرة مستغلين الأشجار

.....

أما قوات شارون فما كادت تكرر محاولة تقدمها إلى الإسماعيلية حتى وقعت في كمين ضخم قامت به كتيبتان من رجال الكوماندوز المصريين ، ودارت معركة شديدة سقط فيها الكثير من القتلى والجرحى .

.....

بدء تنفيذ قرار وقف إطلاق النار :

حل الظلام . . . وبلغت الساعة السابعة موعد تنفيذ قرار وقف إطلاق النار . وكانت المعركة قرب الإسماعيلية على أشدها . وتكررت محاولات شارون لتخليص الجرحى من ساحة المعركة . وفشلت كل هذه المحاولات - فطلب دعماً جويًا لمساعدته . لكن هبوط الليل والظلام كان حائلاً دون قيام الطائرات بهذه المهمة . وبالتالي كان على المظليين من رجال شارون أن يخلصوا أنفسهم بأنفسهم وبمساعدة المدفعية الثقيلة .

وفي الساعة ١٩,٣٣ تلقى شارون تقريراً بأن بقية الفرق قد أوقفت القتال ، بعد أن دخل وقف إطلاق النار حيز التنفيذ . وكان على شارون ألا يبادر إلى القيام بعمليات جديدة وأن عليه أن يكتفى بتخليص الجرحى . وقد استمرت عمليات إخلاء أرض المعركة من القتلى والجرحى حتى منتصف الليل . ومع طلوع الصباح تبين لقوات شارون أن رجال الكوماندوز المصريين قد احتلوا مواقع على بعد عشرين متراً فقط منهم .

٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ :

بعد الظهر قام آدن بهجوم كبير ، فقد قامت وحدتان من فرقته بهجوم على شكل قوس واسع ، وأدت إلى ضرب التجمع المصرى فى الطريق إلى مدينة السويس . واندفع تشكيل من المدرعات (وهو تشكيل جديد حيث ان الأطقم السابقة قد قتل معظمها فى سيناء فى الأيام الأولى للحرب) . اندفع هذا التشكيل إلى ميناء الأدبية فى خليج السويس واستولى عليه . كما وصلت قوات آدن إلى مداخل السويس .

وحيث ان بعض أفراد الكوماندوز المصريين كانوا قد خرقوا وقف إطلاق النار بدخولهم

إلى الأماكن التي تعسكر فيها المدرعات الإسرائيلية ودمروا عدداً من الدبابات بقذائف آر. بي. جييه - فإن انتهاك قوات (آدن) للقرار استمر ، وتقرر أن يحتل مدينة السويس .

السويس يجب ألا تكون ستالينجراد أخرى !

في الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل اتصل (أورى بن آرى) مساعد جونين باللواء «آدن» ونقل إليه تعليماتنا . . قائلاً : «إننا نريد أن تستولوا على مدينة السويس ولكن بشرط ألا تكون ستالينجراد أخرى» .
وقبل «آدن» الأمر الجديد ، وطلب أن يؤجل تنفيذ العملية حتى يطلع النهار .

٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ :

صدر عن جيش الدفاع - فجر اليوم - بيان عن حصار قواتنا للجيش الثالث المصرى ، وعن دخولها ميناء الأدبية .
ويبدو أننا قد أخطأنا . . فقد استغل الروس هذا البيان ، واعتبروه دليلاً على أن حصار الجيش الثالث قد حصل بعد الموعد الذى حدده مجلس الأمن لوقف النار .
وقد زادت هذه اللهجة السوفيتية والإنذار بالتدخل العسكرى . كما سجلت أعمار التجسس الأمريكية صوراً لبطاريات صواريخ أرض - أرض من طراز سكود منتشرة شرقى القاهرة .

لكننا جعلنا من السويس ستالينجراد أخرى بالفعل :

مثلما حدث للواء المظليين الذين كلفوا بفتح المحور الرئيسى لرأس الجسر . . فوقوا في عدة كمائن مصرية . وسقط منهم الكثيرون ثم تحول الموقف إلى محاولة تخليصهم - بدلاً من فتح المحور . . حدث الشيء نفسه فى السويس . . حين خدع الهدوء الذى ساد المدينة قوات آدن . . فاندفعت إلى داخلها . . لتنهال نيران المصريين . . وتشتعل الدبابات . . ويسقط القتلى والجرحى بالعشرات .
وتحولت غرفة العمليات فى رئاسة الأركان وقيادة سيناء للعمل المتواصل من أجل تأمين انسحاب القوات المتبقية إلى خارج السويس وإخلاء القتلى والجرحى » .

٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ :

هل صحيح انتهت الحرب ؟ لا أكاد أصدق ومع ذلك فالكوماندوز المصريون يواصلون إزعاج قواتنا في غرب القناة بشكل خاص .

٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ :

إنني لا أملك إلا أن أقول إن الجيشين (المصري والسوري) قاما باختراق خطوطنا في هذه الحرب بمهارة وكثافة هائلة وتفوق نوعي ملحوظ .
لقد كان المصريون والسوريون يتمتعون بروح معنوية عالية . ولقد قاتل الجيشان بتصميم وعناد . إن العرب في مركز عسكري مثالي . . بينما لن نتمكن نحن من تعويض خسائرتنا بسهولة . .
سألني اليوم أحد الصحفيين : لقد بدأت الصحف تطلق على هذه الحرب اسم حرب يوم الغفران فما رأيك ؟ وقد وجدته أرد عليه بقولي : بل هي حرب يوم الحساب .

١٢ نوفمبر ١٩٧٣ :

إنني كرجل عسكري أعرف تماماً أن لكل حرب مفاجآتها . وهناك أشياء لا بد أن نتعلمها وأن نصحح معلوماتنا بشأنها .
وأكبر مفاجآت هذه الحرب (أكتوبر ١٩٧٣) هي الجندي المصري وكذلك الجندي السوري . لقد أظهروا قدراً من الكفاءة القتالية والتضحية بالنفس وقوة الدافع يفوق كثيراً ما كنا نتوقعه .
وبالنسبة لنا في إسرائيل فإنني أقول إن قرار عدم استدعاء الاحتياطي على الرغم من التقارير التي كانت لدينا عن ضخامة الحشود المصرية والسورية ، على جبهات الجولان والسويس ، هذا القرار تم اتخاذه على أعلى مستوى سياسي وعسكري مشترك وذلك لأن جميع التفسيرات ذهبت إلى أن تلك الحشود العربية لن تؤدي إلى قيام الحرب .

٣ ديسمبر ١٩٧٣ :

مازال شارون يواصل تصريحاته غير المسئولة للصحفيين محاولاً أن يتفحص من جميع

القادة ليظهر هو في صورة البطل الوحيد ، هذا بالرغم من أنه يعلم جيداً أن عبورنا إلى الجانب الغربي من القناة قد كلفنا خسائر فادحة ، ومع ذلك فإننا لم نستطع طوال عشرة أيام من القتال أن نخضع أى جيش من الجيوش المصرية .

فالجيش الثانى صمد ومنعنا نهائياً من الوصول إلى مدينة الإسماعيلية (وقد كان شارون هو المكلف بتحقيق ذلك) .

وبالنسبة للجيش الثالث فإنه - برغم حصارنا له - فإنه قاوم بل تقدم واحتل بالفعل رقعة أوسع من الأراضي شرقاً ، ومن ثم فإننا لا نستطيع أن نقول إننا هزمناه . . أو أخضعناه . .

هذا وقد اضطررت لإصدار بيان أوجه فيه اللوم لشارون استنكاراً لإعطائه أحاديث صحفية ومقابلات خاصة من أجل الحصول على مكاسب شخصية برغم أن موشيه ديان أصدر أمراً بعدم السماح للجزالات بإعطاء أحاديث للصحفيين .

٢ فبراير ١٩٧٥ :

منذ يومين فقط (فى ٣٠ يناير ١٩٧٥) قدمت (لجنة إجراءات للتحقيق فى تقصيرات حرب أكتوبر ٧٣) تقريرها الثالث والأخير إلى كل من الحكومة ولجنة الخارجية والأمن فى الكنيست . وقد اقتصر هذا التقرير السرى على :

- ١ - النظام والانضباط .
- ٢ - وحدات مخازن الطوارئ .
- ٣ - معارك الصد مقدمة .
- ٤ - معارك الصد فى الجنوب - أحداث يوم ٨ أكتوبر .
- ٥ - معارك الصد فى الشمال يومى ٦ ، ٧ أكتوبر حتى الظهر .
- ٦ - مساعدة الاستخبارات العسكرية أيام الحرب .
- ٧ - الأسر .
- ٨ - السيطرة .

بالإضافة إلى فصل عن موضوع التدريب وآخر عن الردع والحسم كتبه اللواء احتياط حاييم لاسكوف .

وقد قرأت معظم ما جاء فى هذا التقرير وزاد تصميمى على أن أقدم للحكومة مذكرة

مفصلة وموضحة تتضمن جميع اعتراضاتي على تقارير لجنة إجراءات . التي ألفت قدراً كبيراً من مسئولية الهزيمة على شخصي ، وأوصت بناء على ذلك بإبعادى عن منصبى كرئيس لهيئة الأركان . لألقى نفس مصير الياهو زعيرا وارييه شاليف وجونين وغيرهم . . إن اللجنة تقول - مثلاً - إننى أتحمل مسئولية شخصية عما حدث عشية الحرب سواء بالنسبة إلى تقدير الوضع أم بالنسبة إلى تأهب الجيش وإنه كان على أن أوصى بتعبئة جزئية للاحتياط منذ أول أكتوبر ، وقد تجاهلت اللجنة بذلك أن قرار استدعاء الاحتياطى تم اتخاذه على أعلى مستوى سياسى - عسكري مشترك . وإننى تلقيت شخصياً تأكيدات من رئيس الاستخبارات بقدرته على إعطائى إنذاراً قبل الحرب بوقف كاف . . . إ . . .

.. إننى - كما قلت للكثيرين بعد أن نشرت اللجنة تقريرها الجزئى ، أعتقد أن فى تقرير اللجنة أموراً ليست صحيحة وليست دقيقة . وإنه يجب بحسب رأى أن تقدم إلى الحكومة اعتراضات إضافية ، لكى تبدى هى رأياً وتستخلص الاستنتاجات الصحيحة . إن التقرير كان شاملاً جداً إلا أنه لم يشمل مسار الحرب بأكمله وإنما مرحلة الصد فقط تمثيلاً مع نص تفويض اللجنة .

إننى أرى أن اللجنة تصرفت بانتقائية فى مواضيع كثيرة من معارك الصد ، خصوصاً فيما يتعلق بالقرارات الحاسمة فى العمليات الكبيرة للجيش ، وبالقرارات الحاسمة على الصعيد الاستراتيجى - السياسى وحصرت نفسها فى الظواهر السلبية التى كانت فى الحرب . إننى متأكد أننى قد غنبت وظلمت شخصياً . لأن انتقادات اللجنة لم تكن مترنة ، ولم تكشف أخطاء آخرين كانت لهم مسئولياتهم الكبيرة .

إننا جميعاً نشارك فى أخطاء أساسية . فلقد خدعنا المصريون ولم نتصور أنهم سوف يعبرون . . ولم يخطر على البال أن الجندى المصرى المنهزم (فى يونيه ١٩٦٧) سوف يحارب بهذا الاقتدار كما أن أكبر مفاجأة لنا كانت فى هذا التخطيط البالغ الدقة الذى وضعوه للحرب .

* * *

الورقة الأخيرة فى حياة اليعازر العسكرية : [الحكم عليه]

« لقد توصلنا إلى اتفاق بأن اللواء دافيد العازر رئيس هيئة الأركان يتحمل مسئولية شخصية عما حدث عشية الحرب ، سواء بالنسبة إلى تقدير الوضع أم بالنسبة إلى تأهب الجيش الإسرائيلى .

ولقد أخذنا بالحسبان بصورة خاصة ، الأمور التالية ، وثؤكد أننا لم نتوصل إلى الاستنتاج الذى توصلنا إليه بناء على كل واحد منها على انفراد ، بل إن وزنها المتراكم هو الذى دفعنا إلى ذلك : بالنسبة إلى المعلومات كان لرئيس هيئة الأركان تقدير خاص به أشد خطورة من تقدير شعبة الاستخبارات العسكرية ، خلال فترة التوتر السابقة فى آيار (مايو) ١٩٧٣ ، بيد أن انتصار شعبة الاستخبارات العسكرية عندما انقضى هذا التوتر بسلام كما قدرت أضعف كما يبدو - يقظة رئيس هيئة الأركان خلال الأيام التى سبقت حرب يوم الغفران ، فلم يبذل أى جهد فعلى للتوصل إلى تقدير خاص به كقائد ، حتى إنه لم ينتقل خلال فترة التوتر من الأسبوع الأخير الذى سبق الحرب إلى الجبهات ، كى يطلع بنفسه على ما يجرى هناك ويكون انطباعات مباشرة من الدلائل الإنذارية .

ونذكر مرة أخرى لمصلحة رئيس هيئة الأركان أنه طلب تعبئة قوات الاحتياط بأسرها صباح يوم السبت ولكن كان عليه ، فى الظروف التى قامت أن يوصى بتعبئة جزئية للاحتياط منذ الأول من أكتوبر ، عندما بدأت « المناورة » فى مصر ، ولم نقبل تفسيره بأنه فعل فى ذلك اليوم (٥ أكتوبر ٧٣) أكثر مما ينبغى بإعلانه أقصى درجة من حالة التأهب فى الجيش النظامى ، بما فى ذلك سلاح الجو (إلغاء الإجازات ومناوبة الضباط فى القيادات . . إلخ) ووضع قوات الاحتياط فى حالة تأهب ، ووجدنا أيضاً أنه لم تكن للجيش الإسرائيلى خطة مفصلة معدة فى حالة هجوم شامل مفاجئ للعدو على أساس تقدير واقعى لقواته ، وتأهبه ، ونواياه فى مواجهة قوات الجيش الإسرائيلى وخططه .

لقد وثق رئيس هيئة الأركان بصورة مبالغ فيها بأنه سيحصل دائماً على إنذار لتعبئة الاحتياط خلال وقت كاف حتى لو كان أقصر من المخطط له .

وأضيف إلى هذه الافتراضات ثقة مبالغ فيها بقدرة الجيش الإسرائيلى على أن يصد ، فى كل الظروف هجوماً شاملاً للعدو . .

وفى ضوء ما قيل أعلاه ، نرى من واجبنا التوصية بإنهاء تولى اللواء دافيد اليعازر منصب رئيس هيئة الأركان :

(توقيع)

شمعون إجرانات - رئيس اللجنة

موشيه لاندائو - عضو اللجنة

يتسحاق نفتسسال - عضو اللجنة

بيجتال يادين - عضو اللجنة

حايم لاسكوف - عضو اللجنة

كلمة أخيرة :

كانت هذه النهاية المأساوية للجنرال دافيد اليعازر ، صورة لنهاية الكثيرين من جنرالات إسرائيل الذين طردوا أو قتلوا أو أسروا أو فروا مع من قتل وأسر وفر من ضباط وجنود جيش الدفاع الإسرائيلي . في ميادين القتال .

وكان انهيار هذه المثل العليا للشباب الإسرائيلي ، مع انهيار نظرية الأمن الإسرائيلية مع الخسائر الفادحة في الأرواح والمعدات والأسلحة وتصعد الاقتصاد الإسرائيلي . كان ذلك كله . وغيره من آثار طوفان أكتوبر . : سبباً في حالة التمزق والضياع والسخرية من النفس التي انتابت المجتمع الإسرائيلي ، والتي صدرها العرب إلى إسرائيل بعد أن عانوا من هذه الحالة طوال السنوات التي بدأت من يونيو ١٩٦٧ إلى أن اندلعت حرب أكتوبر ١٩٧٣ وهذا هو ما عبر عنه الرئيس السادات في أكثر من خطبة وحديث صحفي .

.....

وإذا كانت هذه الحالة من التمزق والضياع والسخرية من النفس ، قد عبرت عن نفسها في الكثير من المواقف والكتابات الإسرائيلية ، التي سوف تخصص لها عدة صفحات في الفصول القادمة ، فإن هناك نكتة معينة من بين مئات النكت التي يرددها الإسرائيليون الآن ساخرين من قاداتهم وأنفسهم أسجلها الآن لأنها تتصل اتصالاً وثيقاً بالجنرال (دافيد العازر) ورفيقه الجنرال (حاييم بارليف) اللذين هاجرا معا - في وقت متقارب - من بلدهما الأصلي « يوغسلافيا » إلى فلسطين ، ثم تدرجا في مناصب جيش الدفاع الإسرائيلي في خط متقارب .

النكتة الإسرائيلية :

زار الرئيس المصري أنور السادات يوغسلافيا وبمجرد أن قابل الرئيس تيتو قال له : « لقد جئت لأشكرك على الجنرالين اللذين أرسلتهما إلى ، وكانا من أسباب انتصارنا في أكتوبر .

وقال تيتو مندهشاً : لكنني لم أرسل إليك أى جنرال ؟ فرد السادات ضاحكاً : بل أرسلت حاييم بارليف ودافيد اليعازر . أليس كذلك ؟

صور ومواقف إسرائيلية متناثرة

وكان مقتل الرجل الحديدى . . رمزاً محزناً لإسرائيل :

ولد «إبراهام ماندلر» بمدينة لينتس بالنمسا فى عام ١٩٢٩ . وهاجر إلى فلسطين فى عام ١٩٤٠ ، وبعد خمس سنوات من « هجرته » انضم لوحدات الجنداع ثم التحق فى عام ١٩٤٧ بالخدمة فى الجيش الذى سعى بن جوريون إلى تكوينه من العصابات الإسرائيلية المسلحة مثل الهاجاناه والجنداع ، واشترك إبراهيم (ألبرت) ماندلر فى حرب فلسطين قائداً لإحدى السرايا ، وفى عام ١٩٥٢ عمل فى عدة وظائف عملية وتدريبية . وقيادية ، إلى أن كان عام ١٩٥٦ حين اشترك فى عمليات سيناء تحت قيادة دافيد إيعازر ، ثم التحق فى عام ١٩٥٩ بكلية القيادة والأركان الإسرائيلية ، وفى عام ١٩٦٤ درس التاريخ العام بجامعة تل أبيب ، وبعد ذلك بعام واحد عين قائداً لأحد الألوية المدرعة ثم اشترك فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، قائداً للواء مدرع كان يعمل على هضبة الجولان السورية .

وعين فى عام ١٩٦٨ قائداً ثانياً لسلاح المدرعات بعد أن رقى إلى رتبة « تات ألوف » ، وفى عام ١٩٧٢ - بالتحديد فى ٢٩ سبتمبر ١٩٧٢ عين ألبرت قائداً للمدرعات سيناء ورقى لرتبة ألوف » .

وكان يوم الأحد « ٧ أكتوبر ١٩٧٣ » محدداً لتركه منصبه كقائد عام للقوات المدرعة التابعة للجيش الإسرائيلى فى سيناء ، تمهيداً لاحتلاله منصباً أكبر . وهو قائد عام سلاح المدرعات الإسرائيلى خلفاً للجنرال « آدان »

تلك هى قصة حياة الرجل الحديدى الجنرال إبراهيم (البرت) ماندلر الذى كان طويل القامة ، قرمزى الوجه ، ذا عينين مخمليتين زرقاوين ، وكان من أبرز صفاته - كما أشرنا من قبل أنه هادئ لدرجة البرود حتى إن مؤلفى كتاب « المجدال » الإسرائيليين يقولون عنه « أنه ظل هادئاً ومهدئاً حتى فى ساعات اليأس التى شهدتها جبهة سيناء فكان صوته موزوناً وهادئاً كصوت الطبيب خلال العملية الجراحية » .

وتتابع الرجل فى أيامه الأخيرة التى بدأت مع بداية حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ويستوقفنا

هذا الحوار الذى دار بينه وبين مراسل عسكري قبل اندلاع الحرب ، حين سأله المراسل :
« ماذا يحدث لو عبر المصريون القناة غداً صباحاً ؟

وأجاب هو بثقة « حديدية » : [إذا حدث ذلك ستصددهم قواتنا فى خط المياه ،
وتخلل مدة لا تذكر تكون الحرب قد دارت فى الجانب الثانى ! !]

ثم أضاف ألبرت عن توقعاته قائلاً : إذا جرى هنا صباح الأحد (٧ - أكتوبر)
حفل استبدال القادة ، سأكون مطمئناً ، أما إذا لم يجر هذا الحفل فليكن بعلمك أن
الوضع خطير «

ملحوظة : « الحفل الذى كان ألبرت يتحدث عنه هو الحفل الذى كان من المفروض
إقامته بمناسبة وداعه لقواته فى سيناء - وتسلم القائد الجديد مكانه . وبالطبع لم يتم هذا
الحفل لأن يوم الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣ . . دخل التاريخ فجأة باعتباره ثاني أيام حرب
رمضان ! !

والواقع أن إحساس الجنرال إبراهيم (ألبرت) ماندرل باحتمال قيام الحرب كان
قوياً حتى إن ضابطاً إسرائيلياً كبيراً يقول :

« منذ بداية الأسبوع الذى سبق الحرب ، كنا فى حالة تأهب قصوى ، حيث
وضعنا الجنرال (ألبرت) ماندرل قائد القوات المدرعة الإسرائيلية فى حالة التأهب هذه
بمبادرته الشخصية ، وبلغنا مستوى من التأهب يستطيع فيه الرجال (رجال المدرعات)
التحرك خلال بضع دقائق من الإنذار ، وكانوا يتامون بملابسهم وأحذيتهم بعد أن يعملوا
من الصباح حتى المساء فى تشجيع دباباتهم . »

والمعروف أن خطة المدرعات الإسرائيلية فى سيناء التى سميت بخطة « برج الحمام »
كانت تتضمن اندفاع هذه المدرعات إلى القناة بمجرد التأكد من احتمال عبور المصريين ،
وقد وصل إلى قيادة مجموعات عمليات (ألبرت) ماندرل تحذير جديد فى الساعة ١٥:١٢
ظهر يوم السبت ٦ - أكتوبر - ١٩٧٣ ، واقترح العميد المحلى (بينو) وكان نائباً
لألبرت أن يبدأ تنفيذ الخطة على الفور . وأصدر الرجل « الحديدى » أوامره بالفعل إلى
قواته .

وفى الساعة الثانية اتصل جونين قائد جبهة سيناء بألبرت ماندرل قائلاً له : لقد
حان الوقت لكى تدفع الألوية المدرعة إلى القناة .

وهنا رد عليه « ألبرت » باختصار وتوتر مفاجئ :

وأبلغه جونين بأنها ستصله بعد ٢٠ دقيقة .

وهنا رد عليه ألبرت قائلاً : « لم يبق أمامي عشرون دقيقة ! ! »

ومع ذلك فإن هذه المساعدة الجوية قد تعذر تقديمها - على الأقل بالصورة المطلوبة - نتيجة لتعرض الطائرات الإسرائيلية هي الأخرى . لضربات قوات الدفاع الجوي المصرية والسورية ، مما أدى إلى إسقاط أعداد غير قليلة من هذه الطائرات ، وحرمانها من حرية الحركة التي طالما تمتعت بها في سماء المنطقة كلها .

وفي يوم الاثنين ٨ - أكتوبر - ١٩٧٣ حدث تعديل في القيادات الإسرائيلية في جبهة سيناء أصبح الرجل الحديدي بمقتضاه مشرفاً على القطاع الجنوبي ، على حين تولى الجنرال « آدن » الشهير باسم (برن) قيادة القطاع الشمالي ، وعين الجنرال شارون قائداً للقطاع الأوسط .

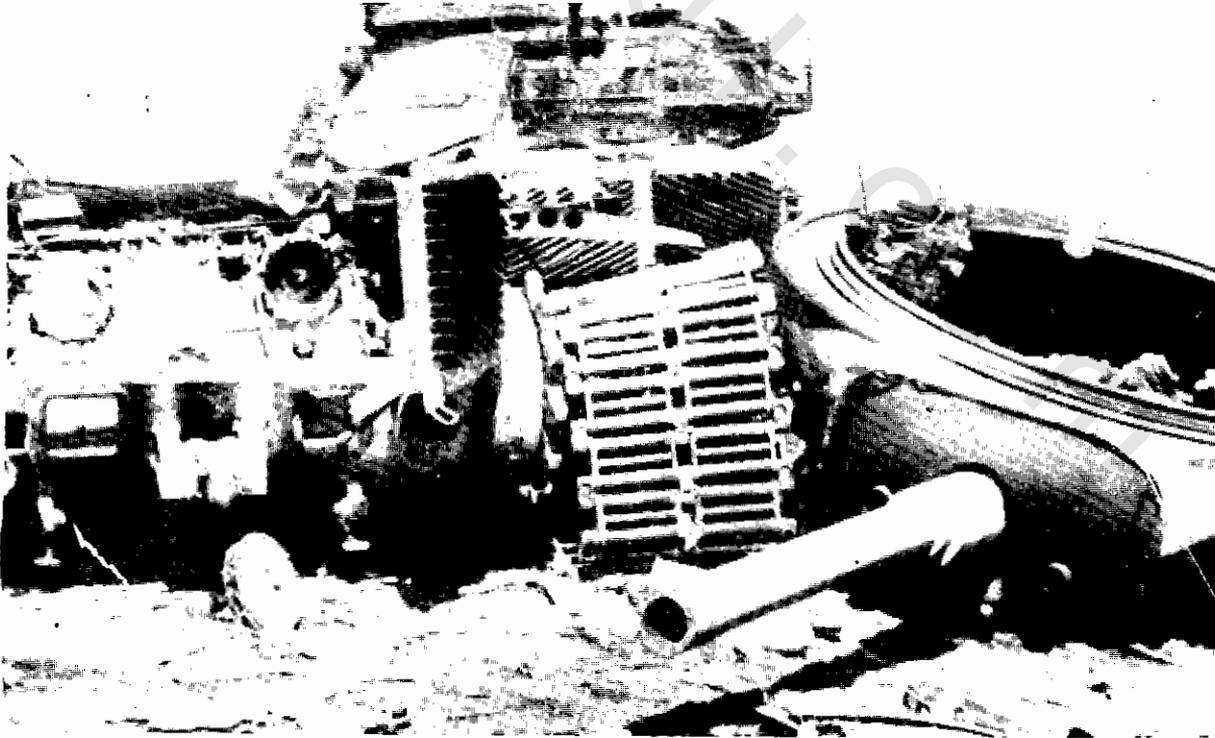
ولم يكن ذلك التعديل في القيادات الإسرائيلية هو التعديل الوحيد الذي تم في أثناء سير العمليات ، فقد تبعته تعديلات أخرى منها وصول حاييم بارليف ليتولى - بشكل غير مباشر - قيادة العمليات في جبهة سيناء ، لكن الرجل الحديدي - على أية حال - ظل في موقعه الجديد كقائد للقطاع الجنوبي حتى يوم الخميس (١١ - أكتوبر - ١٩٧٣) حين كان يقوم بجولة في قطاع أحد ألويته المدرعة ، وتم اتصال لاسلكي بينه وبين جونين قائد الجبهة الذي كان يتحرك بطائرة هيلوكبتر بالقرب من ذلك القطاع ، وسأله جونين عن مكانه حتى يتصل به بعد ذلك ليدعوه إلى اجتماع بمقر القيادة ، وفي اللحظة التي حدد فيها الرجل الصوت (ألبرت) مكانه ، سكت اللاسلكي في مصفحة قيادة ألبرت ، وحاول اللاسلكي الموجود في طائرة جونين الاتصال به مرة أخرى ، ولكنه لم يستطع ، وقال الجنرال جونين لمرافقيه وكان بينهم الجنرال « وايزمان » : (لا بد أن أمراً ما قد وقع لألبرت) وبالفعل اتضح أن قذيفة مصرية مباشرة ، دمرت العربة المصفحة التي كان يستقلها ألبرت (الرجل الحديدي) وأدى الانفجار إلى مقتله ومقتل أربعة آخرين كانوا معه ، ومن بينهم « رافي أونجر » المراسل الحربى لإذاعة إسرائيل .

وقد صدمت القيادة الإسرائيلية بمقتل الجنرال إبراهيم (ألبرت ماندلر) صدمتين : أولاهما لمكانة الرجل وقيمه ، وثانيتها ما أثبتته الضربة من قدرة القوات المصرية على تحديد



« الرجل الحديدى » الجنرال ماندلر (ألبرت) ، وقد وقف فى أقصى اليسار بجوار إحدى الخرائط ليعطى صورة للموقف فى (٧ - أكتوبر)
ويجلس - من اليسار إلى اليمين الجنرالات : جونين ، أليعازر ، آدن (برن) ، بن آرى ، راين

فى الأيام الأولى للحرب .، قال ماندلر إنه لا يعرف كيف سيواجه أسر القتل والجرحى من رجال مدرعاته . لكن القدر أعفاه من هذه المهمة
الشاقة حين انضم هو - أيضاً - إلى قائمة القتل



مكانه بسرعة بالغة ثم دقة استخدامها للمدفعية .

.....

ذلك هو المشهد الأخير في قصة القائد الإسرائيلي إبراهيم ماندلر الشهير بألبرت والرجل الحديدي والرجل الصوت ، والذي كان متوقفاً أن يعين في يوم قريب في منصب رئيس هيئة الأركان لجيش الدفاع الإسرائيلي ، لو لم تعاجله القذيفة المصرية ، وليكون موته « ضربة معنوية قاسية لجند الجيش الإسرائيلي » على حد قول مراسل حربى إسرائيلي . ولكي يصبح في الوقت ذاته أحد الرموز المحزنة لحرب أكتوبر بالنسبة لإسرائيل . والمثير أنه أدلى بحديثه الأخير للصحفيين قبل موته بثلاثة أيام فقط حين قال لهم : لقد غيرت هذه الحرب في نظرى قيماً كثيرة . لقد اشتهرت بأننى ضابط متعنت ومحترف ، ولكننى - في الأساس - ليبرالى والآن وبعد الهجوم المفاجئ الذى قام به المصريون ، يبدو لى أننا لن نستطيع بعد ذلك أبداً أن نسمح لأنفسنا بركوب مخاطرات من هذا النوع . . .

ثم أضاف ألبرت قائلاً :
« سيكون أصعب جزء في هذه الحرب ، بالنسبة لى ، هو الذهاب إلى عائلات جنودى وضباطى الذين قتلوا »

.....

ونحن لو استعدنا تصريح « ماندلر » الذى أدلى به قبل الحرب بساعات - وكان نابضاً بالثقة والغرور ، ووضعناه في مواجهة تصريحه الأخير هذا - لوضعنا أيدينا على مقارنة أخرى توضح حجم انتصارنا في حربنا الرمضانية - الأكتوبرية المجيدة . فبعد التأكيد على قدرتهم « المذهلة » على إيقاف العبور المصرى ونقل المعركة في ثانى يوم إلى داخل مصر ، ها هو ذا الرجل يعترف بأنهم في إسرائيل لن يجرؤوا على ركوب « مخاطرات » من هذا النوع مرة أخرى وهو في الوقت نفسه يعترف بكثرة القتلى الذين سقطوا من قواته ، حتى إنه كان يشعر بالعبء الثقيل الذى سيتحمله عندما يذهب إلى أسرهم « بعد الحرب » . وإن كان القدر (كما يقول كاتب إسرائيلي) « قد وفر عليه هذه المهمة المحزنة لأنه أصبح هو نفسه بعد ثلاثة أيام من ذلك الحديث أحد هؤلاء القتلى ! !

.....

أخيراً أعود إلى ما بدأت به قصة « الرجل الحديدي » إبراهيم (ألبرت) ماندلر ،

وهو أنه ليس الرمز المحزن الوحيد لحرب أكتوبر بالنسبة لإسرائيل ، لأن رموزها المحزنة كثيرة ومتعددة ، ولا يمكن حصرها وتحليلها في صفحات محدودة .

.....
.....

من أوراق قائد لواء إسرائيلي مدرع :

مضى اليوم الثاني من الحرب ، ومازال لدى المصريين سيطرة شبه تامة على قوات العبور الكبيرة التابعة لهم ، فقد عبر المشاة المترجلون أولاً ، ثم قوات مشاة بالمصفحات تدعمها الدبابات ، وبعد ذلك تم عبور فرق الدروع . كل ذلك تحت غطاء من المدفعية الثقيلة . ولقد استطاعوا سحق خططنا الدفاعي الأول (خط بارليف) ، وأبادوا في المعارك الأولى جميع الوحدات المدرعة التي حاولت الاقتراب من خطوط تمرركزهم . وفي هذه المرحلة كنت ألاحظ مثل غيري من قادة الألوية والتشكيلات كيف أن قيادتنا العامة قد ارتبكت . وأخذت ترتكب أخطاء مصيرية .

وقد كنت أحد الذين تسلموا صباح الاثنين ٨ - ١٠ / ١٩٧٣ أمراً بالقيام بالهجوم المضاد على قوة مصرية من منطقة جسر الفردان . وشقت قواتي طريقاً لها في محور رمانة ، وتمركزت بعد أن تخلصت من وحدة كوماندوز للعدو نصبت لها كميناً على هذا المحور . وبدأنا الهجوم المضاد كما حدده لي قائد الفرقة الجنرال (بيرن) ، وكان المقصود كما أوضح لنا هو : « السيطرة على الجسور التي أقامها المصريون ونقل قواتنا المدرعة إلى الضفة الغربية للقناة . » وقد قال لي بيرن بالاسلكي « احتلوا الجسر أريد مرتكزاً » وكنت أشعر أنه متفائل إلى أن دخل على الخط في أثناء محادثتنا قائد لواء آخر هو (.....) وكان يقاتل في ذلك القطاع وسمعتة وقد انفجر صوته في جهاز اللاسلكي صارخاً « إذا لم تصل الطائرات . . لن تبقى لي دبابة واحدة ! !

هذا وقد حذرنا (بيرن) جميعاً من الاقتراب من المشاة المصريين المزودين بصواريخ مضادة للدبابات ، ويبدو أن هذه كانت الإشارة الأولى التي تلقيناها بشأن ماسيحدث لنا بعد ذلك .

احضروا لى عينين . . ! !

بدأ هجومنا . كان المصريون يركضون نحو دباباتنا . ويتسلقونها . وكانوا يندفعون فى موجات لانهائية لها . وشعرت فى مرحلة معينة بأن وضعنا آخذ فى الانهيار . فصرخت فى اللاسلكى .

« إذا كانوا يريدون القتال . . فهيا نرهب الحرب ! »

ثم وجدتنى أصرخ بعد ذلك « احضروا لى عينين . . أريد أن أراهم على ظهر دبابة قبل أن يفجروها ويختفوا ! ! »

. . كان القتل حولنا مخيفاً جداً . حتى أنى لم أستطع السيطرة على زلة اللسان هذه ، ولكننى اعتقدت أنه سيكون بإمكان هذا النداء - وكل شىء يحترق من حولى - تحريك رجال الدبابات الذين سمرهم الذهول أمام هجمات المشاة المصريين علينا . لقد رأينا أمامنا كتائب عصرية من مئات وآلاف الجنود المصريين الذين يتراكمون فى المنطقة كالصينيين . لقد اسودت التلال الرملية من كثرة البشر . . ولم تتوقف موجاتهم أبداً .

(توقيع)

الجنرال نكا

قائد لواء إسرائيلى مدرع

من نقد طيار الفاتوم :

فى ليلة ٨ أكتوبر كانت أغلبية حصون خط بارليف قد سقطت ، وقتل وجرح وأسر معظم الضباط والجنود من قواتها . وخلال الليل تحركت مجموعات مشردة (من الفلول الباقية) متجهة شرقا ، وفجأة سمع جنديان كانا قد اختبأ داخل حفرة صغيرة على جانب طريق المستنقعات ، على بعد عشرات الأمتار من مجموعة من الكوماندوز المصريين ، سمعا صوت خبطة قوية ، وحين اتجهت أنظارهما إلى مصدرها ، اكتشفا أن طياراً إسرائيلىاً أسقطت طائرته بواسطة صاروخ قد هبط بالقرب منهما تماما على أرض المستنقع ، وعندما زحفا إليه وجداه جريحا ، فحاولا سحبه إلى داخل حفرتهم لكنه صرخ من شدة الألم قائلا « اتركونى . . اتركونى . . إبنى لم أعد قادراً . . » وحين حاولا أن يغطياه بمظلتهم ، ارتفع صراخه من جديد ، فعشيا أن يفضحهما صوته فتركاه . . واتجه كل منهما فى اتجاه تاركين وراءهما الطيار الجريح . وقد شقت قوة إنقاذ من المظليين طريقها إلى تلك النقطة

بحثاً عنه . وقد تعرضت لنيران المصريين فسقط ضابط وعدد من الجنود قتلى وجرحى خلال هذه المحاولة التي فشلت تماماً .

وقد عرف فيما بعد أن هذا الطيار الجريح قد وقع أسيراً في يد المصريين .

..... حكاية المقدم رؤيين :

في الساعة ٣٠ ، ١١ من صباح السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ استدعى المقدم رؤيين (وهو الضابط المسئول عن الحصون الواقعة في الشمال) ، استدعى إلى قيادة اللواء ، لحضور اجتماع للقادة ، وقد أبلغ رؤيين في هذا الاجتماع بأن الحرب على وشك النشوب ، وأن الموعد الذي حددته المخابرات الإسرائيلية لبدء الهجوم المصري هو السادسة من نفس اليوم ، وأن على قوات الحصون أن ترفع حالة التأهب إلى الدرجة القصوى . وعلى الفور أدرك (رؤيين) أن مثل هذه التطورات ستصيب جنوده بحالات عصبية رهيبة ، وقرر على الفور الذهاب إليهم ، ومر بالفعل على بعض المواقع ، وتحدث مع كل الأفراد ، وكان في نيته أن يستكمل جولته لولا أنه أدرك أن مثل هذه الجولة تحتاج إلى ساعات طويلة، فاكتفى (رؤيين) بالاتصال التليفوني مع الحصون، وتحدث مع قادتها ويقول رؤيين إنه كان من الصعب عليه أن يقنع رجال الحصون بأن يصدقوا تعليمات القيادة بأن الحرب وشيكة جداً ، وقد دعاه بعضهم إلى إلقاء نظرة على الضفة العربية للقناة ، وأشاروا إلى منظر الريف المصري الذي لم يتغير منه شيء إطلاقاً . فقد كان الفلاحون يعملون في حقولهم مثل كل يوم ، وكان الجنود المصريون يسرون هنا وهناك بدون «سدة» وبلا خوذات على رؤسهم ، بل إن بعضهم كان قد جلسوا على الشاطئ وألقوا بسناراتهم في المياه لصيد السمك وكانوا مندمجين تماماً في عملية الصيد ! !

.....
في الساعة ١٠،٣٠ بعد الظهر أصدر قائد اللواء أوامره بزيادة التأهب والاستعداد لتنفيذ خطة برج الحمام التي تقضى بأن تقوم المدرعات الإسرائيلية بالتمركز على مقربة من الحصون وفي المسافات الخالية بينها .
بعد ٣٥ دقيقة ظهرت الطائرات المصرية في سماء سيناء . . وانقضت على أهداف ومواقع كثيرة . ثم بدأ القصف المدفعي العنيف .

وبعد ١٥ دقيقة أفيد أن المصريين يعبرون .

أدرك رؤيين من خلال سماعه للتقارير عبر أجهزة اللاسلكى ، أن الوضع سيء للغاية . فبعض الحصون قد سقطت . . وتعرضت المدرعات التى تقدمت لتنفيذ خطة برج الحمام لضربات عنيفة ، فعلى طول خط الجبهة ، ربضت الدبابات المصرية على السواتر الترابية الموجودة غربى القناة ، وقامت بالاشتراك مع جنود المشاة حاملى الصواريخ المضادة للدبابات ، بحصد الدبابات الإسرائيلية التى كانت تحاول الاقتراب ، وكان المشاة المصريون قد احتلوا المصاطب التى أعدت لكى تصل إليها المدرعات الإسرائيلية ، وتضرب منها .

وسرعان ما اتضح أن أغلب الدبابات (فى الخط الأول) قد أصيبت بقذائف البازوكا أو الآر . بى . جى .

أخذ رجال الحصون يطلبون النجدة ، ويستغيثون لأن موجات أخرى من المشاة المصريين بدأت تهاجم حصونهم ، فى حين بدأت مئات زوارق الإنزال والأطواف تعبر القناة .

انتقل رؤيين « بقيادته » إلى مقربة من المستنقعات المالحة ، وأخذ يتحدث باللاسلكى مع بقية الحصون ، ثم يتحدث مع القيادة طالبا تعزيزات ، وقد أخذ يهلل عندما علم أن لواء (جابى) فى الطريق إليه .

لم تدم فرحة رؤيين طويلا . . فمع مرور الوقت علم أن لواء « جابى » هو الآخر يتعرض للنيران المصرية العنيفة ، وأن دباباته أخذت تحترق وتنفجر وتتساقط .

« كان الجنود المصريون يندفعون بأعداد كبيرة على دفعات لا تقطع حتى شعرنا وقتها أننا نقاتل « الصينيين » وعندما ظهرت الدبابات المصرية كانت تفوقنا عدداً وعدة . واضطررنا فى أثناء الاشتباكات إلى التروذ بالوقود ثلاث مرات .

إن كل ما تبقى معنا فى كل الجبهة هو (٩٠) دبابة كان علينا أن نقف بها بين المصريين والتقدم إلى قلب بلادنا . . »

(توقيع)

البريجادير عمون وشيف
قائد اللواء ١٤ مدرع الإسرائيلى

واقنصص المصرىون اللىل من جىش الءءفاع :

كان القءال فى معظمه ىتم فى ساعات النهار فقط ، ومع حلول الظلام كان ىبدو وكأن قواءنا المءرعة سعىءة وفرحة باسءءاءها لمبىء اللىل فى مواقعاها ، وقد برز هذا الوضء فى البىانات الصبأحية للناطق باسم جىش الءءفاع الإسرائىلى فلقد أكد فى مالا ىقل عن تسعة بىانات « أن اللىلة مرء على قواءنا بهءوء « أو ساء الءءوء طىلة اللىلة » .

ولكن لماذا كان هناك هءوء فى اللىل ؟ ولماذا كان هناك قبول وءرءىب بهذا الءءوء ؟ لءء كان ممكناً اسءءلال جىش الءءفاع الإسرائىلى لإءءى مزاباه الهامة وهى (قءال اللىل) وإذا كان وقت جىش الءءفاع فى هذه الحرب مءءوفاً حقاً فلماذا لم اسءءل بصورة أكبر ساعات الظلام للقيام بعملىاء كبىرة ؟

الحقىقة أنه لم ىعد اللىل ءءء ءصرف الجىش الإسرائىلى وءءه ، فلءء اسءءء العرب أبضاً للءقال اللىلى ، وأفضل برهان على ذلك ، ءلك الأجهزة الكءبىرة للءرؤية فى اللىل ءى زوء بها العرب قواءهم . فلءء ءبءوا على بئاءق الكلاشكوف مناظرى خاصة ءمن كل واءء منها حوالى ألف ءولار ، كما أنهم أقاموا الجسور على القناة فى اللىل ، وقاموا بانزال رجال الكوماءئوز ونقلوا مءرعات كءبىرة للهجمات اللىلىة .

(ءوقىع)

المءرر العسكرى الإسرائىلى

زئىف شىف

رافى بارلىف . . لا ىرد :

بءأء القواء المكلفة بالعبور إلى غرب القناة ءءركها ، وكان ىءقءمها أفراد الوءءة الاسءءلاعىة ، وءبعءهم سرىة رافى بارلىف (ابن شقىق حاىم بارلىف) وقام « رافى » بجمع رجاله قبل ءءءرك ، وأصءر لهم ءوجىهائه الأءبىرة ، وعاء القاءة وءرسوا الطرىق ءى سىمرون علبها إلى البءبىرة المرء الكبرى ، وأنهى رافى ءوجىهائه بقوله :

« إننى آمل أن ءلءقى » وقام عامى فرىءمان بقاءة المصفحة الأولى ءى بءأء فى الواقع حملة عبور القناة ، وكانت الحركة بطىئة ، وءاول رجال الاسءءلاع ءءب القناواء القربىة من البءبىراء المرء ، واضءروا إلى ءأءرءنا وهناك .

مرء ساعة قبل أن ىعلن « فرىءمان » أنه قد عبر الكءبان الرملىة ، ووصل إلى

الطريق الممتدة على طول البحيرات المرة . وهذه هي الطريق المسماه (قاموس) .
.. كانت الساعة آنذاك هي التاسعة تقريباً ، ومن هنا توجهوا شمالاً إلى طرف
البحيرة ، حيث الحركة أسهل ، وتحرك « رافى » على رأس الرتل ، وخلفه فصيلة من
الدبابات ، كما تحركت خلف رجال الاستطلاع كتيبة مدرعات من تشكيلة الاختراق
وراءها كتائب من المظليين . ولم يطلق المصريون حتى تلك اللحظة طلقة واحدة .
.. كانت سرية رافى تتحرك إلى الشمال من موقع العبور ، وكان عليها البدء في
تطهير المنطقة ، وظهر له ولرجالها أن الجزء الشمالى يزخر بالمصريين وثمة عربات كبيرة
بداخل حفر عميقة ، بالإضافة إلى مراكز للمدافع والدبابات .

وفي اللحظة التي كانت سرية رافى تشعر فيها بنوع من الاطمئنان ، انطلقت قذائف
المصريين . وكان أول المصايين عامى فريدمان الذى أصيب فى عينه ، كما أصيب أحد
أفراد مصفحته .

.. ومع انتصاف الليل اشتدت النيران المصرية ، وواجهت الكتيبة المدرعة مقاومة
شديدة ، وظهر المشاة حاملو الصواريخ المضادة للدبابات ، وغطت النيران المصرية
محورى (العنكبوت - الطنين) الممتدين من الشرق إلى البحيرة المرة .

... تحركت سرية (رافى) لمساعدة كتيبة المدرعات التي كانت تواجه موقفاً
صعباً جنوبى المزرعة الصينية ، وفى الساعة الثالثة كانت السرية الاستطلاعية تقاتل
إلى جانب كتيبة المدرعات ، وفجأة فتحت عليها نيران الدبابات المصرية من الخلف ،
وتلقت الضربة الأولى مصفحة عامى فريدمان التي كانت تتقدم قوات شارون إلى
غربى القناة ، فاشتعلت فيها النيران ، ونجح اثنان فقط فى القفز إلى خارجها وهما (عامى)
وجندى آخر ، وبقي داخل المصفحة ستة قتلى من بينهم المضمدم الذى عالج عين عامى
الجريحة وانطلق (إسحق أجام) من عربته لمساعدة المصايين ، وفى اللحظة نفسها
انفجرت المصفحة ، وكان (عامى) والجندى مستقلقين على الأرض فى مكان قريب
وقد أصيبا بحروق شديدة .

..
وفى الطرف الآخر ، كانت المنطقة كلها عبارة عن ساحة قتال ، وقام المصريون
بمحاولة لسد الطرق فى وجه القوات التي كانت تحاول الدخول إلى غربى القناة ، وفجأة
سمع (إسحق أجام) فى جهاز الاتصال صوت ضابط عمليات الكتيبة الذى كان

ينادى على (رافى) ، فألى الجنوب قليلاً ، وقرب المعقل الخالى الواقع قرب القناة ، أصيبت دبابة قائد القوة الاستطلاعية ، وقتل (يوأب بروم) الذى كان قد تلقى قيادة القوة بعد مقتل قائدها السابق فى الأيام الأولى للحرب . وقام ضابط العمليات ، بالبحث عن (رافى) لينقل إليه القيادة ، ولكن رافى لم يرد على هذه النداءات .

وقال إسحق أجام للجندى الذى كان بجانبه (إن رافى لا يرد) ، فأشار الجندى إلى دبابة تشتعل فيها النيران على مسافة عشرات الأمتار ، وقال تلك هى دبابة (رافى) ، فبينما كان ضابط العمليات يبحث عن (رافى) لكى ينقل إليه القيادة ، اخترقت قذيفة من النوع الخارق للمدركات برج الدبابة فقتل رافى وبقيّة أفراد طاقم الدبابة باستثناء سائقها الذى كان مذهولاً ومضطرباً .

.... وبعده مباشرة .. وقعت مصفحة (عامى) فى كمين وقتل هو الآخر .. وتوالى سقوط القتلى ، واشتعال الدبابات .

إضافة :

« فى غرفة العمليات التابعة للجبهة كان حايم بارليف (عم رافى) ، يصغى إلى جهاز اللاسلكى ، وكان يستمع إلى أوامر المعركة الصادرة لتشكيل الاختراق ، وقد سمع لئوه نبأ مصرع قائد القوة الاستطلاعية وعن قرار نقل القيادة إلى ابن أخيه (رافى) ، ولم يكن يعلم بأن (رافى) قد قتل أيضاً فى هذه اللحظة »

* * *

وتخبطت . كالحَيوان المطارد ! !

كان الجنرال أورى آى القائد العام المساعد للقوات الإسرائيلية فى جبهة سيناء حاضراً ذلك اللقاء الذى بدأ بوصول موشيه ديان إلى مقر القيادة فى ثانى أيام القتال ، واستمع فيه ديان من جونين (قائد الجبهة) إلى التقارير وشاهد خرائط المنطقة وماوضحته عن سقوط عدد من مواقعنا . وسيطرت عليه حالة الاكتئاب واهتزت على شفثيه ابتسامة عصبية . . وقد وصف الجنرال أورى الموقف قائلاً :

« كان الشعور المسيطر علينا ساعتئذ هو أننا نعيش أحداثاً حاسمة ومروعة يتوقف

عليها مصيرنا ، فكل هزيمة تفتح فجوة جديدة في الطريق إلى تل أبيب .
وعند ما عاد موشيه ديان من هذه الجولة في الجبهة الجنوبية ، كان بادى القلق ،
وقد اجتمع على الفور مع جولدا مائير ، التي كانت قد أبلغت بالخسائر التي أصابتنا في
اليوم السابق وهو أول يوم في الحرب ، وكانت هذه الخسائر خمسمائة قتيل ، وألفين من
الجرحي وعشرات من الأسرى ، ولإدراك أبعاد الكارثة ، يكفي مقارنة هذه الأرقام بأرقام
الحروب السابقة . ففي عام ١٩٥٦ وقع في صفوف الجيش الإسرائيلي خلال القتال
جميعها مائة وثمانون قتيلاً وأسيران فقط . . وخلال حرب الأيام الستة (يونية ١٩٦٧)
كانت خسائرنا الإجمالية ٨٥٠ قتيلاً ، ١٤ أسيراً .

وفي هذا اليوم من أكتوبر ١٩٧٣ - وفي ٢٤ ساعة فقط من القتال - إذ بإسرائيل
التي كانت تعتبر حتى ذلك الوقت قوة عسكرية ، إسرائيل التي غدت بسالتها مضرب
الأمثال لكل جيوش العالم ، إسرائيل التي حققت منذ ستة أعوام أعظم انتصاراتها وأكثرها
مدعاة للذهول في تاريخ الحروب الحديثة . إذ بإسرائيل هذه تتخط كالحيون المطارد
من أجل بقائها نفسه بعد أن أصبحت مهددة بالدمار الكامل .
لقد كان انقلاباً كاملاً شاملاً في فترة قصيرة من الزمن .

(من كتاب كيبور لمؤلفيه الإسرائيليين السبعة)

* * *

« إن انتشار الدبابات المصرية في سيناء صنع أمامنا جداراً سميكاً من الصلب ،
وكان المشاة الميكانيكيون في مواقعهم يصبون على دباباتنا صواريخهم . التي تطلق من
الكتف ، كما أن كثافة النيران المصرية قد وضعت الطيران الإسرائيلي في موقف بالغ
الصعوبة ، وهذا كله مع الإصرار الفائق الذي قاتل به المصريون
لقد كانت هذه الحرب تجربة مروعة بالنسبة لى . كان لدينا الإحساس بأننا نواجه
هجوماً من أمواج لا تنتهى من النمل المتماصق الملصق ببعضه البعض المصمم على
دحرنا .

كان هذا هو حالنا أمام الجيش المصرى عند قناة السويس . . حيث كانت أمواج
متلاحقة من المدرعات والدبابات والعربات تقذف علينا القنابل والقذائف والصواريخ .

« من حديث لجندى إسرائيلى مع الكاتب الصحفى

الفرنسى « إيريك رولو »

السويس . . فوهة الأسد

. . هذه هي حكاية « السويس » . . هجوماً ودفاعاً وقصصاً بالغة الأثرة . .
. . هذه هي حكاية السويس . . كما سجلها واحد من أكبر المحررين العسكريين
الإسرائيليين في أحدث دراسة عن طوفان أو زلزال أكتوبر ١٩٧٣ .
. . وهي فصل مستقل بذاته من قصة الطوفان الأكتوبرى . بل هي الفصل الأخير
في القصة .

. . فصل مستقل بذاته . . له دلالاته الهامة وفيه تجسيد لكل خلفيات الحرب ووقائعها .
. . وقبل أن أترك الصفحات التالية لقلم الكاتب والخير الإسرائيلي الكبير زئيف
شيف ليروى بنفسه حكاية السويس بتفاصيلها التي جمعها من كبار القادة ومن الضباط
والجنود الذين أشاركوا في محاولة الأحتلال . .
أستأذنك صديق القارئ في أن أضع هذه النقاط كمدخل ضرورى للرواية
الإسرائيلية لحكاية « السويس »

١ - ليس هناك أدنى شك في أن زئيف شيف بمكانته الكبيرة في إسرائيل كمحرر
وخبير عسكري قد حصل على كل الوثائق والمعلومات التي تحكى قصة محاولة دخول
السويس ، كما أنه باتصالاته الشخصية الواسعة جمع تفاصيل كثيرة من لقاءاته
مع كبار القادة والضباط والجنود الذين اشتركوا في المحاولة .

٢ - ليس هناك أدنى شك - أيضاً - في أنه يحاول قدر جهده وبما أوتي من ذكاء
وخبث دعائين ، أن يقلل من حجم الصدمة التي تلقتها القوات الإسرائيلية فيبحث عن
مبررات كثيرة لفشلهم محاولاً أن يجعل صلابه وشراسة المقاومة التي أبدتها شعب السويس
مجرد سبب من أسباب كثيرة كنتقص المعلومات مثلاً لدى القوات المهاجمة ، فهو في
هذه الحالة يدين بالفعل مخابراتهم واستطلاعهم لكنه - في النهاية - يحاول أن يبرر
انهيار هذه القوات أمام عنف المقاومة .

٣ - حسب وثائق وأوراق القيادة الإسرائيلية ، يتضح لنا أن مساعد جونين القائد
الإسرائيلي لجهة سيناء ، وهو « أورى بن آرى » أبلغ « آدن » قائد إحدى الفرق المدرعة

التي تمكنت من عبور القناة إلى الضفة الغربية بضرورة الاستيلاء على السويس - بعد أن فشل شارون في الوصول بقواته إلى الإسماعيلية . وكان هذا الأمر الذي نقله « أورى ابن آرى » إلى « آدن » يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ - أى بعد صدور قرار وقف إطلاق النار بأربع وعشرين ساعة - وهم حاولوا بالطبع تبرير انتهاكهم الفوري للقرار الدولى بأن قالوا إن الكوماندوز المصريين أطلقوا قذائفهم على بعض الدبابات الإسرائيلية ؟

٤ - تقول تلك الوثائق والأوراق الإسرائيلية إن مساعد القائد العام لجهة سيناء . . حين أبلغ آدن بأوامر الاستيلاء على السويس قال له بالحرف الواحد :
« إننا نريد أن تستولوا على مدينة السويس ، ولكن بشرط ألا تكون هذه ستالينجراد أخرى »

فماذا حدث بعد ذلك . . وكيف أصبحت السويس برغمهم ستالينجراد أخرى ؟ !
هذا ما ستقرأ تفاصيله .

٥ - تقول الدعاية الإسرائيلية إن جيش الدفاع كان يشعر بأن الحرب قد انتهت قبل أوانها ، وأن الانتصار الكامل قد سرق منها .
حسناً . . ها هي ذى فرصة أخرى لكى ينهوا هم الحرب كما يشاءون ، ويستردوا الانتصار المسروق ، وهى ليست مجرد فرصة أخرى ، إنها فرصة سانحة تماماً . فقرار المجتمع الدولى بوقف إطلاق النار قد أصبح سارى المفعول منذ ٢٤ ساعة . والقوات المصرية احترمت القرار فور سريانه . وقوات إسرائيل هى التى انتهكتته منذ أول لحظة بحجة تخليص قواتهم التى وقعت فى كمين للكوماندوز المصريين على طريق الإسماعيلية حينما حاولت دخول المدينة فتصدت لها مجموعات الصاعقة . . فى معركة عنيفة . . انسحبت منها القوات الإسرائيلية لكنها لم تستطع تخليص مجموعة كبيرة من حصار المصريين .

ثم إن السويس هدف مدنى . . وليست موقعاً عسكرياً حصيناً مجهزاً . . وبالتالي فإن المهمة أسهل بكثير أمام قوات جيش الدفاع الإسرائيلى .

و . . لنقرأ القصة الآن ، كما يرويها الكاتب الإسرائيلى . محتفظين بهذه النقاط أمام عيوننا وفى أذهاننا ، دون أن نغيب عنا لحظة واحدة .

أهى مدينة مهجورة . . أم فوهة أسد ؟

دخلت قوات جيش الدفاع الإسرائيلى فى فوهة الأسد بدون أن تشعر أن أنيابه قد تطبق عليها . فجنود الاستطلاع الذين تحولوا فى الصباح حول المواقع المصرية قدموا تقارير مفادها أن هذه مدينة أشباح مهجورة ، وأن القوة الموجودة بداخلها صغيرة وغير منظمة . ومع أنهم لاحظوا وجود مواقع للمدافع المضادة للدبابات إلا أن هذه المواقع لم ترد على النيران التى أطلقتها الدبابات الإسرائيلية نحوها .

. . كان فى مدينة السويس بضعة آلاف من الجنود المصريين ، وكان بينهم على الأقل وحدة واحدة منظمة كما ينبغي . وكان القادة الإسرائيليون مقتنعين بأن سكان المدينة ، والعدد القليل من الجنود ، يريدون الاستسلام . وكانت شبكة التليفونات ما تزال تعمل فى المدينة ، وقام القائد الإسرائيلى بالاتصال بالمحافظ الذى كان مستعداً للاستسلام لكنه قال له إنه لا معنى لاستسلامه بدون موافقة القائد العسكرى المصرى ، ووعده بالمثل مع هذا القائد ولكنه لم يعد إلى الاتصال مرة أخرى .

وتمكن الإسرائيليون من الاتصال تليفونياً بالقائد المصرى للمركز الكائن بجانب ميناء الأدبية وقال الرجل إنه مستعد للاستسلام مع رجاله ، وأنهم سيلقون سلاحهم بمجرد وصول قوات جيش الدفاع الإسرائيلى إليهم . وهكذا كان كل شئ يبدو سهلاً ومضموناً ، وعليه تقرر دخول المدينة .

ملحوظة سريعة :

أجدنى مضطراً للتدخل هنا فى سياق رواية الكاتب الإسرائيلى لأقول إنه حتى إذا صحت واقعة الاتصال التليفونى مع المحافظ وقائد ذلك المركز - فإن المعنى الوحيد لرد كل منهما هو أنهما آثرا أن يحدرا أعصاب القائد الإسرائيلى ويعطيا إيعاء بأن المدينة أضعف من أن تفكر فى غير الاستسلام وهذه نقطة تحسب بالتأكيد للإنسان المصرى)

ويواصل زئيف شيف روايته لقصة السويس فيقول :

. . في الساعة العاشرة والنصف بدأت القوات الإسرائيلية التحرك نحو المدينة وتقدمت باتجاهين . رتل من الشمال ، وآخر من الغرب على أن يلتقوا عند الميناء .

وكان يتقدم هذه الأرتال كتيبة دبابات ، تتبعها عربات نصف مجنزرة ومصفحات بداخلها مظليون وأفراد وحدة أستطلاعية .

ولم يكن يتقدم هذه الأرتال قوات مشاة تكون مهمتها التأكد من خلو الطريق من الكمائن ، وتقدمت الأرتال في شوارع ضيقة ، بين أبنية مرتفعة من الجانبين ، وقد تم الدخول بهدوء ، وبدون إزعاج .

وفجأة فتحت النيران الشديدة على القوة المتقدمة من كل صوب ، وقام المصريون بإلقاء آلاف القنابل اليدوية من نوافذ المنازل ، ومن الأسطح ، وكانوا يوجهون قنابلهم إلى داخل العربات نصف المجنزرة المفتوحة . كما أخذوا يطلقون الصواريخ المضادة للدبابات من خلف الجدران والشرفات .

وخلال فترة قصيرة كان الكثير من الدبابات والعربات قد أصيبت « من بين الـ ٢٤ دبابة التي تقدمت الهجوم ، استطاع المصريون اقتناص قادة ٢٢ دبابة » وتبعثت الأرتال الإسرائيلية في منطقة واسعة ، ولم تكن هناك طريقة للخلاص من النيران ومن الكمائن إلا بالانسحاب . وقد أصيب عند مشارف السويس اثنان من قادة الكنايب منهم الكولونيل (يوسى) الذي قاد العملية بأكملها . وقد تولى القيادة بعد ذلك أحد قادة السرايا . توجهت الدبابات إلى الخلف محاولة أن تنجو بنفسها ، أما المظليون فكانوا مكشوفين أكثر ، وقفز الكثيرون منهم من عرباتهم المصابة ، والتجأوا إلى بيوت مجاورة ، وقاموا بالدفاع عن أنفسهم من خلالها .

وكما حدث في المزرعة الصينية ، وكما حدث بالقرب من الإسماعيلية ، فقد كانت المشكلة هنا هي كيفية إخراج المظليين من معركة لم يعرفوا قدرة العدو فيها .

وأصبح الجهد كله الآن موجهاً لتخليص الرجال وإخلاء المصابين ، وأسرعت إلى الداخل عربية الأستخبارات نصف المجنزرة التابعة للواء ، ولكنها أصيبت وقفز أفرادها إلى أحد الجدران القريبة ، وقد شوهد أفراد الأستخبارات التسعة هنا للمرة الأخيرة .

بعد ذلك أرسلت سرايا من الدبابات إلى الداخل بقصد الاتصال بالمظليين الذين حاولوا الانسحاب في مجموعات ، فأصبحت هذه الدبابات بمجرد دخولها . وبذلك زاد عدد المصابين .

.. ومحاولة إنقاذ بالطائرات .. لعل وعسى !!

قامت طائرات عمودية بالهبوط قرب المدينة ، من أجل إخلاء المصابين بسرعة ، كما أفلعت طائرة عمودية ضخمة في طريقها إلى السويس أيضاً وكان من بين الذين تحملهم هذه الطائرة الدكتور (أورى فوند) الذى جمع ثلاثة من المضمدين ، وقرر التوجه بنفسه لإخلاء المصابين ، .. وبينما كانت هذه الطائرة في طريقها إلى موقع الهبوط قرب مدينة السويس ، أصيبت بصاروخ من طراز (ستريللا) الذى يطلقه الجندى من فوق كتفه !
وتحطمت الطائرة .. وقتل من فيها ..

جرى تخليص مجموعات جديدة من المظليين .. من المدينة التى أغرقها المصريون بالنيران ، وقد قتل حوالى ثمانية من هؤلاء المظليين ورجال المدرعات ، ولكن كان لا يزال هناك ثلاث مجموعات محشورة داخل المدينة ، رجال الاستخبارات الذين قطع الاتصال معهم ، ومجموعة من المظليين وعلى رأسهم (ح) ، ومجموعة أكبر كانت تتحصن في داخل إحدى العمارات . وكان يوجد في هذه المجموعة قائد كتيبة مصاب بجراح خطيرة ، وقد حل مكانه قائد إحدى السرايا . ومع حلول الظلام قررت المجموعة التى يرأسها (ح) الخروج سيراً على الأقدام ، وحملت معها جرحاها وقد نجحت هذه المجموعة في تخليص نفسها والخروج من المدينة .

أما المجموعة الثانية الأكبر ، فقد وقعت في مشكلة أخطر ، وقام المصريون بتركيز قوات كبيرة حولها . وكان يبدو أنها محاصرة . من كل جانب ، وقد قتل في إحدى محاولات التخليص مساعد قائد لواء المظليين . وفشلت جميع المحاولات التى قامت بها الدبابات لتخليص هذه المجموعة . وقد تمكنت خمس دبابات واثنان من العربات نصف المجترزة ، من الوصول إلى مسافة حوالى مائة متر من المكان الذى تحصنت فيه المجموعة . وكان المصريون قد أقاموا على الطريق متراساً كبيراً ، وزرعوا ألغاماً كثيرة ،

وقاموا بتوجيه الصواريخ المضادة للمدرعات على الدبابات والعربات المتقدمة فاضطرت هذه إلى الانسحاب .

وفى حوالى منتصف الليل جرت مشاورات حول ما إذا كانوا سيقترحون على قائد القوة المحاصرة الخروج مشياً مع جرحاه ، أو الانتظار حتى طلوع النهار حتى تساعد الطائرات والمدفعية وطلب جونين التحدث مع قائد القوة المحاصرة . وكان ذلك قبل منتصف الليل بعشر دقائق . واستمرت المحادثة اللاسلكية حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل أى أنها استغرقت أربع ساعات ، ظل فيها قائد القوة متردداً وخائفاً وتبين أن هذه القوة موجودة فى مبنى مركز شرطة مدينة السويس ، وتم تحديد موقع هذا المبنى ، وبعد دراسة الطرق التى يمكن أن تسلكها القوة فى طريقها إلى خاراج المدينة أشرف جونين على توجيه المدفعية فيما يشبه صندوق النيران المحيط بطريق الانسحاب ، وصدر الأمر لقائد القوة بالخروج فوراً بدون الانتظار حتى مطلع الصباح ، وأعطيت له تعليمات لسلك طريق محددة للوصول إلى نقطة خارج المدينة ، حيث كانت تنتظره هناك سيارات الإسعاف لإخلاء المصابين من أفراد القوة .

... وبهذا انتهت المعركة الكبيرة والأخيرة من حرب يوم الغفران التى كانت خطأ جسيماً كلف جيش الدفاع الإسرائيلى خسائر كبيرة فى الأرواح ، وقد بقيت جثث كثيرة فى ساحة القتال حيث قام المصريون بتسليمها بعد وقف إطلاق النار .

هكذا سجل قلم الكاتب الإسرائيلى الكبير قصة السويس .. كيف هاجمها القوات الإسرائيلىة (بعد سريان مفعول وقف إطلاق النار) وكيف خدع المصريون قادة الحملة الإسرائيلىة ، فأوحوا إليهم - بشكل مباشر وغير مباشر - أن المدينة تفتح أبوابها لهم ، ثم فجأة اندلعت المقاومة الشاملة العنيفة .

وبدلاً من أن تكون مهمة القوة الإسرائيلىة الضخمة - المكونة من مدرعاتهم ومظلييهم ومخابراتهم - هى احتلال السويس بأسرع وقت - أصبحت مهمة هذه القوة العمل على تخليص أنفسهم من (أيدى) المصريين .

وذلك بعد أن فشلت محاولات دفع قوات جديدة إلى الداخل للقيام بعملية الإنقاذ - ولم ينتج عنها إلا إضافة أعداد جديدة من القتلى والجرحى والمدرعات والطائرات المدمرة .

والمثير للاهتمام أن هذا الموقف الذي عاشته القوة الإسرائيلية الكبيرة (في السويس) -
تكرر قبل ذلك على طريق الإسماعيلية ، وفي ساحة المزرعة الصينية . وكالعادة يحاول
الإسرائيليون التقليل من حجم خسائرهم في الأفراد والمدرعات والمعدات والطائرات .

وإذا كنا قد قرأنا معاً قصة معارك السويس كما سجلها الكاتب الإسرائيلي المشهور
(محتفظين أمام أعيننا وفي أذهاننا ، بالنقاط التي آثرت أن أسجلها قبل بداية القصة) -
فإننا سنكون بالتأكيد قد استخلصنا الصورة الحقيقية لهزيمة كبرى من الهزائم التي
منيت بها القوات الإسرائيلية ، ولنصر رائع حققه شعب السويس بمساعدة قوة
عسكرية محدودة .



من أوراق القوات الإسرائيلية في الجولان

بدأ السوريون هجومهم بثلاث فرق ، وبلغ مجموع الدبابات التي اشتركت في الجولة الأولى من الهجوم حوالي ٨٠٠ دبابة ، وكان على الفرق الآلية اختراق الجبهة والوصول إلى عمق عدة كيلومترات على الأقل ، وفتح طريق أمام فرقتين مدرعتين . وقد اقتحم السوريون الجبهة في قطاعين ، ففي الشمال قرب القنيطرة قام حوالي ٢٠٠ دبابة بعملية الانقضاض الأولى ، وفي القطاع الأوسط ، قرب رفيد ، جرى الاقتحام بواسطة ذراعين . الذراع الأولى كانت وجهتها معسكر نافع وجسر بنات يعقوب ، والذراع الأخرى توجهت جنوباً باتجاه هضبة « مغشيم » « والعال » ، ومن هناك إلى مصب الأردن ، وإلى جسر « أريك » القائم على نهر الأردن .

ومع أن القوات الإسرائيلية في الجولان قد تم تعزيزها بلواء مدرع عشية الحرب إلا أن مهمتها كانت صعبة في مواجهة الهجوم السوري الذي تم بسرعة شديدة لدرجة أنه أصبح من الصعب على سلاح الجو الإسرائيلي تقديم المساعدة في اليوم الأول لأن الدبابات السورية كانت قريبة جداً من الدبابات الإسرائيلية ، ومن الصعب على الطيارين التمييز في هذه المنطقة الجبلية بين الدبابات السورية والإسرائيلية ، كذلك فقد كانت بطاريات الصواريخ « أرض - جو » السورية تزيد من صعوبة العمل بالنسبة للطيارين الإسرائيليين .

ومع حلول الظلام ، استمر السوريون في الهجوم ، واستعان قادة الدبابات السورية بمناظير خاصة لذلك . أما تشكيلات الدبابات الإسرائيلية في هضبة الجولان فقد تحطمت دبابة إثر دبابة . وكان عليها أن تقف في مواجهة الهجوم السوري الرئيسي ، ولسوء حظها تم تشتيتها بسرعة ، وخلافاً لتشكيل الدبابات الذي كان يعمل في مواجهة القنيطرة بتركيز أكبر ، كانت هذه تعمل في مجموعات أصغر .

توغلت الدبابات السورية ببطء باتجاه مركز القيادة في معسكر (نافع) ، وبعد منتصف الليل كانت على بعد عدة كيلومترات من نافع الواقعة على الطريق الرئيسي بين جسر بنات يعقوب والقنيطرة .

وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل - اقترح (مردخاي هود) على قائد الجبهة الشمالية ترك المكان . . وقال له : « إذا كنت تريد الاستمرار في إدارة المعركة فعليك الخروج من هنا بأسرع ما يمكن ، لأن أجهزة الاتصال سوف تصاب وتتوقف عن العمل خلال فترة قصيرة » . وقد وافق اللواء (يتسحاق حوفي) على هذا الاقتراح وقبل مغادرة المكان سلم إلى اللواء (رفائيل إيتان) المسؤولية عن هضبة الجولان ، وتوجه يتسحاق حوفي ومردخاي هود إلى موقع القيادة .

في الساعة السادسة والنصف من صباح الأحد (٧-١٠-١٩٧٣) تلقى (رفائيل إيتان) الذي كان ما زال في موقع القيادة في معسكر نافح - تقريراً عاجلاً بأن الدبابات السورية تحاصر المكان . فاحتار بعض الوقت ، ثم أصدر أمراً بإخلاء (نافح) والتوجه نحو جسر بنات يعقوب الموجود في منحدر الطريق على بعد عدة كيلو مترات .

وانتظر (رفائيل) وقيادته في مكان قريب من الجسر ، وعندما مرت ساعة ولم تصل من معسكر «نافح» أية أخبار عن اقتحام السوريين له ، أصدر أوامره بالعودة إلى المعسكر ، فأجهزة الاتصال الموجودة في الموقع أفضل بكثير ، ومن هناك يمكن الاتصال بسهولة ، وبقى في المعسكر جنود قلائل ، ولم يكن رفائيل يعلم أنه لن تمر ساعة حتى يكون عليه أن يفر من المكان مرة أخرى . وفي هذه المرة كانت قذائف الدبابات السورية تطارده .

كان (الاستحكام) مكتظاً وخانقاً ، وعلى ما يبدو فقد أصابت قذيفة أجهزة التهوية ، وخرج «داني» (وهو ضابط أركان) لاستنشاق الهواء الطلق ، وأصابته الدهشة عندما اكتشف على بعد عشرات الأمتار بالقرب من جدار المعسكر دابتين سورييتين ، ومن خلفهما دابتان أخريان تقربان . وتجمد داني مكانه لمأى الدبابات السورية (فهو لم يمر بهذا الوضع منذ كان في البالمخ) ثم عاد مسرعاً إلى الاستحكام وبصوت خافت جداً توجه إلى رفائيل إيتان قائلاً :

« إن الساعة هي الثانية عشرة إلا دقيقة ، ويجب علينا الخروج من هنا فوراً لأن الدبابات السورية وصلت إلى حدود المعسكر » .

وأجابه رفائيل إيتان قائلاً : « حسب ما تقول فإن الساعة هي الثانية عشرة ودقيقة » . . . وفي نفس هذه اللحظة دخل جنديان (مدرعات) يحملان زميلاً لهما وقد أصيب في بطنه

إصابة خطيرة ، وكان هذا الجندى بداخل دبابته حين اكتشف فجأة هو ورفاقه وجود دبابات سورية ، وقد أصابوا واحدة منها ، لكن قذيفة انطلقت نحو دبابتهم وفجرتها .
أصدر رفائيل إيتان أمره لرجال قيادته بالخروج ، وهول الرجال إلى مركباتهم ، وكان معظمها مصفحات ، وتوجه رفائيل وداني إلى سيارة الجيب وفي أثناء الخروج أصيبت إحدى العربات نصف المجنزرة إصابة مباشرة ، وكان مردخاي موجوداً في المنطقة الشمالية إلى جانب اللواء يتسحاق حوفي ، وكانت المدرعات - السورية قد توغلت في القطاع الأوسط وجنوب هضبة الجولان وفي أثناء الليل تم سحق معظم القوة الإسرائيلية في هضبة الجولان .

.....
.....

وصل موشيه ديان مع الفجر إلى قيادة المنطقة الشمالية ، وتشاور مع يتسحاق حوفي وموردخاي هود . وكان الثلاثة يعلمون أنه لم يعد هناك في الواقع بجنوب الهضبة دبابات إسرائيلية كافية لإيقاف تقدم المدرعات السورية . فمن هناك سينزل السوريون إلى غور جينوسار ، ثم إلى كيبوتس دجانيا .
وطلب مردخاي هود طائرات إضافية .

وبعد مغادرة ديان لمقر القيادة بساعة واحدة ، تلحق حوفي وهود تقريراً بأن الطائرات الإضافية قد أمرت بالتوجه لصد السوريين في جنوب الهضبة .

.....

حتى الساعة الثالثة بعد الظهر ، ومع تصدى الطائرات للدبابات السورية فإن طلائع هذه الدبابات وصلت إلى بعد كيلو مترات من مصب نهر الأردن في بحيرة طبريا .

.....

وفي نفس الوقت قتل في مركز الهضبة - قرب معسكر نافح - قائد أحد الألوية وقتل مساعده ، وقتل ضابط العمليات . وأخذت دبابات هذا اللواء تتحطم ساعة بعد ساعة .
وفي جبل الشيخ أحرز السوريون نجاحاً بارزاً فقد استولى رجال الكوماندوز السوريون على موقع جبل الشيخ من الخارج وأخذوا يقذفون قنابل الدخان إلى داخل الحصن فاضطر عدد من جنود جيش الدفاع الإسرائيلي إلى الخروج بسبب الدخان الكثيف . وقاموا بتسليم أنفسهم للسوريين . بينما وقعت القوات التي تسللت من الحصن في كمائن سورية متعددة .
... في ثالث أيام القتال لم تصل أخبار مطمئنة من الجبهة السورية ومع أنه تم تقريباً إيقاف

المدرعات السورية ولم تصل إلى نهر الأردن فإن المعركة لم تحسم بعد . فمن بداية المعركة ضرب السوريون المواقع الإسرائيلية بآلاف القذائف والمتفجرات وبعد ذلك اقتربت دباباتهم منها وحاولت تحطيمها بمدافعها . وقد سقطت أعداد من رجال هذه المواقع بسبب النيران السورية الكثيفة ، كما مسحت موجات المدرعات السورية خط المواقع التي بقيت محاصرة من الخلف ومقطوعة تماماً .

.....

بعد أن كان يتسحاق حوئي قائد الجبهة الشمالية قد رفض اقتراح إعادة احتلال موقع جبل الشيخ بعد المحاولة الأولى الفاشلة . وخوفاً من المزيد من الخسائر . فإنه وافق (بعد يومين) على القيام بمحاولة أخرى ، وذلك بعد أن وافق أحد مساعديه على اقتراح قائد لواء الجولان بهذه المحاولة .

توجه جنود لواء جولاني إلى الموقع مستخدمين طريقتين . طريقاً رئيسياً للدبابات والعربات نصف المجتررة ، وطريقاً جبلياً ، أما وحدة المظليين فقد انتظرت على التل قرب « مسعدة » لتقديم المساعدة عند الحاجة .

وما كاد جنود لواء الجولاني يقربون من موقع جبل الشيخ ، حتى خرج الكوماندوز السوريون للملاقاة . لم ينتظروهم داخل الموقع ، وإنما انتشروا على التلال المؤدية إليه ، وكان هذا إجراء تكتيكياً سليماً من ناحيتهم ، وبدل على معرفة جيدة بالأرض ، وتحليل سليم لإمكانات الهجوم .

ولذلك فإنه بالرغم من دعم الطائرات والمدفعية لجنود جولاني فإنهم لم ينجحوا في الوصول إلى الموقع وسقط منهم قتلى وجرحى كثيرون ، ولم يتمكنوا من سحب ثمانية منهم من على أرض المعركة .

.....

لم يفقد الهجوم السوري شيئاً من نشاطه ، وفي حين كانت هناك قوات احتياطية جديدة من الجيش الإسرائيلي تندفق على الجبهة ، كانت القوات التابعة لدان ما تزال تسيطر على محور « يهوديه » حيث أصيب « دان » ، وتم إخلاؤه ، ثم تسلم مساعده القيادة . ونحو الظهر وصف الوضع في محور يهوديه بأنه خطير ، واقترح قائد القوة الرئيسية « دان لير » على مساعده النزول إلى مواقع المعركة .

.....

كانت الطريق مزروعة بالدبابات السورية ، وفي أحد المقاطع لوحظت حوالى أربع عشرة دبابة تقف أمامه موجهة نيرانها على عربته نصف المجنزرة ، بينما كان قد تم تدمير حوالى عشرين دبابة تابعة للواء وأصبحت غير صالحة للاستعمال ، وكانت دبابة أخرى مقلوبة على جانبها ، وكان هناك جرحى مبعثرون في عدة أماكن .

.....

تم استدعاء مساعد اللواء ، وتم حديث في اللاسلكى ، وفي أثناء المساعدة اختفى صوت قائد اللواء ، وساد الصمت جهاز اللاسلكى ، وبعد ذلك سمع صوت آخر يعلن أن قائد اللواء قد سقط قتيلًا .

.....

تسلم « جيورا » ضابط العمليات قيادة اللواء . وكانت الذخيرة في الدبابات آخذة في النفاد وإن كانت هناك إمكانية لنقل الذخيرة من الدبابات المصابة .

.....

بعد الظهر قام « جيورا » مستعيناً بالطائرات والمدفعية بهجوم على الدبابات السورية ودمر منها سبع دبابات ، واستمرت المعركة يوماً كاملاً ، إلا أن قوات اللواء لم تحرز أى تقدم . وكان يوماً صعباً للطائرات التي كانت تساعد الدبابات في صد السوريين .

.....

أحضر السوريون في الليل بطاريات جديدة من بينها بطاريات (سام ٦) التي تتحرك بسهولة من موقع لآخر ، وبالتالي فإنها تصبح هدفاً يصعب ضربه . كما أن هذه الصواريخ لا تترك خلفها ذبلاً أبيض من الدخان يمكن استخدامه كدليل تحذير .

.....

في الساعة الرابعة من بعد الظهر بدأ هجوم سورى ضخم قرب القنيطرة ، وكان بمثابة موجة الانقراض الثانية على هضبة الجولان ، وقد ألقى السوريون في المعركة بفرقتهم الثالثة وهى القوة المدرعة الاحتياطية والأخيرة لديهم . واشتركت في الهجوم عدة كتائب من رجال الكوماندوز السوريين .

كانت كثافة الهجوم المركز في قطاع ضيق كبيرة جداً . وباستثناء الهجوم - الذى وقع في الليلة الأولى ، فلقد كانت هذه هى أصعب الساعات على الجنود الإسرائيليين في هضبة الجولان . وكان القلق في قيادة الجبهة شديداً ، فبعد أن تم صد السوريين في

القطاع الأوسط والجنوبي ، هاهم يقومون الآن بإلقاء كامل قوتهم في القطاع الشمالي وأمامهم تقف قوات لم تعرف النوم منذ يومين .

.....

.....

وصل إلى قيادة الجبهة إيغال آلون بينما كان الهجوم على أشده ، وقام على الفور باستطلاع الخرائط والوجوه المغلقة ، وسمع النداءات بجهاز اللاسلكي وتم الاتفاق على توجيه الطائرات في غارات ثقيلة على أهداف استراتيجية في العمق السوري للتخفيف عن القوات البرية فوق الجولان . وقد وافقت جولدا مائير على ذلك .

.....

استمر الهجوم السوري سبع ساعات متواصلة ، وألقي في المعركة كتيبة إثر كتيبة . وكان موقف القوات الإسرائيلية بالغ الحرج ، حتى إن رفائيل إيتان اتصل بقائد اللواء المشتبك طالباً منه أن يصمدوا خمس دقائق فقط (ولكن قائد اللواء لم يرد عليه) .

وفي الوقت الذي زاد فيه حرج موقف القوات الإسرائيلية ، وصلت تقارير من الجنود الإسرائيليين الموجودين في أحد المراكز بأنهم شاهدوا شاحنات سورية متجهة إلى الشرق . وكان ذلك دليلاً أولياً على توقف الهجوم السوري . وبعد ذلك بدأت النيران تنجو ، وأخذت المدرعات السورية تتراجع .

في يوم « ٩ - ١٠ - ٧٣ » وبينما كان القلق سائداً خوفاً من فتح جبهة ثالثة (الجبهة الشرقية) وصلت أنباء عن أن قوة عراقية قوامها حوالي ستة عشر ألف رجل ومعهم حوالي مائتي دبابة تتحرك - ولكن إلى سوريا.. وكانت هذه التطورات من أسباب القرار بنقل مركز الثقل إلى الجبهة السورية .

شنت الطائرات الإسرائيلية اليوم غارات واسعة منذ الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق على دمشق ، وأصاب حى « أبو رمانة » الراقى ، كما أصابت وزارة الدفاع وقيادة السلاح الجوي ومبنى محطة الإذاعة ، وأصاب أيضاً محطة كهرباء المدينة ، وخزان وقود قرب مدينة حمص ، وكذلك قصفت محطة الرادار اللبنانية في الباروك (في منتصف الطريق بين دمشق وبيروت) ومن جهة أخرى قصفت الطائرات منطقة الحسينية ، وركز الطيران جهوداً ضخمة في محاولة ضرب بطاريات الصواريخ . رغم سقوط عدد من الطائرات ومقتل وأسر طيارها .

نجحت الغارات في تشتيت وإضعاف القوات السورية وعاد الجيش الإسرائيلي إلى الخط البنفسجي (وهو خط وقف إطلاق النار السابق مع سوريا) . ولم يكن ذلك يعنى انتهاء الحرب على هذه الجبهة ، ولكنه انتهاء لمرحلة من مراحلها .

وفي يوم ١١ - ١٢ - ١٩٧٣ وضعت خطة جرى تنفيذها للاقتراب من دمشق وبينما كانت فرقة دان لير تتحرك في القطاع الأوسط فوجئت بوجود قوات آلية . . وكانت هي القوات العراقية . . فانسحبت على الفور لتنظيم صفوفها . وقد استمرت المعركة بعد ذلك مع القوات العراقية حتى ظهر اليوم التالي . وقد عادت بعض القوات السورية إلى الاشتباك مع القوات الإسرائيلية في معارك متقطعة .

.....
وفي يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ طلبت دمشق من القاهرة القيام فوراً بهجوم مكثف في سيناء لتخفيف الضغط على الجبهة السورية . وقد بدأ الهجوم المصري فعلاً في الساعة السادسة من صباح ١٤/١٠/١٩٧٣ .

.....
دخلت القوات الأردنية المعركة على الجبهة السورية لأول مرة - يوم ١٥/١٠/٧٣ وكانت هذه القوات عبارة عن لواء مدرع ، قام بالهجوم من الجنوب ، وكانت دبابتهم من طراز باتون هي التي قامت بهذا الهجوم . ولكن المنطقة التي كانوا يعملون منها ساعدت القوات الإسرائيلية في صد هذا الهجوم وتدمير عدد من الدبابات الأردنية .

.....
مع طلوع فجر يوم ١٤/١٠ كانت القوات الإسرائيلية العاملة على محور الجهد الرئيسي على الطريق المؤدى إلى (سعسع) قد بدأت هجوماً جديداً بهدف اقتحام بعض النقاط المتقدمة من المواقع السورية ، لكن القوات السورية في هذه المواقع قاومت بعنف وصدت الهجوم .

.....
بعد ذلك بساعات قليلة جداً شنت القوات السورية والعراقية والأردنية (تدعمها وحدات سعودية ومغربية وكويتية) هجوماً مضاداً بهدف الاستيلاء على بعض المواقع التي احتلتها

القوات الإسرائيلية ولتضييق الخناق على القوات التي تغلغت في الحدود السورية ولم تتخلل القوات الإسرائيلية إلا عن مواقع محدودة .

صور من الجبهة السورية :

يوم ٩/١٠/١٩٧٣ كانت وحدة (عرن زموره) التي خسرت خمسة وعشرين من رجالها ، معسكرة قرب «بقعاتا» . وحتى الآن لم تشترك الوحدة الاستطلاعية التابعة للواء السابع في معركة كبيرة . وقد اشتركت في معركة عن طريق الصدفة تقريباً . حين اصطدم جنود لواء «جولاني» بكمين بالقرب من القرية . وكانت خسائرهم فيه كثيرة ، فطلبوا المساعدة عن طريق اللاسلكي ، ولذلك خرجت إحدى عشرة مصفحة من الوحدة الاستطلاعية لمساعدتهم ، وكان عشرات الجرحى على مدخل القرية ، ولم يكن هناك سوى طبيب واحد ، يساعده ممرض في معالجتهم . وأشار جنود لواء جولاني إلى المنطقة التي يخنق فيها السوريون ، وقد اكتشف (عرن زموره) وجودهم في أثناء خروج المصفحة من القرية .

وكان السوريون متقدمين في المنطقة المزروعة ، وكان الكثيرون منهم في خنادقهم ، فتحركت المصفحات نحوهم ، واستمر الهجوم فترة ثم توقف تحت ضغط نيران المدفعية الكثيفة . وعادت الوحدة الاستطلاعية إلى الطريق الرئيسية ، وكان جرحى لواء جولاني مايزالون في مدخل القرية ، وكان الطبيب يجد صعوبة في معالجة الكثير منهم .

لقد أطلق السوريون على المصفحات المتقدمة قذائف آر . بي - جي - وخرجت مصفحتان -إحداهما مصفحة قائد السرية- عن الطريق لتطهير المنطقة التي أطلقت منها هذه القذائف . ولم يكن رجال هاتين المصفحتين يعرفون ما ينتظرهم من وراء كروم العنب ، فبعد قليل سمعت أصوات استغاثة . وكان مصدرها هذه المرة رجال المصفحتين ، ثم سمع صوت أحد الجنود في جهاز الاتصال وهو يعلن عن مقتل قائد السرية ويطلب التعجيل في تخليصه هو وباقي زملائه .

وعاد رتل المصفحات ، ولم يكن الرجال يعرفون بالضبط ما حدث لقائد السرية وللمصفحتين اللتين كانتا معه . ولم يكد الرتل ينزل عن الطريق حتى وقع في كمين سورى آخر . فلقد كان هناك عشرات من رجال الكوماندوز السوريين المتواجدين في خنادق تم

تجهيزها بحيث كانت على شكل حدة الحصان .
وما إن دخلت المصفحات الإسرائيلية إلى المنطقة حتى أصيبت إحداها من الخلف
بقذيفة بازوكا ، أصابتها بعنف حتى أن أحد جنودها قذف به خارجها .
استمرت المعركة دقائق معدودة . وكانت المشكلة هي كيفية التخلص من هذا الكمين
وإخراج الجرحى الكثيرين .
وفي مصفحة (عرن زموره) قتل قائد المجموعة من إصابة بطلقة مباشرة .
وانطلقت إحدى المصفحات وهي تعدو بصورة عكسية والنيران مشتعلة فيها . وقد
قفز منها الرجال ببعض الجرحى قبل أن تنفجر بثوان معدودة .
وبعد ذلك بدأت مشكلة تخليص مصفحة أخرى من هذا الكمين . وكان في هذه
المصفحة « عرن زموره » وبقية الطاقم .

موشيك . . ما عاد يغنى :

كان موشيك فاكس قائداً لسرية مدرعات انطلقت إلى مواقع جديدة لها على
الجولان في ١٠/٧/١٩٧٣ ، لمساندة القوات المدرعة التي أخذت تتهاوى أمام زحف
المدرعات السورية .
وكان (موشيك) معروفاً بين رفاقه (معظمهم من حيفا) بأنه يهوى الغناء . . وبمجرد
أن اقتربت السرية من أرض المعركة ، تعرضت لنيران الدبابات السورية التي تدفقت
بغزارة هائلة . وانتقلت إلى موشيك عدوى الفزع الذي سيطر على رجاله (خاصة وأنهم
يعرفون ما جرى للكتيبة التي جاءوا لنجدها) .
وفي محاولة للتغلب على الخوف ، ولتشجيع رجاله ، أخذ (موشيك) يغنى في ميكرفون
ميداني موجهاً الكلام لهم .
(أيها الأصدقاء اذكروا أننا نحارب هنا من أجل بيتنا . تأكدوا أننا بتراجعنا سوف
نسمح للسوريين بالوصول إلى حيفا ») .
ولم يكمل « موشيك » نشيده . . لأن الدبابات السورية اندفعت تجاه سريته . .
ولم تمض دقائق حتى كانت دبابته قد انفجرت . ومات هو وطاقمها كله .

« إيال » لا يرد :

كان إيال شاحم « قائداً لسرية مدرعات إسرائيلية ، تقاتل في الجنوب من هضبة الجولان ، وكان يحافظ على الاتصال المستمر مع قائد الموقع الذي أقامته قوة من لواء (جولاني) خاصة وأن هذا القائد كان يشاهد من فوق أحد التلال تحركات الدبابات السورية في المنطقة .

ولكن السوريين اكتشفوا سرية إيال فصبوا نيران مدفيعتهم عليها ، وأصيبت دبابة إيال . . فأسرع إلى دبابة أخرى يحتمي بداخلها ، لكن قذيفة من موقع مورتار سقطت على هذه الدبابة . . فانفجرت ، وقتل إيال وقتل معه عمرام ترجمان ، ودافيد جولان ، أما الجندي سائق الدبابة « موشيه نبلي » فإنه نجا من الموت . . ولكنه أصيب بصدمة عصبية . وقال قائد الموقع . « لقد كان ذلك في الساعة الواحدة وعشر دقائق بالضبط من يوم الأحد (١٩٧٣/١٠/٧) وكنت أتحدث مع « إيال » ، وفي هذه اللحظة تماماً انقطع صوته . ولقد كانت هذه لطمة بالنسبة لنا ، فلقد كان إيال يحمينا بسريته من الخلف في أصعب ساعات الحرب .

هذا وقد كانت إصابات السرية فادحة حتى أنه لم يتبق منها سوى ثمانية جنود فقط . « لقد واجهت القوات الإسرائيلية صعوبات غير عادية ، فلأول مرة في تاريخها تواجه جنوداً عرباً يقاتلون بهذا المستوى وهذه القدرة القتالية العالية . لقد أظهر الجنود العرب . على الجبهتين - كفاءة عالية في استخدام الأسلحة الحديثة وفن الحرب الحديثة . واتبعوا تكتيكات رائعة . . وهو شيء لم يحدث في الحروب السابقة .

لقد أدار المصريون والسوريون حربهم على أساس إنزال أكبر الخسائر في الجيش الإسرائيلي . وهم يعلمون جيداً حرص القيادة الإسرائيلية على حياة الجندي لأن الجيش الإسرائيلي لا يحتمل مثل هذه الخسائر البشرية .

(توثيق)

المراسل الحربي لصحيفة « بمحانيه » الإسرائيلية

أكبر عملية نقل دم مسلح في التاريخ

« أنقذوا إسرائيل » :

« نص رسالة الاستغاثة العاجلة

التي تلقتها وزارة الخارجية الأمريكية في ١٠/٩/٧٣ »

« ولما جاء اليوم الرابع من الحرب . . كانت إسرائيل قد هزمت تماماً وبشكل مروع ولذلك فإن الجسر الجوي والبحري الأمريكي لم ينقل لإسرائيل الأسلحة والمعدات بقدر ما كان يقوم بعملية نقل دم هائلة لشرايين إسرائيل التي نزفت كل دمائها ! ! »
(توقيع)

التاريخ الحديث

« إن وصول طائرات النقل الأمريكية الضخمة (س - ٥) ناقلة الأعتدة والسلاح بصورة مستمرة أنقذ إسرائيل مما لم يكن تحمد عقباه . وإنتى أذكر أنه عندما اتصلت يوم ٧ أكتوبر بسفيرنا في الولايات المتحدة مرة أخرى قال لي إننا في الساعة الثالثة صباحاً ولا أستطيع أن أوقظ أحداً من المسؤولين الأمريكيين الآن ، فقلت له لا يهمني كم تكون الساعة الآن . إن الموت يأكل جنودنا . وإن كل ساعة تأخير تكلفنا الكثير جداً . أيقظهم جميعاً . اتصل بالدكتور كيسنجر فوراً . . وقد رد كيسنجر بأن الطائرات العملاقة من طراز (س ١٥٠ جالاكسي) قد تلقت أمر الرئيس بنقل كل ما تطلبه . »

(توقيع)

رئيسة وزراء إسرائيل

جولدا مائير

« في كتابها قصة حياتي »

« لقد تعرضنا لنقص في الوسائل التي تكفل استمرار القتال ، وكان الجسر الجوي الذي أقامته الولايات المتحدة لنقل الأسلحة إلى إسرائيل أضخم جسر من نوعه في التاريخ ، وأكبر حتى من عملية الإنقاذ التي تمت بالنسبة لبرلين . . والمؤكد أنه بدون هذا الجسر لم يكن باستطاعتنا أن نستمر في القتال . »

(توقيع)

إسحق رابين

رئيس وزراء إسرائيل الذي خلف جولدا مائير

« إن قواتنا تتآكل . . والأمل الآن في أن يرسل إلينا الأمريكيون إمدادات عاجلة من الأسلحة » .

(توقيع)

موشيه ديان

٩ - ١٠ - ١٩٧٣

« ماذا كان سيحدث لنا لو لم تلق حكومة الولايات المتحدة بكل ثقلها في كفة الميزان عندما أرسلت إلينا على الفور الإمدادات والمعدات ، وأعلنت حالة التأهب في جيوشها ؟! »

(توقيع)

المؤرخ الإسرائيلي

يهوي تلمون

« بعد يومين من بدء القتال ، كانت إسرائيل على حافة هزيمة مروعة لا تقل عن أية هزيمة ألحقتها بالعرب من قبل ، فلم يكن قد تبقى لديها سوى ٩٠ دبابة منهكة وأطقم خائرة تقف بين جيش مصرى منتصرو وبين تل أبيب » .

(توقيع)

المحرر العسكري لصحيفة

صنداي تايمز

« لقد ثبت لنا في يوم ١٤/١٠/١٩٧٣ أن القوات الإسرائيلية لم يكن أمامها إلا ٢٤ ساعة فقط ينتهي بعدها كل مخزونها من الذخائر الخاصة بالطائرات والمدرمعات والمدفعية وبطاريات الدفاع الجوى التى تعتمد على صواريخ هوك » .

(توقيع)

الجنرال دانييل جراهام

رئيس وكالة مخابرات وزارة الدفاع

الأمريكية

« كان معدل الخسائر الإسرائيلية عالياً جداً .

وكانت عمليات إعادة تسليح إسرائيل من خلال الجسر الجوى الأمريكى تسير بمعدلات لم يسبق لها مثيل لتعويض هذه الخسائر الرهيبة إذ كانت إسرائيل تخسر دبابة كل ربع ساعة وطائرة كل ساعة تقريباً خلال الأيام الأولى للحرب » .

(توقيع)

رئيس معهد الدراسات العسكرية

فى السويد

« وتقدم الرئيس الأمريكي نيكسون بطلب إلى الكونجرس بالموافقة على إمداد إسرائيل بمساعدة عسكرية عاجلة تزيد قيمتها على بليونين من الدولارات وذلك حتى تستطيع أن تلتقط أنفاسها .

ولقد كان هذا الطلب مجرد عمل رسمي ، لأن أمريكا كانت قد بدأت بالفعل ليس في تعويض إسرائيل عما فقدته ولكنه كان بمثابة إعادة تسليحها .

(توقيع)

الكاتب البريطاني : مايكل آدمز
الكتاب الذي ألفه مع المفكر والوزير
البريطاني السابق « كريستوفر مايبو »
بعنوان « ليس للنشر »

« إن موقفنا خلال الأسبوع الأول من الحرب . كان يائساً حيث لم نكن نملك قذائف كافية إلى أن جاءتنا الإمدادات الأمريكية » .

(توقيع)

وزير الدفاع الإسرائيلي
موشيه ديان

« لقد واجهت إسرائيل في حرب أكتوبر تهديداً حقيقياً وخطيراً حتى أن الأمر تطلب قراراً على أعلى مستوى في الولايات المتحدة لكي لا تتعرض إسرائيل للغرق » .

(توقيع)

آبا إيبان

وزير الخارجية الإسرائيلية أثناء الحرب

« إن إسرائيل بقيت قائمة كدولة ، لأننا لم نخنّها . فبدون الأسلحة والنفقات الأمريكية كان محتوماً أن تفتى إسرائيل » .

(توقيع)

الجنرال الأمريكي إيفيل بانجر
في حديث لمراسل اليونيتد برس - لوس أنجلوس

« لو لم نمد الجسر الجوي إلى إسرائيل لما كان في مقدورها الصمود أكثر من ٤٨ ساعة

أخرى .

(توقيع)

الرئيس الأمريكي (السابق) ريتشارد نيكسون في
حديث له من مقره سان كليمنت « كاليفورنيا »
إلى محرر صحيفة « بديعوت أحرزوت الإسرائيلية »

« قصة الإنقاذ . . بالتفصيل »

لو كانت الحروب تخضع للنظم التي تخضع لها المباريات الرياضية ، كمباريات الملاكمة مثلاً . . وبالتالي لو أنه كان هناك « حكم » لحرب أكتوبر مهما كانت جنسيته واحتمالات تحيزه . . لكان قد أطلق صفارته في اليوم الثالث أو اليوم الرابع من القتال على أكثر تقدير منياً « مباراة النار والدم » بفوز القوات العربية على القوات الإسرائيلية بالضربة القاضية - ولعله « إذا كان متحيزاً بشكل فاقع » فرجما كان يعتبر الهزيمة الإسرائيلية بالضربة القاضية الفنية !

وعفوياً ليس هذا التشبيه الذى تصورته نوعاً من التسطيح الفكرى أو الترف الذهنى فهذا مالا يخطر لى على بال. ولكننى لم أجد بالفعل ما يصور نتائج الجولات المتتالية منذ انطلقت قذيفة البدء وحتى اليوم الرابع ، سوى هذا التشبيه ، ولعل ما بنى تهمة التسطيح أو الترف أن الحروب فى تطورها التاريخى منذ بدء الخليقة كانت ومازالت شكلا من أشكال الصراع التى حاول الإنسان تطويرها تفادياً لآثارها الدامية . فكانت الرياضة والمباريات الساخنة ! !

وعلى أية حال فقد سبقنى إلى هذا التشبيه من يستحيل اتهامه بالتسطيح والترف . . . فهو مقاتل مصرى اقتحم المواقع المائية والترابية والبارليفية وتصدى بفدائية مذهلة للمدركات الإسرائيلية . هذا المقاتل سجل فى ثالث أيام القتال خواطره على الباب الفولاذى لأحد حصون خط بارليف فكتب (بخط جميل ومنسق) « انتهى الشوط الأول من المباراة الدموية بفوز الفريق المصرى على الفريق الإسرائيلى بخمسة أهداف للاشئ . . . » وسينتهى الشوط الثانى بعد قليل دون أن يسجل الفريق الإسرائيلى هدفاً واحداً فى مرمى الفريق المصرى » .

وقد توقفت أنا وعدد من المراسلين الحربيين أمام هذه العبارة ، وقمت بترجمتها للمراسلين الأجانب . ولم يظهر على أحدهم أنه يختلف على النتيجة النهائية بالفعل . وليس من قبيل الاستطراد أن أضيف الآن أنه من المنطقى تماماً أن نعتبر أصحاب الاعترافات والشهادات التى سجلتها فى بداية هذا الفصل بمثابة « الحكام » الذين أطلقوا صغاراتهم معلنين النتيجة الحقيقية قبل عملية نقل الدم الهائلة التى حققت بها أمريكا جسد الجيش الإسرائيلى المنهار .

عن الجسر الجوي والبحرى الأمريكى ، أو عملية نقل الدم لجيش إسرائيل تقول
الدراسات والوثائق الإسرائيلية والأمريكية والفرنسية والإنجليزية ما يلى :

١- فى مساء يوم الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣ زار مردخاى شليف الوزير المفوض
الإسرائيلى وزارة الخارجية الأمريكية واجتمع هناك بجوزيف سيسكو نائب وزير الخارجية
وأوضح له بصورة لا تقبل التأويل أن إسرائيل بحاجة إلى إمدادات متواصلة من المعدات
والأسلحة فى أقرب وقت .

٢- فى نفس اليوم « الأحد » ، وبعد هذا الاتصال بساعات قليلة اتجه السفير
الإسرائيلى سمحا ديتنس الذى قدم توأ من إسرائيل ، إلى مكتب وزير الخارجية الأمريكى .
وتحدث مع كيسنجر عن ضرورة تزويد إسرائيل بالمعدات والأسلحة بكميات ضخمة ،
وأبلغ ديتنس كيسنجر أن الجيش الإسرائيلى فى موقف لا يحسد عليه ، حيث أن تدمير
المعدات كبير جداً وسريع ، وإذا استمرت الحرب على هذا المعدل ستفرغ المخازن وستدمر
معظم المعدات ، فخلال أقل من يومين أصبح حوالى المائتين وخمسين دبابة فى الجبهتين
مدمرة أو غير صالحة ، كما فقدت عشرات الطائرات .

٣- فى يوم الاثنين ٨ / ١٠ / ١٩٧٣ ، عادت طائرات العال الإسرائيلية بعدة شحنات
من الذخيرة والأجهزة والأسلحة وكانت هذه الطائرات قد تم إعدادها لاستيعاب أكبر
قدر من الشحنات ، فانتزعت مقاعد الركاب من أماكنها وتحول داخل الطائرة إلى مخزن
واسع وكانت الصناديق توضع فيها حتى تصل إلى السقف ولكن هذه الكميات التى
آثرت أمريكا أن ترسلها سراً حتى الآن . لم تسد الاحتياجات المتزايدة لإسرائيل .

٤- فى مساء نفس اليوم ٨ / ١٠ / ١٩٧٣ اجتمع فريق العمل الأمريكى الذى
يرأسه كيسنجر ، وكانت التقارير التى وصلت من ساحة القتال هذه المرة (من الجانب
الإسرائيلى طبعاً) مقلقة ومكثرة ، وقد أمر كيسنجر فريق العمل (وهو من عناصر المخابرات
الأمريكية) بتقييم الموقف بأسرع ما يمكن .

٥- فى صباح ٩ / ١٠ / ٧٣ توجه السفير الإسرائيلى مرة أخرى بطلب إلى كيسنجر
لكى تسارع أمريكا بتزويد إسرائيل بالأسلحة والإمدادات العسكرية ، وقد أبدى بعض
أعضاء فريق العمل الأمريكى دهشتهم من ضخامة الكميات التى ضمتها قائمة الأسلحة
المطلوبة .

وقد أخذ كيسنجر يطمئن دينتس ، وقال له إنه تحدث في المشكلة مع الرئيس نيكسون الذى أصدر تعليمات إلى البنتاجون لتنظيم شحنات فورية من المعدات والأسلحة إلى إسرائيل .

وسارع الملحق العسكرى (جور) إلى البنتاجون (وكان يذهب إليه يومياً) ، وقد علم هناك أنهم يجدون صعوبة فى إخراج المعدات من مخازن الجيش ، ويواجهون نقصاً فى وسائل النقل .

وعاد سيمحا دينتس إلى كيسنجر وأخذ يلح فى ضرورة الإسراع بالإنقاذ . فى ظهر نفس اليوم الثلاثاء ٧٣/١٠/٩ وصلت برقية مذعورة من إسرائيل إلى سفارتها فى واشنطن ، وكانت جولدا مائير تطلب فى هذه البرقية من آبا إيبان (وزير الخارجية) وسيمحا دينتس العمل على وقف القتال فوراً دون أية شروط من إسرائيل ، وقد ساد الذهول فى السفارة الإسرائيلية . خاصة وأن برقية مذعورة أخرى وصلت بعد ذلك بوقت قصير تطلب من السفارة العمل بصورة عاجلة للحصول على إمدادات فورية من الأسلحة والمعدات .

تعثرت محاولة وقف إطلاق النار ، ربما لتعهد أمريكا بالإنقاذ الفورى - بالأسلحة والمعدات ، وقد عقد فريق العمل اجتماعاً آخر برئاسة كيسنجر وقد وضعت أمام أعضاء الفريق قائمة بحسائر إسرائيل البشرية وحسائرها فى الطائرات والدبابات . كانت الصورة قائمة ومكدره ، وقد أبدى أحد الأعضاء ملاحظة قال فيها « تحطمت أسطورة إسرائيل التى لا تقهر » وقال آخر « من المؤسف أن يحدث ذلك » واتصل كيسنجر بدينتس تليفونياً وسأله « هل حصلت على جميع الأسلحة والمعدات التى تحتاجون إليها ، لقد أصدر الرئيس تعليماته بتزويدكم بكل ما تريدون » .

٦ - فى مساء ١٠ أكتوبر وصلت الطائرات التى أرسلتها أمريكا تعويضاً عن جميع الطائرات التى سقطت ، وقد جاءت هذه الطائرات من القواعد الأمريكية فى أوروبا . وقد طبعت عليها إشارة سلاح الجو الإسرائيلى . وبالتالي فإنها دخلت المعارك فوراً . وقد قال مسئول أمريكى كبير للملحق العسكرى الإسرائيلى « من المهم جداً أن تلقنوا العرب درساً قاسياً » .

لكن إسرائيل لم تقنع بهذه الشحنات . . . وأرسلت تطلب تنفيذ القائمة الكبيرة التى طلبتها .

- اتصلت جولدا مائير بالرئيس الأمريكي ، وأوضحت له خطورة الموقف والحاجة الماسة لكميات ضخمة من الأسلحة والمعدات والأجهزة الإلكترونية . وقد أخذ نيكسون يهدئ من روعها وقال لها إن الولايات المتحدة لن تتخلى عن إسرائيل ، وإنه سيحسم على الفور مشكلة وسائل النقل الكبيرة .

- في يوم الخميس ١١/١٠/١٩٧٣ ثار خلاف جديد بين كيسنجر ووزير الدفاع الأمريكي شليزنجير ، الذي اتهمه كيسنجر بالتباطؤ في تنفيذ الإمداد الأمريكي لإسرائيل متذرعاً بعدم وجود وسائل نقل (غير أمريكية) والخوف من مقاطعة الدول العربية البترولية . وقد استعان كيسنجر مرة أخرى بالرئيس نيكسون الذي أصدر أمراً صريحاً وحاسماً بمد الجسر الجوي « والبحري » بطائرات وسفن أمريكية على الفور وبشكل علني ! !

- في يوم الجمعة ١٢ / ١٠ / ١٩٧٣ وصلت أولى طائرات الجسر الجوي الضخم إلى إسرائيل وقد هبط في اليوم الأول فقط (٢٥) طائرة عملاقة تحمل شحنات ضخمة من الأسلحة والأجهزة والمعدات .

وكان أول القادمين من الضباط الأمريكيين المشرفين على نقل هذه الأسلحة والمعدات الكولونيل (دوغلستروبار) الذي كان يقود طاقماً يتألف من « ٣٠ » شخصاً .

جولدا مائير تقبل الطيارين الأمريكيين ثم تبكي :

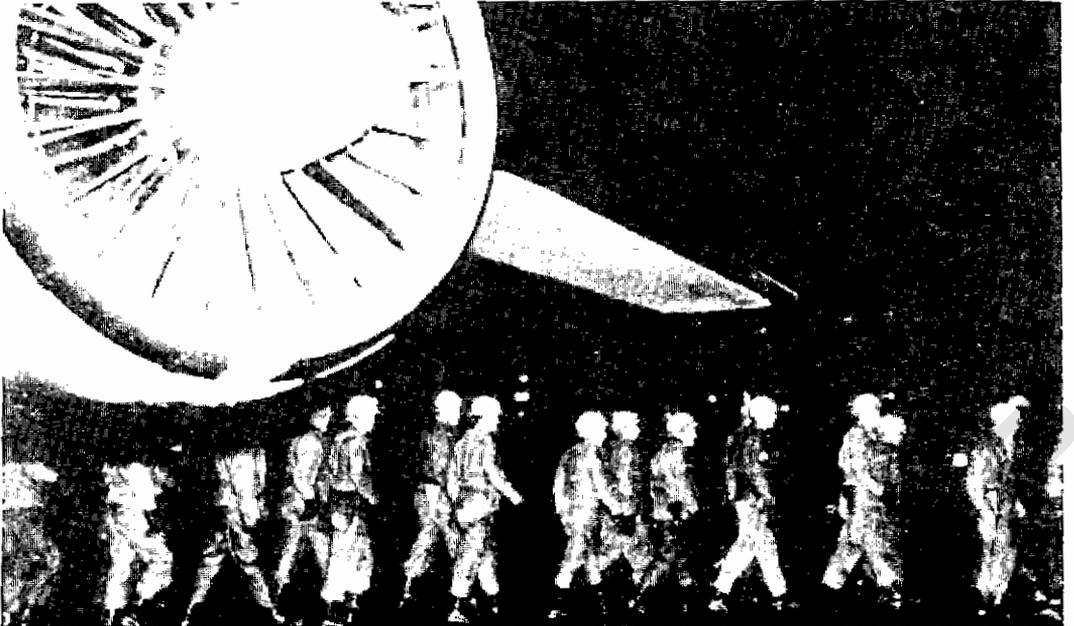
تقول وثيقة إسرائيلية إن جولدا مائير ، ذهبت متلهفة إلى المطار الذي أخذت تهبط فيه الطائرات الأمريكية بشحناتها الضخمة ، وقد قامت بمعاينة وتقبيل اثنين من الطيارين كانا أول من وقع عليهما بصرها ، ثم تساقطت دموعها .

والمجنندات الإسرائيليات يستقبلن الطيارين الأمريكيين بالزهور :

تقول نفس الوثيقة إن القيادة الإسرائيلية جعلت بعض المجنندات يقمن بتقديم الزهور لأطقم كل طائرة تصل إلى المطار (من الجسر الجوي الأمريكي) - إعراباً عن الشكر والعرفان بالجميل .



مع اجتياح خط بارليف دارت معارك عنيفة خسرت فيها إسرائيل الكثير من أسلحتها ومعداتها ورجالها فاستغاث قاداتها بأمريكا التي أسرعت بمد أضخم جسر جوى نقلت من خلاله إلى إسرائيل أحدث الطائرات والدبابات والصواريخ والمعدات والفنيين . وكانت أكبر عملية نقل دم مسلح في التاريخ



« كيف كان الجسر الجوي الأمريكي »

أعلنت أمريكا رسمياً في ١٣/١٠ بصورة علنية ورسمية أنه بدأ شحن مواد أولية ومعدات حربية وأسلحة بمعدل كبير إلى إسرائيل عبر جسر جوى من قواعد أمريكية في الولايات المتحدة وألمانيا الغربية .

وتوالى وصول الطائرات العملاقة من نوع (جلاكسى س - ٥) و (ستار لفترسى - ١٤١) و (هيركيوليزس - ١٣٠) . ولا يدخل ضمن شحنات هذه الطائرات الضخمة ما وصل إلى إسرائيل من طائرات الفانتوم وطائرات سكاى هوك التى كان يجرى تحويلها إلى إسرائيل رأساً من قواعدها في الولايات المتحدة وأماكن أخرى . هذا وقد شحنت الطائرات الأمريكية الأسلحة والمعدات إلى إسرائيل عبر الممرات الجوية التالية . وقد انقسمت هذه الطائرات إلى فئتين :

(أ) طائرات الفئة الأولى: وهى الطائرات الاعتراضية والقاذفة التى تستطيع الطيران إلى إسرائيل ، وقد اشتملت هذه على طائرات « الفانتوم » و « سكاى هوك » .

١ - أقلعت طائرات الفانتوم من القاعدة الأمريكية (أوشينا) Oceana التابعة للبحرية الأمريكية القريبة من مدينة (نورفولك) - ولاية أمريكا الشمالية - رأساً إلى إسرائيل ، وكانت تزود بالوقود أربع مرات أثناء تحليقها في الجو فوق المحيط الأطلسى والبحر الأبيض من طائرات الصهاريج الجوية الأمريكية طراز (بوينج ك س - ١٣٥) التى كانت تحلق في الجو بصورة مستمرة فوق هذه المناطق .

٢ - أقلعت طائرات (سكاى هوك) من القاعدة نفسها ، وكانت - نظراً لقصر مدة طيرانها ، قياساً بطائرات الفانتوم - تهبط وهى في طريقها إلى إسرائيل على ظهر حاملة الطائرات الأمريكية (جون كيندى) التى أمرت بالمرابطة في شرق المحيط الأطلسى قريباً من جزر « الأزور » ، ثم تحلق من جديد لتهبط مرة أخرى على إحدى حاملتى الطائرات الأمريكية من طراز « انديبنداس » U.S. Independence و « فرانكلين روزفلت » U.S. Fr. Roosevelt اللتين رابطتا في عرض البحر الأبيض المتوسط ، وكانت بعد ذلك تنجّه رأساً إلى إسرائيل . وقد تم شحن الدفعات الأخيرة من هذه الطائرات بعد ذلك بواسطة السفن .

٣- أقلعت في مراحل الحرب الأولى عدة مجموعات من هذين النوعين (لم يعرف عددها) من القواعد الجوية الأمريكية في تركيا وألمانيا الغربية ، لكن ذلك أوقف بعد ذلك بناء على طلب الحكومتين التركية والألمانية الغربية .

(ب) طائرات الفئة الثانية : وهي طائرات النقل العملاقة من نوع (جلاكسى س - ٥) و (ستار لفترس - ١٣٠) التي أوكل إليها مهمة نقل الأسلحة والمعدات الثقيلة إلى إسرائيل وقد سلكت الطرق التالية :

١- هبط بعضها في جزر (الأزور) التابعة للبرتغال ، في القاعدة الجوية الأمريكية « لاجيز » ، حيث كانت تتوجه بعد ذلك إلى إسرائيل .

٢- هبط البعض الآخر في ألمانيا الغربية في قاعدة (رامشتاين) الجوية الأمريكية ثم أقلع إلى إسرائيل ، ولكن حكومة ألمانيا الغربية عادت ومنعت هبوط هذه الطائرات في أراضيها ، وعليه اضطرت طائرات الجسر الجوي للهبوط في جزر (الأزور) فقط .

ماذا نقلت أمريكا إلى إسرائيل في طائرات النقل العملاقة ؟

اشتملت المواد التي أخذت تنقلها طائرات النقل الأمريكية على الآتى :

(١) دبابات (م - ٦٠) ، وناقلات جنود مجتزة (م - ١١٣) ، وكانت الطائرات المحملة بهذه المعدات والأسلحة تهبط مباشرة في قاعدة العريش في سيناء ليتمكن الجيش الإسرائيلي من استخدامها في القتال بأسرع ما يمكن

(ب) أسلحة موجهة من الجو إلى الأرض ، وتضمنت الأنواع التالية .

١- « وول - آى » (Wall eye) : وهي قنبلة معقدة يتم توجيهها تليفزيونياً ، وزنتها (١٠٠٠) رطل ، ومدaha (٢٥) ميلاً ، وتستخدم بطائرات سكاى هوك والفانتوم ، ضد قواعد الصواريخ والمدفعية والأهداف - المحمية والمدفونة عميقاً في الأرض .

٢- صواريخ « شريك » (Shrike) : وهي صواريخ موجهة ضد أجهزة الرادار ، وتوجه إلى الهدف بواسطة الموجات التي تصدرها أجهزة الرادار نفسها ، وتستخدم هذه الصواريخ في طائرات سكاى هوك والفانتوم التي تطلقها على الهدف من مسافة ١٢ - ١٦ ميلاً . .

٣- صواريخ « روك - آى » Rockeye

صواريخ ضد الدبابات ، وتستخدم لأول مرة ، وهي تحتوى على مجموعة قنابل صغيرة ، تطلقها الطائرة فوق مجموعة من الدبابات ، وعند اقتراب الصاروخ من الهدف يتفجر لتنتقل منه القنابل الصغيرة حيث توجه كل منها إلى دبابة أو آلية ، وبهذا يمكن إصابة عدد من الدبابات أو تعطيل قاذفة آليات حربية بضربة واحدة .

٤- صواريخ « مافريك Mavrick

وهذا النوع من الصواريخ يوجه تليفزيونياً من الجو إلى الأرض ، ويوجهه الطيار نحو الهدف ، ويستعمل ضد الدبابات والأهداف التكتيكية الهامة .

٥- « روكويل Rockwell

قنبلة موجهة رادارياً ، أو بواسطة الأشعة فوق الحمراء ، وتزن كل قنبلة منها (٢٠٠٠) رطل وتستخدم ضد الدبابات والأهداف المخفاه والمموهة .

٦- جهاز تيسو « Tissue

جهاز معقد ودقيق للغاية ، تستخدمه الطائرات لكشف الأهداف المتحركة المحلقة فى الجو والمتحركة على الأرض ، وبإمكان هذا الجهاز معرفة هوية الطائرات المحلقة فى الجو وتصنيفها « إما صديقة أو عدوة » من مسافة (٣٦) ميل ، كما أن بإمكانه أيضاً تمييز الأهداف الأرضية من مسافات كبيرة لا تدركها العين المجردة .
٧- أجهزة (أ . ل . اى - ٢٩ - 29 - ALE) وتستخدمها طائرات سكاي هوك وهى خاصة بطائرات الفانتوم ، وهذه الأجهزة عبارة عن أوعية تحتوى على كميات كبيرة من مادتي الزجاج المعدن ونفايات الألمنيوم ، تستخدم ضد الصواريخ الموجهة أرض - جو وتطلقها الطائرات عندما تكون فوق قواعد الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات ، وتعمل كحاجز واق بين الطائرة والصاروخ ، ينجم عنه التشويش على جهاز الرادار الموجه للصاروخ ، وبهذا يفقد الصاروخ الأثر ويحيد عن الطائرة . (وقد تسلمت إسرائيل (٥٠٠,٠٠٠) جهاز من هذا النوع فى يوم ١٢ / ١٠ ، واستهلكت فى المرحلة الثانية من الحرب كمية أكبر من ذلك .)

(ج) صواريخ موجهة ضد الدبابات والتحصينات والأهداف الهامة . وتشتمل على الأنواع التالية :

١- صاروخ (تاو - Tow) الموجه المضاد للدبابات والتحصينات الهامة ويوجه هذا الصاروخ ويعمل على تتبع الأثر بواسطة السلك ، وقد شحنت الولايات المتحدة (٢٠٠٠) صاروخ من هذا النوع إلى إسرائيل .

٢- قذيفة صاروخية (لو - Law) وهي قذيفة مضادة للدبابات ، وتطلق بواسطة أنبوب على طريقة إطلاق قذيفة البازوكا لكنها دقيقة في إصابة الهدف وزنتها خمسة أرباط ، ويمكن استخدامها أيضاً ضد التحصينات .

(د) ذخيرة وقنابل وصواريخ للدبابات والطائرات والمدفعية ، وقد كانت نسبة استهلاكها عالية جداً

(هـ) طائرات استطلاع بدون طيار من طراز تليد اين ريان ١٢٤ - ١ «

Teledyne Ryan 124 - 1 Reconnaissance Drone

(و) ضمن هذه الشحنات أيضاً عدد ١٢ طائرة من طراز « هيركوليز سي ١٣٠ » التي تتسع الواحدة منها لنقل مائة جندي على الأقل ، وذلك من أجل إسعاف إسرائيل بتعزيز قدرتها على النقل السريع لجنودها . (وقد قيل إن هذه الطائرات قدمتها أمريكا على سبيل الإعارة !) .

* هذا كله بالإضافة إلى معدات وأجهزة إلكترونية دقيقة لم يعلن عنها ولكنها وصلت بكميات وفيرة إلى إسرائيل .

الجسر البحري

في نفس الوقت الذي امتد فيه الجسر الجوي الأمريكي الهائل إلى إسرائيل ، أقامت أمريكا جسراً بحرياً آخر (لم تسلط عليه الأضواء بما فيه الكفاية) في ١٠/١٠/١٩٧٣ رست في ميناء (نورفولك Norfolk) بولاية كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة ، سفن شحن إسرائيلية ، وقامت بشحن أسلحة ومواد حربية بصورة سرية ، وقد اشتملت التجهيزات التي شحنت بواسطة هذه السفن وبواسطة سفن أمريكية أخرى على ٦٠٠ دبابة (ام - ٦٠) ، (ام - ٤٨) ، وطائرات سكاى هوك ، وطائرات هليوكبتر من

مختلف الأنواع الأمريكية المستخدمة في السلاح الجوي الإسرائيلي كما اشتملت على مدافع (م ١٠٩) عيار ١٧٥ ملم ذاتي الحركة وقنابل وصواريخ وذخيرة مختلفة الأنواع والأحجام .

إلى هذا الحد كانت إسرائيل تطلب الإنقاذ :

- ١- تكشف نوعيات وكميات الأسلحة والمعدات والأجهزة التي تدفقت على إسرائيل من خلال الجسرين الأمريكيين الجوي والبحري . . . كيف كانت إسرائيل تقرب فعلاً من حافة الهاوية تحت ضغط القوات المصرية والسورية .
- ٢- ثمة دليل آخر على ضخامة هذه الإمدادات الأمريكية يجيء على لسان شخصية أمريكية كبيرة . . صرخت قائلة : « إن مخزون الجيش الأمريكي معرض للنفاذ نتيجة لنقل كل هذه الأسلحة والمعدات إلى إسرائيل » .
- ٣- لم تستطع المصانع والمخازن الأمريكية تغذية الجسر الجوي والبحري السريع والضخم قم سحب دبابات وأسلحة مختلفة من بعض قوات الجيش الأمريكي العاملة وقد أحدث ذلك رد فعل ملموس في الولايات المتحدة . وخاصة في وزارة الدفاع .

وبرغم ذلك كله . . لم تكن هذه فقط هي عملية إنقاذ إسرائيل :

كان انهيار إسرائيل - بشهادة قادتها - منذ الأيام الأولى للحرب أكبر من أن تستعيد بعض توازنها - بعده - بسهولة . وبرغم عملية « نقل الدم » المسلح الهائلة التي قام بها الجسران الجوي والبحري الأمريكيان - فإنها ظلت تطلب المزيد ولعلني أستطيع أن أضيف - مطمئناً - هذه العمليات الإنقاذية الأخرى التي شاركت في دفع دماء الحياة والتباسك في شرايين إسرائيل دولة وجيشاً :

- ١- تلقت إسرائيل طائرات وأسلحة أخرى من التي في حوزة قوات جنوب أفريقيا
- ٢- استعانت إسرائيل بطيارين من أوروبا وأمريكا وجنوب أفريقيا وبعضهم من ذوى الجنسية المزدوجة » .

٣- استعانت إسرائيل أيضاً بمتطوعين من الخارج من رجال المدرعات ، كما أنها استعانت بخبراء أمريكيين للعمل على الأجهزة الحديثة التي وصلت مع الجسرين الجوي والبحري .

٤ - أطلقت أمريكا قمرين صناعيين من طراز (بيغ بيرد Big Bird) في مدار حول الأرض للالتقاط صور الحرب الدائرة بما فيها صور القوات العربية وأوضاعها . وقد قامت أمريكا بتمرير هذه الصور إلى إسرائيل لتستفيد منها (وقد نشرت هذه الحقيقة مجلة « تايم » الأمريكية في عددها الصادر في ٢٩/١٠/١٩٧٣) .

٥ - بعد وصول الدعم الأمريكي ، وبالإصرار الأمريكي الإسرائيلي على القيام بأى عمل يخفف من وقع الهزيمة على إسرائيل ، ويكون بمثابة ورقة ، مهما كانت قيمتها - لتلعب بها إسرائيل على مائدة الحل السلمى - لم تكتف أمريكا بتجسس أقمارها الصناعية وإنما دفعت طائرتي تجسس من طراز (اس - آر - ١٧) لتقوموا باختراق المجال الجوي لمصر وسوريا (علناً) ولتقدم بعد ذلك إلى إسرائيل صوراً إضافية عن وضع القوات المصرية شرق وغرب القناة - ومن المعروف أن القوات الإسرائيلية استغلت هذه الصور التي حددت لها منطقة الفاصل بين الجيشين المصريين الثانى والثالث ، وكذلك الوضع العسكرى على الضفة الغربية للقناة .

٦ - منذ البداية المبكرة لاندلاع نار القتال استنفرت الولايات المتحدة قطعاً من أسطولها السادس العاملة فى البحر الأبيض . وأمرت سفناً حربية وغواصات تابعة للأسطول السابع العاملة فى المحيط الهندى بالتحرك فوراً للمرابطة فى بحر العرب . ويكفى جداً الأثر النفسى لهذا التحرك البحرى بالنسبة للقوات الإسرائيلية التى تشعر أن الولايات المتحدة على استعداد لمؤازرتها ولو بشكل مباشر .

٧ - حتى بعد كل هذا الدعم لإنقاذ إسرائيل ، وبعد نجاحها المحدود فى الوصول إلى منطقة ضيقة غرب القناة ، ثم حينما استغلت قرار وقف إطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، ووسعت هذه المنطقة . . ، وحين قررت مصر تصفية هذه الثغرة تحركت أمريكا بأسرع ما يمكن ، ووصل وزير الخارجية هنرى كيسنجر إلى مصر وقال للرئيس السادات « إن أمريكا لن تسمح بتصفية القوات الإسرائيلية فى الثغرة وإنما ستتدخل ضد القوات المصرية بشكل مباشر لو فعلت ذلك . . »

شهادات أخرى

« أيام وساعات انتظرنا هنا على قترات متقطعة لرؤية أضخم طائرات نقل في العالم تهبط للمرة الأولى في إسرائيل . جميع الشعب يقف بانفعال عظيم حول المنطقة التي تهبط بها الطائرات . . إنهم يقفون على الأسطح وعلى الأشجار والكل منفعل جداً . . إن طائرة (ت . اى . والاس . س .) عبارة عن برج شالوم طائر وهي أكبر من طائرة (الجامبو) مرتين ، ولها ذيل بارتفاع ٣٥ متراً ، ولها ٢٤ أو ٢٨ عجلة . وتستطيع أن تحمل ٨٠٠ جندي أو ١٢٠ طنّاً [والتوتر والشوق لهذا الجمل الطائر عظيمان جداً . . والجميع هنا متوترون وينتظرون قدوم كل طائر بفارغ الصبر] ! !

(توقيع)
المراسل الحربي الإسرائيلي
شلومو أهرزون

.....

« إن طائرات النقل الأمريكية قامت بخمس وسبعين رحلة إلى إسرائيل ، كما تم حتى الآن وصول ٢٠ طائرة فانتوم و ٢٠٠ دبابة . كما أن السفن الإسرائيلية تأتي من ميناء نورفلوك في فرجينيا محملة بطائرات سكاى هوك . إن رئيس الدولة ، ورئيسة الحكومة ، والسفير الأمريكي في إسرائيل قد قاموا في أوقات مختلفة بزيارة لمطار عسكري في مكان ما من البلاد لمشاهدة عملية تفريغ الطائرات الأمريكية العملاقة التي أحضرت شحنات الأسلحة إلى إسرائيل . . » .

« إذاعة إسرائيل العبرية »
١٩٧٣ / ١٠ / ١٢

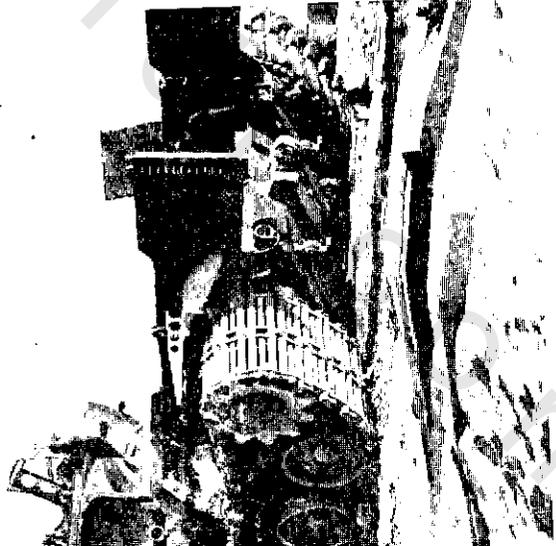
.....

خسائر إسرائيل

- * في الأسلحة والمعدات
- * القتلى والجرحى
- * الأسرى .



أرض المعارك تشهد بخسائر إسرائيل الفادحة .



اختلفت التقديرات التي حاولت تحديد حجم ما خسرتة إسرائيل في الأفراد والمعدات والأسلحة (إذ أنه من البديهي أن الخسائر الأضخم والأعمق لا يمكن تحديد حجمها أو إخضاعها للأرقام الحسابية . وأعنى بذلك الخسائر النفسية والاجتماعية والسياسية) . ولكن بقدر ما اختلفت تقديرات الخسائر المادية التي تكبدتها إسرائيل ، بقدر ما اختلف الرأي على أن هذه الخسائر تفوق احتمال دولة كإسرائيل ، فهي بالتناسب تزيد على خسائر أمريكا في فيتنام .

ونحن سنعتمد في تحديد هذه الخسائر على مصدر غير محايد . مصدر منحاز لإسرائيل نفسها ، وبالتالي فإننا نستطيع أن نعتبر الأرقام والإحصائيات التالية قابلة للزيادة دون أن تكون قابلة أبداً للتقصان . فمصدرنا أمريكي ، بالتحديد هو الجنرال دانييل جراهام رئيس مخابرات وزارة الدفاع الأمريكية حتى وقت قريب ، وقد قدم تقريراً عن حرب أكتوبر إلى مجلس الأمن القومي الذي يرأسه هنري كيسنجر وكان مع هذا التقرير ملحق سرى يمثل حصيلة دراسات قام بها أكثر من مائة ضابط أمريكي من الرتب الكبيرة ، بالإضافة إلى عشرات الخبراء والعلماء ، وثلاثة عقود إلكترونية تعتبر في حد ذاتها أخطر أسرار الترسانة العسكرية الأمريكية . وقد أنشئت هذه اللجنة العسكرية السرية منذ يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ بقرار من مجلس الأمن القومي الذي يرأسه هنري كيسنجر .

تقول الدراسة الأمريكية السرية :

١ - لم يكن أمامها إلا ٢٤ ساعة :

على الرغم من زفض المصادر العسكرية الإسرائيلية إعطاء اللجنة أرقاماً محددة تحديداً دقيقاً عن خسائر إسرائيل في الرجال والسلاح ، وتقديم هذه المصادر طلبات إمدادات من الأسلحة شملت كل أنواع الأسلحة الأمريكية بما فيها الطائرات والمدافع وكافة أنواع الذخائر وثلاث قطع بحرية ، فإن اللجنة قد ثبت لها أن القوات الإسرائيلية لم يكن أمامها إلا (٢٤ ساعة) ينتهي بعدها كل مخزونها من الذخائر الخاصة بالطائرات

والمدرعات والمدفعية وبطاريات الدفاع الجوى المجهزة بصواريخ هوك - وذلك يوم ١٤ أكتوبر . .

٢ - خسائر إسرائيل بالأرقام

(أ) سلاح الطيران : خسر فى الأسبوع الأول من حرب أكتوبر على الجبهتين المصرية والسورية (١٤٩) طائرة ، وفى الأسبوع الثانى من الحرب وحتى وقف إطلاق النار الأول (٦٩) طائرة ، وبين وقف إطلاق النار الأول والثانى خسر سلاح الطيران الإسرائيلى ١١ طائرة .

ويكون مجموع الطائرات التى أسقطت هو ٢٢٩ طائرة ، وقد فقدت إسرائيل ٣٠٢ طياراً ما بين قتل ومفقود وأسير ! !

(ب) خسائر المدرعات : فقدت إسرائيل ثلث قواتها المدرعة من دبابات وعربات نصف مجنزرة ، ومدفعية محمولة وذلك فى الأسبوع الأول فقط . . . ومجموع خسائر إسرائيل فى المدرعات طوال الحرب وحتى وقف إطلاق النار الأول « يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ يزيد على ١٢٥٠ مدرعة .

وبين وقف إطلاق النار « الأول ، والثانى » فقدت إسرائيل ٨٨ مدرعة فى جبهة السويس وسيناء .

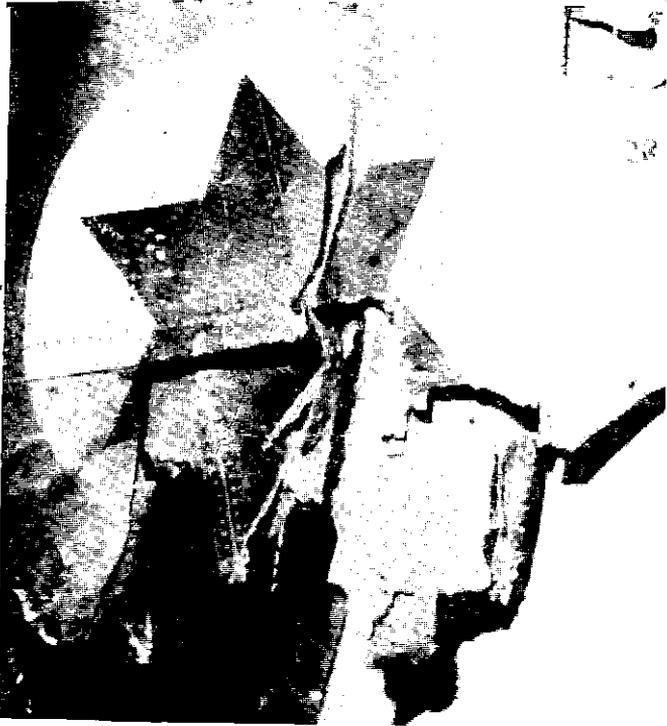
وبين وقف إطلاق النار « الثانى » وتوقيع اتفاقية فصل القوات بين مصر وإسرائيل فقدت إسرائيل ٤٧ مدرعة .

وبذلك يكون مجموع ما فقدته إسرائيل من مدرعاتها أكثر من (١٣٨٤) مدرعة .

ملحوظة : لم يشر التقرير إلى خسائر إسرائيل من المدرعات على الجبهة السورية بعد وقف إطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ برغم استمرار الاشتباكات على هذه الجبهة لفترة طويلة .

(ج) السلاح البحرى : نتيجة للمعارك البحرية التى صحبت معارك حرب أكتوبر ،

فقدت إسرائيل ثلث سلاحها البحرى ، وما فقدته غواصة اختفت فى منطقة بحرية بالقرب من بورسعيد . .



حظام الطائرات الإسرائيلية . . الذي
شاهده المراسلون الأجانب في مختلف
مواقع جبهة القتال .

ملحوظة : أخفت إسرائيل كل شيء عن خسائر سلاحها البحري ، محاولة أن تنسب إليه النجاح الوحيد من بين أسلحتها الأخرى التي كانت خسائرها مدوية وواضحة .

(د) **الخسائر البشرية :** يقول تقرير اللجنة الأمريكية ، إن الأرقام الدولية التي أذاعتها إسرائيل عن خسائرها في الأرواح ، لا تعبر عن الحقيقة التي تحاول السلطات الإسرائيلية إخفاءها حتى الآن وبعد مرور أكثر من عامين على حرب . بل إن التناقض الغريب يظهر في الكتيب الخاص بقتلى هذه الحرب الذي ذكرت فيه إسرائيل أرقاماً عن قتلها أقل من الأرقام التي أعلنتها هي نفسها أثناء الحرب عن خسائرها في الأسبوع الأول فقط .

ومما يؤكد ضخامة هذه الأرقام واستماتة القيادة الإسرائيلية في إخفائها أنها مازالت تسعى في سرية بالغة لدى وزارة الخارجية الأمريكية لكي تطلب إلى مصر الموافقة على البحث عن مئات الجثث الإسرائيلية في ضفتي القناة (وهذه الاتصالات ظلت دائرة حتى آخر مايو ١٩٧٦ ! !) .

هذا وقد تبين للجنة الأمريكية بعد أبحاث استمرت طوال ثمانية عشر شهراً أن إسرائيل قد خسرت ١٢ ألف قتيل وجريح في حرب أكتوبر .

ملحوظة : ترى مصادر أخرى - غير أمريكية - أن خسائر إسرائيل البشرية تصل إلى ١٨ ألف قتيل وجريح .



جنود إسرائيليون يحصلون جثة - من زملائهم



ضابط إسرائيلي حريح . تقول نظرت
زوجه بحالسه خلفه كل شيء !

جثة طيار إسرائيلي يبدو أنه كان مقيداً داخل طائرته حتى لا يتركها ويهبط
بمنطقة قبل دخوله في مجال الصواريخ المصرية مثلما فعل كثير من زملائه

وظهرت جثث إسرائيلية جديدة بعد أن أعلن قادتها أنهم سلموا
كل الجثث لأصحابها ولم يعد هناك جندي واحد مفقود !!



الأسرى الإسرائيليون

« أكاد أتصور كل شيء يمكن أن يحدث . . ! !
أكاد أتصور أنك تستطيع أن تضع نهر الأردن أو حتى نهر المسيبي في آنية زهور .

أكاد أتصور أن تمد يدك إلى أعلى وتقطف من السماء نجمة .
أتصور أنك تستطيع أن تشتري قبر شيكسبير بمليون برميل من النفط . . . ولكنني لا يمكن أن أتصور أبداً أن جندياً إسرائيلياً يمكن أن يقع في الأسر . . . أبداً لا أتصور أن جندياً إسرائيلياً يمكن أن يرفع يديه إلى أعلى مستسلماً ! ! » .

(توقيع)

الكاتبة الإسرائيلية بائبل موشيه ديان
في كتابها مذكرات جندي الذي ألفته بعد حرب
١٩٦٧

« إنني أتصور أنه لم يعد يوجد في العالم إنسان شجاع إلا الجندي اليهودي » ! !

من رواية نجمة في الريح
للكتاب الصهيوني روبرت نانان

« وعندما دخل العربي عيادة إجراء التلقيح ، لم تمر لحظات بعد دخوله غرفة العمليات حتى سمع الحاضرون أصواتاً غاضبة ، وصرخة تكاد تكون غير بشرية ، وكانت صرخة العربي الذي لم يتحمل العلاج ، وبعده مباشرة دخل طفل يهودي عمره سبع سنوات ، ولم تصدر عنه صرخة واحدة . وقال له الطبيب بصوت مسموع للجميع « إنك أشجع بكثير من العربي الذي كان هنا ! ! » .

من رواية : الإغراء العظيم
للكتاب الصهيوني جوريف فربيل



ضباط وجنود إسرائيل . . يرفعون
يديهم إلى أعلى أثناء الاستسلام ،
وتنطق ملامحهم بالانهيار والذعر
للكاملين .

« إنه لم يحارب شعب في أى مكان مثلما حارب الشعب اليهودى . . إننى أحب الجنود اليهود . . فالحارب اليهودى هو الأفضل . . إذا خرج عربى من قهوته وأطلق طلقة طائشة على كيبوتس على بعد آلاف اليارات فإنه يعتقد على الفور بأنه رجل شجاع . (لقد آن الأوان لنختبر أولئك الجبناء لجهلة .)

من رواية الخروج « للمؤلف الصهيونى
« ليون أوريس »

.....
.....

قد يبدو أن تخصيص باب أو عدة صفحات للحديث عن الأسرى من قوات جيش الدفاع الإسرائيلى نوع من الإغراق فى التفاصيل أو تضخيم جزئيات صغيرة لا تستحق أكثر من إشارة سريعة . فلكل حرب أسراها ولولا أن « الأسر » جزء لا يتجزأ من الحروب كالموت والإصابة لما اهتم المجتمع الدولى بتنظيم قانون لحماية الأسرى .

إذن . . لماذا هذا الباب أو هذه الصفحات ! ؟

إن هناك عدة أسباب ومبررات . . . أستطيع أن أجملها فى النقاط التالية :

١ - تساءل الكثيرون عن العدد الحقيقى للأسرى الإسرائيليين حيث أن بيانات وتصريحات الناطق العسكرى المصرى تحدثت عن أعداد كبيرة من الأسرى بينما كان العدد الرسمى والذي تم إخطار الصليب الأحمر به ثم أعيد إلى إسرائيل أقل بشكل ملحوظ من تلك الأرقام .

٢ - لقد أحيط الجندى الإسرائيلى بهالة ضخمة وأصبح مألوفاً أن يوصف بأنه (سوبرمان) . . فوق مستوى البشر . . وأنه يبز « جيمس بوند » الذى استهوت مغامراته المثيرة هواة مشاهدة الأفلام السينائية . .

ومن ثم فإن مثل هذا الجندى (الخارق للعادة ! !) لا بد أن ينتصر على طول الخط . . وبغض النظر عن النتيجة النهائية التى قد تكون مفاجئة كما حدث فى أكتوبر فإنه إما أن يهزم عدوه . أو يحرمه من ذلك - إصابة أو مقتل . . لكن الاستسلام . . ورفع الأيدى إلى أعلى . . هو ما لا يصدقه عقل . . (فأنت تستطيع أن تضع نهر الأردن أو نهر الميسيبى فى آنية زهور . . لكنك لا تستطيع أن تتصور جندياً إسرائيلياً يرفع

يديه إلى أعلى مستسلماً للأسر ! !) .

٣ - في الجانب المقابل رسخت الدعاية الصهيونية الصورة التي تقول إن الجنود العرب فقط هم الذين يستسلمون للأسر على أيدي الإسرائيليين . . وإن الأحذية الملقاة في صحراء سيناء . . . تعنى أن أصحابها من الجنود المصريين قد ساروا في طوابير الأسر الإسرائيلي حفاة منكين خائفين .

٤ - تأسيساً على السببين الأول والثاني . . . تستطيع أن تقول إنه إذا كانت حرب أكتوبر قد حققت ضمن ما حققت انهيار أسطورة الجندي الإسرائيلي بهزيمته في معظم المعارك التي دارت في جبهات القتال مما جعل قادته السياسيين والعسكريين يصرخون طالبين النجدة من أمريكا . فإن مشاهد الأسر التي تكررت تعتبر بالتالي ذروة هذا الانهيار لتلك الأسطورة . خاصة وأن استسلام الجنود في معارك يائسة قد يكون أمراً مقبولاً ومرتبلاً بمحاولة الحفاظ على الحياة . . ولكن أن يحدث الاستسلام في معارك متكافئة . . . بل وأحياناً بمجرد ظهور الجندي المصري . . فهنا يتجسد تماماً انهيار الأسطورة . . أو سقوط الهالة الدعائية وتكشف حقيقته .

.....

أولاً . . لماذا تناقص عدد الأسرى الإسرائيليين ؟

أجمع المراسلون الحربيون الأجانب على صدق البيانات العسكرية المصرية العربية . . وبالتالى يبرز التساؤل حول العدد الحقيقي للأسرى « حيث أن ما تم تسليمهم كانوا أقل بكثير من العدد الذى أعلن عنه في البيانات المتتالية » .

تقول رواية موثوق بها: مع بدء القتال ، توالى بلاغات الوحدات الصغرى من القوات المصرية عن سقوط أعداد كبيرة من الأسرى في قبضتها . ورأت القيادة أن الحكمة تستوجب تجميع هؤلاء الأسرى في الجانب الشرقى من القناة ، بدلاً من السماح لكل وحدة بإعادة أسراها إلى النقطة المواجهة لها على الضفة الغربية ، إذ أن هؤلاء الأسرى سيعودون حتماً - وطبقاً لتقاليد الجيوش وقرارات المجتمع الدولي - إلى إسرائيل كما أن تناثرهم على الضفة الغربية يتعارض مع أمن التحركات العسكرية وأيضاً يفرض عبئاً مضاعفاً في حراستهم .

وفي صباح ثاني أيام القتال ، تم تجميع الأسرى بأعدادهم الكبيرة في نقطة سهلة أمام المحور الأوسط ، وأمر الجنود بالوقوف على هيئة طابور ، بينما أمر الضباط بالوقوف بعيداً دون أن تقيد أيديهم ، وصدرت الأوامر بحلقة شعر بعض الجنود الذين كانت رؤوسهم متسخة ومشعثة وذلك خوفاً من انتشار الأوبئة .

وفي الساعة السابعة والنصف وصل إلى المكان مصورو الجيش للتقاط بعض الصور لهم ، بينما انهمك الكتيبة العسكريون في تسجيل البيانات بحماس وفي نفس الوقت وصلت إلى المنطقة قافلة مكونة من سبع وعشرين عربة نقل انتظرت إلى جوار بعضها خلف تبة رملية .

وبينما كان أحد جنود الشرطة العسكرية يتحقق من شخصية ضابط إسرائيلي أسير اندس بين الجنود ليخفي رتبته الحقيقية ، ظهرت الطائرات الإسرائيلية في السماء . . . وبسرعة خاطفة - لعلها كانت نتيجة الخوف من ظهور الصواريخ المصرية المضادة - ألقت هذه الطائرات بقنابلها المختلفة بهدف ضرب وتدمير طابور العربات . . . لكنها لسوء حظ الأسرى وقعت فوقهم فسقط المئات قتلى خاصة وأن أغلبهم كانت أيديهم مقيدة خلف ظهورهم مما عوق حركتهم . . . ولم يتمكن من النجاة سوى من كانوا بالقرب من العربات المصرية .

وقد تجلّت سخرية القدر هنا مرتين . . . أولاً أن يموت معظم الأسرى بقنابل طائراتهم . . . وثانياً أن ينجو أولئك الذين كانوا بالقرب من العربات العسكرية المصرية التي كانت الهدف الأساسي للطائرات الإسرائيلية .

نماذج من الأسرى الإسرائيليين . . . وأقوالهم :

١ - رفعوا أيديهم إلى أعلى وفيها خرائط الحرب :

في هجوم مضاد قام به اللواء الإسرائيلي المدرع (٦٠٠) وكتيبة دبابات اللواء ٤٦٠ ضد الفرقة (١٦) المشاة . . . دمرت كتيبة المقاتل طنطاوى أربع دبابات وارتدت السريتان اللتان تصدى لهما بكتيبته ، وقد شاهد طنطاوى ثلاثة جرحى إسرائيليين يشيرون إلى دبابة لهما منسحبة حتى تحملهم ، لكنها لم تتوقف وتركتهم وهربت في اتجاه الشرق ، وبالتالي وقع الجنود الثلاثة في الأسر وكانت حالتهم خطيرة .

وفي الساعة الواحدة ظهراً من نفس اليوم (٨/١٠/١٩٧٣) قام الإسرائيليون



• الجنود الإسرائيليون . . رفعوا أيديهم
وخفصوا رؤوسهم . . مستسلمين في
إنهيار كامل .
• وانتهت أسطورة الجندي السوبرمان !



بهجوم مضاد على كتيبة المقاتل (علم) ثلاث مرات ، ونجحوا في اختراق القطاع لكن الكتيبة المصرية حاصرت الدبابات المتقدمة ودمرتها بالأسلحة القصيرة والقنابل اليدوية المضادة للدروع ، وقد أسرت في هذه المعركة دبابتين رفع جنودها الإسرائيليون أيديهم إلى أعلى وفيها أعلام بيضاء للاستسلام وعندما تم أسرهم اتضح أنهم لم يكونوا يرفعون أعلاماً ولكنها خرائطهم الحربية التي جعلوا منها أعلاماً للاستسلام وقد كانت هذه الخرائط غنيمة رائعة حيث كشفت جزءاً من خطط العدو . أما الجنود فقد تم نقلهم على الفور إلى مركز تجميع الأسرى في الخلف بالقرب من الضفة الشرقية للقناة .

٢ - جمعونا كالثمار المعطوبة :

الملازم الإسرائيلي مفتال كان واحداً من الأسرى الذين وقعوا في أيدي القوات المصرية وقد حكى قصة سريره لقائد كتيبة مصرى سجل بنفسه ما قاله الملازم الإسرائيلي . . . وأنقل الآن عن شريط التسجيل ما قاله (مفتال) حرفياً . « كنا نتقدم بدباباتنا متجهين بسرعة نحو الفردان وفجأة وقبل أن نصل بثلاثة كيلومترات . . رأيت بقعاً تقفز من الحفر ومن وراء التلال . كانوا رجالاً يتحركون وبعضهم كانوا يحملون أشياء تشبه الصناديق السوداء . . ولم أعرف في البداية ماذا يعنى هذا ! !

وأمرت بتوجيه الرشاش ضدهم . . برغم علمي بأن ذلك ليس أمراً واقعياً فقد كانوا يتواثبون في خفة القبط ويرتمون على الرمال ويختفون خلف تلة أو تبة . ولكننا فعلنا ذلك . . وأطلقنا رشاشاتنا . . .

يا إلهي . . إن أحداً لم يقل لنا بأننا سنحارب جنود مشاة ، لأنني أدركت بعد ذلك ماذا يحمل هؤلاء الرجال معهم . . لقد شاهدت صاروخ (ساجر) ينطلق من ناحيتهم في اتجاه دبابة على يساري .

وعندما صرخت يبدو أن أحداً لم يسمعني لأن صوتي كان مبهوحاً . . كنت أصرخ قائلاً « نار » « نار » ، ورأيت حديد الدبابة ينصهر ، وتنفجر من داخلها بفعل الذخيرة الموجودة فيها .

وجهت مدفع دبابتي إلى الرجال الذين مازالوا يطلقون علينا صواريخهم ، إنفجرت القذيفة . . اختفوا عن أعيننا فترة . . لكن مرة أخرى رأيت صاروخاً جديداً في اتجاهي . وشعرت بجبطة عنيفة . . لقد أصاب الصاروخ برج الدبابة . أصيب حامل

اللاسلكي ، واستطعت أن أصدر تعليمات ، بالصراخ المبحوح وبالرفس في جنودى . . .
ثم رأيت الدماء تسيل من ذراعى . . وبعد لحظات كنا جميعاً خارج الدبابة وجرينا في اتجاه
دبابة أخرى من دباباتنا لتحملنا لكنها لم تتوقف ، ولا حققتنا طلقات رصاص من أسلحة خفيفة .
التفت خلفي والدماء تنزف منى . وجدت قائد السرية يزحف على ركبتيه والدماء
تنزف من كتفه هو الآخر . لقد انفجرت دبابته أيضاً . وعندما اقتربت منه قال لى :
« أعط هذه الدبلة لزوجتى » وخلعها من معصمه . وبكيت من الحزن والقهر . .
ثم فوجئنا بالمصريين بيننا يجمعوننا من الأرض (جرحى وأصحاء) كما لو كانوا
يجمعون ثماراً معطوبة سقطت من الأشجار .
ووضعونا فى منخفض بين تلين بيتنا انحنى أحدهم يضمد جراحى أنا وقائد السرية ،
وقيدوا غير المصابين من أيديهم ، فقد كانوا مضطرين لتركنا لمواجهة أية دبابات جديدة
من دباباتنا تظهر فى القطاع ، واكتفوا من حين لآخر بواحد من جنودهم يأتى ليلقى
نظرة عابرة علينا من قرب .
ولم تكن هناك وسيلة لتقلنا إلى حافة القناة . . فلم تكن هناك مركبة مصرية واحدة
قد عبرت حتى تلك الساعة ! !

٣ - الطيار الذى مات بعد دقيقة من أسره :

لم أصدق حكاية هذا الطيار إلا عندما رواها لى ضابط المشاة المصرى الذى كان
طرفاً ثالثاً فيها . . وقد بدأت (الحكاية) عندما انطلق هذا الطيار ضمن سرب من
طائرات الفانتوم لمحاولة الإغارة على أحد الجسور المصرية وكانت شبكة الصواريخ قد أحدثت
خسائر كبيرة فى الطيران الإسرائيلى فى اليومين السابقين وبمجرد دخول التشكيل المغير
فى مدى هذه الصواريخ انطلقت نحوه فسقطت طائرتان وفرت بقية الطائرات مذعورة .
وكان هذا الطيار الوحيد الذى استطاع الهبوط بمظلته . . وعندما اقترب منه الضابط
المصرى ليسأله عن اسمه ورتبته والطائرة التى كان يقودها . . نظر الطيار الإسرائيلى حوله
فى رعب بالغ

وقال له « أنا شفت صاروخ . . أنا « مت » . .

والثير أنه سكت بعد ذلك فجأة ، فانحنى عليه الضابط المصرى ليقوده أمامه إلى
مركز تجميع الأسرى . . ولكنه اكتشف أنه مات بالفعل .

٤ - كنت أسعد حظاً عندما أسرفني المصريون !

... في حديث مسجل .. يقول الأسير الإسرائيلي الجاويش زيني . (وكان واحداً من طاقم إحدى الدبابات التي وقعت في كمين مجموعة من رجال الصاعقة المصريين) .
« لقد أذهلني - وأنا الذي اشتركت في حرب ١٩٦٧ - أن أرى الدبابات الإسرائيلية تتراجع إلى الوراء . . . كانت هذه هي الحرب الأولى التي يحدث فيها شيء كهذا . . بل لقد بقيت بعض دباباتنا في أرض العدو (يقصد الأرض التي استعادتها القوات المصرية) بقيت مدمرة ومصابة وفي داخلها قتلى وجرحى دون أن يكون بالإمكان إنقاذهم . . والذين قفزوا من داخل دباباتهم إما أدركهم رصاص المصريين أو كانوا أسعد حظاً مثلي فتم أسرهم » .

٥ - من مذكرات عساف يا جورى « أشهر أسير إسرائيلي »

الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣

منذ وصول الجنرال آدن في الساعة ٨٠٠ صباح اليوم واستلامه قيادة النطاق الشمالي من جبهة قناة السويس - وأنا أخوض مع قواتي معارك متصلة في محاولات مستمرة لإيقاف تقدم المصريين وضرب قواتهم التي عبرت القناة وطوقت بعضها حصون خط بارليف .

لم تهدأ هذه المعارك لحظة واحدة . . وقد تركت بصماتها على قواتي وقد فقدت خلالها الكثيرين من زملائي . . . وبسبب عنف هذه المعارك لم نجد وقتاً للحزن على هؤلاء الزملاء الذين سقطوا قتلى .

الاثنين ٨ أكتوبر ١٩٧٣

الاثنين الأسود (يوم الدم . . وخيبة الأمل . . والألم العظيم)

- الساعة ١٤٠٠ (الثانية ظهراً)

- أرباط مع قواتي داخل المنطقة التي حددها لي الجنرال آدن شرق الفردان

- وصلت إلينا الآن أوامر الجنرال (آدن) بالهجوم في اتجاه الفردان تنفيذاً

لأوامر الجنرال جونين بشأن الهجوم المضاد العام على جبهة سيناء . كلفت الألوية المدرعة الثلاثة التابعة للجنرال آدن بمهمة تطهير النطاق الواقع بين طريق حيتام العرضى (وهو الطريق العرضى رقم ٢ الموازى للقناة والذى يبعد عنها بحوالى ٣٠ كيلو متراً) وضافة القناة وذلك فى حركة مروحية من الشمال الشرقى فى اتجاه الجنوب الغربى - وتحدد لنا أيضاً - ضمن مهمتنا - محاولة إنقاذ من بقى حياً فى حصون بارليف التى انهارت تحت وطأة الهجوم المصرى .

- انتشرت الألوية الثلاثة على الطريق العرضى بين بالوظة شمالاً ، والطاسة على الطريق الأوسط جنوباً لتنفيذ مهمة الهجوم والوصول إلى القناة فيما بين القنطرة والفردان ، ثم احتلال المعابر الثلاثة التى أقامها المصريون فى شمال البلاح والفردان وجنوب الإسماعيلية ، وكان نصيب لوائى هو قطاع الفردان حيث تحددت مهمتى بالوصول إلى كوبرى الفردان والاستيلاء عليه (وقد كنا نسميه « حزايون » إحياء لاسم الحصن المجاور له والذى فقدناه فى أول أيام الحرب) .

- الدنيا تنقلب رأساً على عقب :

فى الساعة ١٤٣٠ بدأت ألويتنا الثلاثة فى التقدم . أعطيت أوامرى بأن تنطلق دبابات ومصفحات لوائى بأقصى سرعة لإثارة سحب من الغبار تحجب عن العدو حجم قواتى ، وإلحداث الارتباك فى صفوفهم - فأنا أعلم جيداً طبيعة هؤلاء المصريين وضعف تماسكهم وانهارهم السريع .

- ظل تقدم اللواء على مساحة عرضها ثلاثة كيلو مترات . وبنفس السرعة العالية وفقاً لتقارير عناصر الاستطلاع . . ستكون الفرقة المصرية المواجهة لى والمكونة من المشاة صيداً سهلاً لدباباتى . . المنطلقة بعنف . . والتى توجه الآن كميات هائلة من النيران تغطى بها المنطقة كلها .

- اخترقنا النطاق المحدد . . ولا توجد مقاومة تذكر للعدو . .

- فتحت الاتصال اللاسلكى بالجنرال آدن . بادرنى بالسؤال - فى قلق - عن موقف لوائى . قلت له ضاحكاً . إن كل شىء على ما يرام ودباباتى تدوس الجنود المصريين الذين أربكهم الهجوم ولم تظهر حتى الآن محاولة لصدنا .

- لم أكد أنتهى من اتصالى بآدن . . حتى أبلغتنى الدبابات الثلاث الأولى بوصوها

إلى مقربة من ضفة القناة .

- في نفس هذه اللحظة . . حدث ما لم يكن في الحسبان إطلاقاً . لقد انقلبت الدنيا رأساً على عقب . إن المصريين قد أوقعونا في كمين محكم . . كيف ضبطوا أعصابهم وبنيرانهم طوال هذا الوقت ؟

لا أدري ! ! لقد انصبت مدافعهم علينا بنيران مذهلة الكثافة والدقة في التحكيم كما لو كان ضابط مدفعية مصرى يقف فوق دبابتي لضبط وتوجيه نيران مدافعهم . وقفز الجنود المشاة من حفرهم التي اختبأوا فيها واندفعوا نحو دباباتنا بصواريخهم القاتلة . الدبابات تنفجر . . والجنود والضباط يقفزون منها . . يصرخون ويبحثون عن مكان يهربون فيه . . رشاشات المصريين تسكت هذه الصرخات اكتملت حلقة الكمين باشتباك عدد من دباباتهم في ضرب إحدى كئائب اللواء التي لم تكن قد تعرضت لمثل الضرب العنيف الذي تعرضت له الكئيتان الأخريان وكانت الدبابات المصرية تحارب بكفاءة عالية وكان قتالها متفوقاً وبأسلاً - أعصابي خانتني تماماً .

- لم يف الجنرال آدن بوعدو لى بأن يرسل لنا طائرات سلاحنا الجوي حتى المدفعية الثقيلة التي كلفت بمعاونتنا لا صوت لها ! ! هل وصل إليها المصريون هي الأخرى ؟ ! لا أدري شيئاً وقد فقدت الاتصال ببقية وحدات المدرعة

- معظم دباباتنا تنفجر أمامي .
- حاولت الارتداد إلى الخلف بأقصى سرعة . .
- سقطت دبابتي والثلاث دبابات الأخرى في كمين آخر وجه قذائفه لتخترق دباباتنا الأربع .

- قفزت من الدبابة . . وأسرعت إلى الاختفاء خلف تل صغير من الرمال ومعى أربعة جنود . .

- فوجئنا بعربيتين مصفحتين مصريتين . . تمشطان المنطقة بحثاً عنا . .
- حاول بعض جنودي الذين أختفوا خلف مرتفع آخر . . الفرار . . وأطلقوا نيرانهم على الجنود المصريين الذين كانوا يقفون مكشوفين فوق العربيتين . . وأعتقد أن أحدهم أصيب . . ولعله قتل . .

- اندفع الجنود المصريون خارج المصفحتين . وأنطلقوا نحو هذه المجموعة - من جنودى - وهجموا عليهم فى شراسة بالغة . . . وسكنت بعد دقائق مقاومتهم تماماً . ماتوا بالطبع . . .

- اتجه المصريون بعد ذلك ناحيتنا - « لا مفر من الاستسلام . »
- رفعت يدي إلى أعلى وأخذت أصرخ فى وجوههم وأنا أرى الموت يتقدم نحوى « إننى جنرال . . . أنا جنرال . . . لا تقتلونى . . . أريد مقابلة قائدكم . »
- فوجئت بهم بتوقفون عن الضرب . . جندى واحد فقط اضطر قائده إلى أن يأمره بصوت حاد بعدم إطلاق النار .

- سرت بينهم مقيداً .
- لا أستطيع أن أقاوم البكاء . . هذا هو أشد الأيام كآبة وأكثرها إجاباطاً على الجبهة المصرية .

- نظراتهم صارمة حادة لكنهم لم يفعلوا شيئاً . . كنت أتوقع أنهم سوف يقتلونى ومن معى . . فى أية لحظة .

- قادونى إلى مقر قيادة الفرقة التى كنت مكلفاً باختراقها . هالنى هدوء وبرود قائدها . قلت له إننى أملك فى الحياة المدنية فندقاً فى تل أبيب ، وشرحت له كيف كانت خطته محكمة وكيف أن الجنود المصريين يقفزون على دباباتنا دون أن يباليوا بأى شىء حتى لو كان الموت . تحدث هو إلى بصوته الهادئ أكد لى أنهم يحترمون قرارات جنيف وأنى سأعامل فى الأسر معاملة طيبة . وألح هو إلى بعض ما جرى للمصريين فى حرب ١٩٦٧ . وقال :
« مع ذلك لن نعاملكم بالمثل . . وستلقون معاملة إنسانية . . »

- قادونى بعد ذلك إلى القاهرة . . وتم استجوابى من جديد ، وكانت الأسئلة تتناول أموراً كثيرة فلم تقتصر على النواحي العسكرية وإنما امتدت إلى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وبعض الشخصيات العامة . . أعتقد أنه كان من بين المستجوبين أستاذ علم نفس بالجامعة على الأقل .

- وفى نفس اليوم أخذونى إلى مكان يبدو أنه مبنى التلفزيون . وعندما رفعوا العصاة عن عيني لبدأ المذيع حواراه معى . . لم أستطع أن أفتهما فى البداية لشدة أضواء الكشافات فى الاستوديو . بعد ذلك ألقى نظرة على بعض الوجوه المحيطة بى . كانوا ينظرون إلى بفخر وحب استطلاع . وكان شاب صغير من بينهم يدخن فى عصبية

- ويرمقني بنظرات حادة ثم يتحدث إلى من معه .
- بعد انتهاء التسجيل معى للتليفزيون والتسجيل لإذاعة القاهرة الناطقة بالعبرية . .
 قادونى إلى مقر الأسر . وقد نظموا لى طوال فترة وجودى فيه عدة رحلات إلى الأهرام
 وفندق هيلتون كما التقيت ببعض اليهود الذين لازالوا يعيشون فى مصر ، وذلك بناء على طلبى .
- أثناء فترة أسرى . . . كنت أقول لنفسى ترى ماذا جرى لبقية زملائى . . ترى
 هل وجدوا طريقهم إلى النجاة ؟
- بعد عودتى من الأسر فوجئت - بل أذهلنى - بحجم الخسائر التى وقعت فى
 صفوفنا . مع ذلك لم تعلن حتى الآن الأرقام الحقيقية لخسائرنا .
- حائر أنا . . حيرتى بالغة . . كيف حدث ذلك لجيشنا الذى لا يقهر وصاحب
 اليد الطولى والتجربة العريضة ؟ كيف وجدنا أنفسنا فى هذا الموقف المخجل؟ أين ضاعت
 سرعة حركة جيشنا وتأهبه الدائم ؟
- استدعيت لأدلى بأقوالى أمام لجنة أجراءات .
- علمت أن اللواءين الآخرين من فرقة آدن . . ظل أحدهما مقيداً بنيران المدفعية
 المصرية حتى أن قائده ادعى لتبرير ذلك بأنه لم يتلق أمراً ببدء الهجوم . فى حين شغل
 اللواء الثانى نفسه بأعمال ثانوية فى نفس المكان الذى كان يتمركز فيه مؤثراً هو الآخر
 عدم مواجهة المصريين .
- منذ عودتى إلى تل أبيب وأنا أشعر أنهم يهددونى . لقد حدث شئ لم يسبق له
 مثيل . انكشفت ثغرات واسعة فى قاعدة حياتنا والمصيبة أن المسئولين يبذلون أقصى جهودهم
 لإخفاء هذه الثغرات بدلاً من الاهتمام بعلاج أسبابها .
- لقد كان هناك من يشعر بالأمل فى وقت من الأوقات . . على أساس أنه
 سوف تظهر الحقائق وتعالج الأخطاء . . وقد كنت واحداً من هؤلاء حتى وقت قريب .
- ولكننى اليوم أنتمى إلى من خابت آمالهم ! !

(توقيع)

عساف ياجورى

« أيها الناس . إننى أتكلم إليكم جميعاً ، وأجعلكم تعرفون الإنعامات التى نلتها وكيف أنى قد كوفئت بالذهب سبع مرات أمام الأرض قاطبة وكيف أن اسم الرجل الشجاع يمكث فى الشئ الذى فعله ، وأن اسمى لن يغمر فى هذه الأرض أبداً .

فعندما بدأت الحرب على الماء فى القناة « يزدكوأواريس » أسرت من الأعداء أسيراً وأحضرت يداً ، وقد أعلن ذلك لحاجب الفرعون ومن أجل هذا أعطيت « ذهب الشجاعة » .

وقد عاد القتال فى هذا المكان ، وقمت بأسر آخر ، وأحضرت يداً ، فأعطيت - ذهب الشجاعة ثانية ، وعندما حاربوا فى مصر فى الجزء الجنوبي من هذا البلد - (أواريس) - أحضرت أسيراً حياً وقد ذهب به إلى الماء لأنه كان قد أسر فى الجهة التى فيها المدينة ، وحملته معى بعد أن أسرته وعبرت الماء إلى الجهة الأخرى وقد أعلن حاجب الملك بذلك ! وتأمل لقد كوفئت بذهب الشجاعة من جديد وعندما ساروا (الأعداء) بعد ذلك لنهب « أواريس » أحضرت من هناك (من بينهم) أسلاباً : رجلاً واحداً وثلاث نساء . أى مجموع أربعة رؤوس ، وقد أعطانيهم جلالته عبيداً ، وفى حصارهم لبلدة (شروهن) أحضرت من هناك امرأتين ويداً . وقد أعطيت من جديد ذهب الشجاعة .

وفى (معركة) مع بدو بلاد النوبة . أحضرت من هناك أسيرين وثلاثة أيد ، وكوفئت بالذهب من جديد .

وبعد ذلك (وفى معارك أخرى) أحضرت محاربين أسيرين من سفينة « آتا » ، ثم عندما أتى ذلك الخاصىء المسمى (تيتى عن) وقد جمع العصاة معه . (دارت معركة) وذبحه جلالته وقضى على بحارته ، وأحضرت أنا ثلاثة رؤوس

[من وثيقة فرعونية كتبها « أحمس بن أبانا » أحد الضباط فى عهد الملك أحمس ويرجع تاريخها إلى أكثر من ١٥٠٠ عام قبل الميلاد .

ومن تحصيل الحاصل أن نقول إنها إلى جانب غيرها من وثائق التاريخ الفرعونى تدل على شجاعة وأصالة المقاتل المصرى العربى الذى استسلم له الأعداء منذ قديم الأزل] .

obeikandi.com

(٢)

من أوراق القوات المسلحة المصرية

الرجل الذى أدار الحرب

« من الأمور الجديرة بالاهتمام حقاً ، الطريقة التى أدار بها أنور السادات الحرب على الصعيد السياسى والعسكرى ، فلقد حدد الرئيس المصرى هدفاً واضحاً ومعلناً للحرب . وهو : على المستوى الاستراتيجى تحرير العرب لأراضيهم المحتلة . وقد أكسبه هذا التحديد الواضح تأييداً دولياً واسع النطاق ، فلا أحد أصبح فى وسعه أن يتهم العرب بالعدوان على أرض هى أصلاً ملك لهم ، أو أن يلومهم على التحرك لتحرير أراضيهم ، من احتلال أجنبي بالوسيلة الوحيدة التى أصبحت متروكة لهم بعد أن جربوا كل الوسائل الأخرى دون جدوى .

ولم يكن تحديد الهدف هو الحسنة الوحيدة ، فلقد تصرف الرئيس السادات بإحساس عميق بالمسئولية ، ولم يتجاوز فى أية لحظة قضيته أو هدفه ، فلقد قصد بحربه أن تكون حرباً محدودة فى الأساس ، وليست حرباً شاملة لآخر رجل ، وكان يسعى من ورائها لتحقيق أقصى النتائج السياسية والاقتصادية والاستراتيجية بأقل قدر من الدماء . وهو هدف نجح فى تحقيقه بما تجاوز كل التقديرات .

وبرغم التأييد والدعم العربى الواسع الذى تلقته مصر فى الحرب فإن السادات لم يتحدث بحرف واحد عن محور إسرائيل ، ولكنه حدد هدفه فقط فى تحرير الأرض العربية ، واستعادة حقوق الشعب الفلسطينى . كما أن الأسرى الإسرائيليين عوملوا معاملة إنسانية طبقاً لاتفاقية جنيف .

وكان لذلك كله أكبر الأثر فى إضعاف مركز إسرائيل سياسياً وأدبياً إن الحرب هى ممارسة الدبلوماسية ، ولكن بوسيلة أخرى ، وقد أثبتت حرب أكتوبر ١٩٧٣ أكثر من أى حرب أخرى صحة هذه النظرية ، وقد أسفرت حكمة الرئيس السادات التى أدار بها دفة الحرب عن دخول البترول العربى كسلاح مؤثر فى المعركة ، وأضحت الوحدة العربية حقيقة ، وحصلت القضية العربية على أكبر تأييد دولى . »

(توقيع)

الخير العسكرى الهندى . ب. نارايان

.....

.....

المشير أحمد إسماعيل علي، واللواء سعد مأمون
[قائد الجيش الثاني - في أهم أيام الحرب -
وبعض الضباط والقادة]



اللواء أحمد بدوي الذي عين
قائداً للجيش الثالث أثناء
المعارك



اللواء فؤاد عزيز غالي ، قائد
الفرقة ١٨ مشاه ثم قائد الجيش
الثاني بعد ذلك



اللواء حسن أبو سعدة قائد
الفرقة الثانية مشاه
التي أنارت إعجاب الخبراء بتدمير
مدبغات عساف ياجوري وأسره في
زمن قياسي



المعيد عادل يسرى . . أطلقوا عليه
اسم روميل المصري

في البداية :

أود أن أشير إلى أنني سألتزم الإيجاز في سرد العمليات القتالية من جانب القوات المسلحة المصرية لأسباب ثلاثة :

١ - في الفصل الخاص بالتخطيط والإعداد قدمت الكثير من أوراق القوات المصرية .

٢ - في الفصل الخاص بأوراق جيش الدفاع الإسرائيلي سرد شبه تفصيل لسير العمليات وصحيح أنه من وجهة النظر الإسرائيلية ، إلا أن التفصيل في شرح العمليات القتالية بالكامل من جانب القوات المسلحة المصرية قد يحمل نوعاً من التكرار .

٣ - ستكون المواقف والصور التي تكمل هذا الفصل بمثابة استكمال لما قد يحتاج للتفصيل مما يتم سرده من العمليات .

.....

.....

الحرب من الجانب المصري :

.. معارك الجو والبر والبحر .. يوماً بيوم

يوم الجمعة ٥ أكتوبر :

إذا كانت الحرب « الفعلية » قد بدأت في ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ إلا أن التسجيل الأمين لعمليات القوات المسلحة المصرية يجب أن يبدأ من يوم الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٧٣ . فلقد تمت بالفعل عمليات في هذا اليوم ، وهي وإن كانت قد تمت في صمت فلم تعلن عنها انفجارات القنابل أو دوى الرصاص ، إلا أنها كانت جزءاً لا يتجزأ من الحرب الشاملة .

ولكن ما هذه العمليات العسكرية التي قامت بها القوات المسلحة المصرية في هذا اليوم والتي لم يتوقف أمامها الكثيرون من المؤلفين والمحللين ؟

لقد دفعت القيادة المصرية في هذا اليوم بدوريات عديدة عبرت القناة في هدوء تام ثم تسلقت الساتر المانع الترابي ، وتسللت بين حصون خط بارليف .. وكانت المهام

المكلفة بها هذه المجموعات هي :

١ - استطلاع أخير للموقف الذي كانت عليه قوات العدو ، أو هي نظرة استكشاف أخيرة على نقاط خط بارليف الحصينة والطرق المؤدية لها من الشرق ثم ما كان يجري خلف هذا الخط وفي أعماق متفاوتة لقوات ومواقع العدو .

٢ - القيام بتعطيل المانع (النارى) المتمثل في تلك المستودعات الضخمة بما فيها من مواد ملتهبة ، والخراطيم التي ستحمل هذه المواد ، والمواسير التي ستحملها أيضاً وتلقيها في القناة لكي تشتعل بالنيران وتتحول إلى قطعة من جهنم تلتهم القوات المصرية بمجرد الإحساس ببدء عبورها .

تلك كانت العمليات الصامتة التي تمت - من جانب القوات المسلحة المصرية يوم الجمعة ٥ / ١٠ / ١٩٧٣ . وقد نجحت هذه العمليات نجاحاً كاملاً .

يوم السبت ٦ / ١٠ / ١٩٧٣ :

في تمام الساعة ١٤,٠٥ (الثانية وخمس دقائق ظهراً) بدأت - القوات المصرية هجوماً مركزاً وشاملاً على طول خط المواجهة فانطلقت الطائرات المصرية القاذفة والمقاتلة في طلعة واحدة وبعدها يزيد على ٢٢٠ طائرة إلى أعماق سيناء ، وهاجمت أهدافاً محددة ، فقامت القاذفات من طراز تى - يو - ١٦ ، وسوخوى بمهاجمة القواعد الجوية الإسرائيلية في العريش وبيير جفجافة وتمادا بينما قامت الطائرات المقاتلة الاعتراضية من طراز ميغ ٢١ بتقديم الحماية الجوية للقاذفات الثقيلة ، وفي نفس الوقت اندفعت القاذفات المقاتلة من طراز سوخوى وميج ١٧ لتضرب مركز أم مرجم (وهو المركز الرئيسي للسيطرة الخاص بالقيادة الإسرائيلية) ، ثم مقر القيادة نفسه ، ومركز أم خشيب ، ومركز التشويش ، ومواقع الدفاع الجوي ، والرادارات .

. . وقد نجحت هذه الضربة الجوية المركزة في تحقيق التالي :

- ١ - تدمير أو تعطيل الأهداف التي حددت من قبل .
- ٢ - إرباك القوات الإسرائيلية وشلها عن العمل والتفكير .
- ٣ - إنزال الخسائر في صفوف ومعدات القوات الإسرائيلية وبالتالي التأثير على معنويات الجنود الإسرائيليين .

.....
وفي نفس الوقت الذي قامت فيه تلك الطائرات المصرية بغاراتها الشاملة على سيناء ، قامت عدة طائرات من طراز ميج ٢١ بعمل مظلة جوية بصفة دائمة ، تأهباً لاعتراض الطائرات الإسرائيلية بمجرد دخولها العمليات والتصدي مع الدفاع الجوي لمحاولات التسلل من طائرات العدو إلى الأعماق المصرية ، وأيضاً لتقديم الحماية والمساندة الجوية للقوات البرية المتقدمة باتجاه الشرق بالقوارب وفوق الجسور التي جرت إقامتها على القناة .

.....
وكذلك - وفي الوقت ذاته - انطلقت إلى أعماق سيناء طائرات الهليكوبتر الكبيرة من طراز (مى ٦) ، (مى ٧) وهي محملة بجنود الصاعقة لإنزالهم في الأماكن التي حددتها الخطة العامة بامتداد الجبهة من شرم الشيخ حتى شمالى سيناء .

.....
هذا وقد استمرت الطائرات المصرية في أداء دورها الحاسم والفعال منذ الساعة ١٤,٠٥ وحتى الغروب .

أما الطائرات الإسرائيلية ، فبرغم أنها كانت في أقصى حالات التأهب منذ عشية يوم ٥ / ١٠ / ١٩٧٣ ، فإن رد فعلها بدأ بعد أربعين دقيقة كاملة من بدء الهجوم المصرى . وقذفت إسرائيل بأعداد كبيرة من طائراتها في محاولة لمنع تدفق القوات المصرية إلى سيناء وإنقاذ قواتها في حصون خط بارليف . إلا أن السلاح الجوى الإسرائيلى فشل في تحقيق مهامه للأسباب التالية :

- ١ - نجاح السلاح الجوى المصرى في تدمير وتعطيل المطارات الإسرائيلية في سيناء .

٢ - نجاح السلاح الجوي المصرى فى ضرب مراكز السيطرة والقيادة .
٣ - النجاح الكبير لقوات الدفاع الجوى المصرى . . التى تصدت على الفور بالتنسيق مع الطائرات الاعتراضية ، لطائرات العدو . . التى أخذت تتساقط أو تهرب من سماء المعركة .

٤ - حلول المساء وبالتالى ضيق الفترة المتاحة لعمل الطائرات الإسرائيلية (حتى برغم فشلها) . وقد كان هذا العامل فى اعتبار القيادة المصرية (حسب ما جاء فى فصل التخطيط والإعداد) .

.....
.....
.....
.....

ومن جهة أخرى . . وفى نفس اللحظات ، ومع ، وبعد ، القصف المدفعى العنيف الذى قام به أكثر من ألفى مدفع ، كان حوالى ٨٠٠٠ جندى يعبرون القناة سباحة أو بقوارب مطاطية ، ، واجتاز هؤلاء الجنود كل المواقع والصعاب (التى سبق الحديث عنها تفصيلاً) واندفعت مجموعات منهم لقطع الطرق أمام المدرعات الإسرائيلية التى ستندفع من مواقعها فى الشرق إلى ضفة القناة لضرب عملية العبور ، بينما قامت مجموعات أخرى بحصار « وإشغال » قوات نقاط خط بارليف الحصينة .

. . وفى الوقت نفسه بدأ سلاح المهندسين فى بناء الجسور والكبارى ، وقد تم ذلك فى سرعة قياسية حطمت كل التوقعات (كان موشيه ديان مثلاً وجهاز القيادة العسكرية الإسرائيلية يقدرون لهذه العملية مدة تتراوح بين ٢٤ ، ٤٨ ساعة) . . ولكن سلاح المهندسين المصرى أقام عشرة جسور فى أقل من ست ساعات ، بالإضافة إلى أكثر من ٥٠ معدية (عبر عليها فى أول يوم خمس فرق مشاة وعدد من الدبابات) .

وكان التنفيذ للخطة الموضوعية بالغ الدقة والسرعة ، وقد فوجئ العدو - ضمن المفاجآت العديدة - باستخدام القوات المصرية لمضخات المياه لفتح الثغرات فى الساتر الترابى ، وقد تمكنت من فتح (٦٠) ثغرة فى خلال ست ساعات . كما استخدم المهاجمون أيضاً السلام الخشبية والمطاطية المصنوعة من الحبال أثناء تسليقهم الساتر الترابى (قبل فتح الثغرات فيه) .

وكان القطاع الذي يعمل فيه الجيش الميداني الثاني بقيادة اللواء سعد مأمون هو المواجه للمساحة ما بين بور سعيد في الشمال وقليلًا إلى الجنوب من مدينة الإسماعيلية ، بينما يعمل الجيش الثالث الميداني في مواجهة القطاع الجنوبي والجزء الجنوبي من أراضي القطاع الأوسط ما بين مدينة السويس في الجنوب ، والإسماعيلية جنوباً . وقد تمكنت قوات هذين الجيشين بعد قتال عنيف من الاستيلاء على الأجزاء الرئيسية من خط بارليف (علماً بأن الجيش الثالث واجه مشكلة أخرت عبور مدرعاته بعض الوقت حيث أن طبيعة التراب الرمل الذي تكون منه الساتر في قطاع الجيش الثالث كانت مختلفة إلى حد ما (طينية) واستغرق فتح الثغرات في هذا القطاع وقتاً أطول .

.....

هذا وقد تمت عملية العبور لقناة السويس واقتحام الساتر الترابي وخط بارليف . في فترة زمنية قياسية أثبتت قدرة المشاة وكفاءة سلاح المهندسين والتنظيم الدقيق والجيد للعبور . وقد وصف وزير الدفاع الأمريكي هذه العملية بقوله :

« إن عبور القوات المصرية لقناة السويس ، واقتحامها لخط بارليف هو علامة بارزة في الحرب الحديثة سوف تغير الاستراتيجية العسكرية »

.....
.....

وفي البحر :

منذ اللحظات الأولى كان للبحرية المصرية دورها ، فقامت القطع البحرية العاملة في البحر المتوسط بمهمة مساندة عملية عبور القوات البرية العاملة في القطاع الشمالي ، وذلك بقصف الأهداف الإسرائيلية البعيدة عن مدى نيران مدفعية الميدان ، كلما شاركت القطع البحرية المتمركزة في البحر الأحمر بقصف الأهداف الإسرائيلية المنتشرة في مواجهة مدينة السويس وعلى الشريط الساحلي الجنوبي لشبه جزيرة سيناء . وشاركت في القصف أيضاً مدفعية السواحل البعيدة المدى الراسية على مدخل القناة في بور سعيد . . وقد اشتركت في هذه العمليات (٥٠) قطعة بحرية من مدمرات ، وغواصات وزوارق حربية .

وقد كانت المهمة الأساسية للقوات البحرية المصرية هي الدفاع عن السواحل المصرية

وتأمين الموانئ وخطوط المواصلات وتأمين وصول الإمداد والمواد الاستراتيجية .
أما الشق الهجومى للمهمة فكان يتمثل فى قطع خطوط المواصلات البحرية الإسرائيلية
ومنع وصول الإمداد الاستراتيجى إلى موانئها سواء فى البحر الأبيض المتوسط (حيفا -
أشدود - يافا) أو فى البحر الأحمر (ميناء إيلات وشم الشيخ) وجميع مراسى
خليج السويس .

كذلك قامت بعض القطع البحرية المصرية بخطوة استراتيجية هامة وهى إغلاق
مضيق باب المندب فى وجه الملاحة الإسرائيلية والسيطرة على منافذه بالتعاون مع الجمهورية
العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .
ومن جهة أخرى قامت الغواصات بيبث الألغام على طول امتداد الساحل الغربى
لسيناء لمنع الإسرائيليين من نقل بترول أبو رديس والاستفادة منه فى المجهود الحربى .
وقد أجمع الخبراء على أن استخدام الألغام البحرية كانت مفاجأة وأسلوباً جديداً فى
الحرب بين مصر وإسرائيل .

اليوم الثانى ٧ / ١٠ / ١٩٧٣ .

استثمرت القوات المصرية نجاحها الهائل فى اقتحام قناة السويس والساتر الترابى
والسيطرة على معظم حصون خط بارليف ، فاندفعت مع صباح اليوم ٧ / ١٠ القوات
المدرعة والآلية عبر الجسور التى نجح سلاح المهندسين فى إقامتها على قناة السويس لتقيم
رؤوس جسور فى الضفة الشرقية .

مع انقضاء هذا اليوم وصل عدد القوات التى أتمت عبورها إلى الشرق (٨٠)
ألف جندي (خمس فرق ومعهم ٥٠٠ دبابة) وكان لسرعة ودقة العبور أثر كبير فى
إفشال محاولة الصمد الإسرائيلية ، كما أن المشاة من صائدى الدبابات ورجال الصاعقة
الذين انتشروا بسرعة البرق منذ ظهر الأمس فوق الرمال وأقاموا الحفر ، قد كبدوا بأسلحتهم
المضادة المدرعات الإسرائيلية التى تقدمت لمنع العبور وفك الحصار عن نقط خط بارليف
الحصينة خسائر فادحة وصلت إلى ١٥٠ دبابة . .

استمر تدفق القوات المصرية عبر الجسور . . وواصلت طائرات الهليكوبتر نقل
رجال الصاعقة وإنزالهم خلف الخطوط الإسرائيلية فى أعماق سيناء مستهدفة الطرق
الرئيسية والنقاط العسكرية الاستراتيجية لمنع تدفق التعزيزات والإمدادات للقوات

الإسرائيلية المشتبكة في القتال .

وفي الوقت نفسه واصلت القوات المصرية الرئيسية ضغطها على الإسرائيليين لمنعهم من إعادة تنظيم صفوفهم ، وشل قدرتهم على شن هجمات مضادة واسعة وإعطاء القوات العابرة على الجسور فرصة الالتحاق بوحداتها .

وكان للمدفعية المصرية دور بارز في تقديم الغطاء للقوات المتدفقة عبر الجسور ، وفي منع الإسرائيليين من الهجوم المضاد عليها .

وقد بذلت القوات المصرية جهوداً جبارة وتمكنت من دحر المدرعات الإسرائيلية بعد أن نجحت في إقامة رءوس الجسور ممهدة بذلك الطريق لعبور المزيد من القوات إلى الضفة الشرقية .

وأثناء عملية العبور كانت خسائر القوات المصرية قليلة إلى حد مذهل وكانت نسبة الإصابات بين الضباط تصل إلى ١٠٪ من المصابين والشهداء وهذا دليل على أن الضباط كانوا دائماً في طليعة جنودهم وليس خلفهم .

.....

وبالنسبة للطيران فقد قامت الطائرات المصرية الاعتراضية بالتنسيق مع الدفاع الجوي بالتصدي للطائرات الإسرائيلية ، كما قامت الطائرات المقاتلة والقاذفة بمساندة القوات البرية التي عبرت إلى الشرق ، وبقصف الأهداف العسكرية والمنشآت الحيوية في أعماق سيناء .

وقد دارت معارك جوية كبيرة مع الطيران الإسرائيلي أثبت فيها الطيارون المصريون مهارة وشجاعة كبيرتين .

.....

وفي البحر دارت معارك محدودة مع الزوارق الإسرائيلية في منطقة شمالى سيناء وفي خليج السويس ، وواصلت قطع الأسطول المصرى زرع شواطئ سيناء الغربية بالألغام وخاصة في المنطقة المحيطة بآبار النفط في « أبو رديس » لمنع الإسرائيليين من الاستفادة بنفط هذه الآبار .

كما قامت وحدات الأسطول المرابطة في البحر الأبيض بقصف المواقع والأهداف الإسرائيلية على الساحل الشمالى لسيناء ، وتقديم الدعم للقوات المصرية العاملة في القطاع الشمالى .

اليوم الثالث ٨ / ١٠ / ١٩٧٣ (يوم مجيد للقوات المصرية)

زاد الطيران الإسرائيلي من حجم غاراته على الجسور المقامة عبر القناة ، كما ركزت المدفعية الإسرائيلية قصفها الكثيف على الجسور للتأثير على استمرار عملية العبور ولتفتيت تماسك القوات التي تمركزت على الضفة الشرقية . وفي نفس الوقت دفعت القيادة الإسرائيلية بلواءين مدرعين يزيد عدد دباباتها على مائتي دبابة للقيام بهجوم مضاد واسع بهدف إرغام القوات المصرية على إيقاف زحفها والتراجع عن مواقعها في الشرق . وبذلك تصل المدرعات الإسرائيلية بأى ثمن إلى القناة .

أما القوات المصرية فقد استخدمت مدرعاتها استخداماً ذكياً وجزئياً ، وكان التنسيق بين المدرعات والمشاة من صائدى الدبابات كاملاً ودقيقاً فأطبقت الفذائف والصواريخ على المدرعات الإسرائيلية الضخمة . . ودارت معركة طويلة وعنيفة .. خسرت فيها إسرائيل ١١٢ دبابة وفرت بقية دباباتها إلى الشرق .

وبذلك استكملت القوات المصرية فرض سيطرتها الكاملة والقوية على خط المواجهة شرق القناة من بورسعيد شمالاً إلى بور توفيق جنوباً .

وقد انتهت اليوم أيضاً معركة تحرير مدينة القنطرة شرق ، فأكملت القوات المصرية من المشاة والصاعقة استرداد المدينة (التي ظلت تحت السيطرة الإسرائيلية ست سنوات وبضعة شهور) وقد تكبدت القوات الإسرائيلية في هذه المعركة التي دمرت فيها تماماً خسائر ضخمة للغاية .

وفي نفس هذا اليوم دخلت قوات الصاعقة التي تم إبرارها خلف خطوط العدو في معارك عديدة خاصة في شرم الشيخ وأبو رديس ، وبالرغم من عدم التكافؤ الكمي والنوعي ، حيث كان الصاعقة المصريون يحاربون مترجلين ودون مساعدة جوية أو مدرعة بينما كانت القوات الإسرائيلية التي تشتبك معهم تستخدم الدبابات وطائرات الهليكوبتر والطائرات القاذفة المقاتلة . فإن هؤلاء الرجال - برغم وقوع خسائر بينهم - قد حققوا الكثير من مهامهم وبثوا الخوف بين القوات الإسرائيلية . . حتى في مقر قيادة الجبهة

ذاتها كان القادة يجلسون متوجسين من ظهور الصاعقة المصريين في أى وقت .
بل إن جونين قائد الجبهة الإسرائيلية نصح ديان الذى حضر بطائرته هليكوبتر للاجتماع
بقيادة القوات فى سيناء ، نصحه بعدم التزول بالقرب من مقر القيادة . . خوفاً من رجال
الصاعقة المصريين

وفى الجو دارت معارك أخرى عنيفة وطويلة فوق منطقة القناة وفوق منطقة الدلتا ،
وقد لعبت الصواريخ المصرية دوراً بارزاً مع الطائرات الاعتراضية فى منع الطيران الإسرائيلى
من تحقيق أهدافه ، وانسحابه من المعركة وقد تكبد خسائر كبيرة .
.....

وفى البحر حاولت زوارق الصواريخ الإسرائيلية مهاجمة الأهداف الحيوية على الساحل
المصرى بين « دمياط » « والبرلس » وتصدت لها القطع البحرية المصرية . . وبالرغم من
أن الزوارق الإسرائيلية لم تكن تعمل وحدها حيث كانت تساندها ست طائرات هليكوبتر
مسلحة بالصواريخ الموجهة جو - سطح مما لم يتيح للقطع المصرية فرصة المناورة ، وأعطى
فى نفس الوقت حماية للزوارق الإسرائيلية ، فإن المعركة الرهيبة انتهت دون أن تحقق
البحرية الإسرائيلية هدفها .

هذا وتعتبر هذه المعركة هى الأولى من نوعها فى العالم حيث استخدم فيها الفريقان
المشتبكان الصواريخ الموجهة سطح - سطح بهذا الحجم والتكتيك .
.....

اليوم الرابع ٩ / ١٠ / ١٩٧٣ (يوم آخر من الأيام المجيدة للقوات المصرية)
لم تتوقف معركة الجسور . والمشاة من صائدى الدبابات يواصلون تدمير الدبابات
الإسرائيلية .

تابعت القوات المصرية التدفق عبر القناة بأعداد كبيرة .
دارت معارك طاحنة بين المدزعات المصرية والمدزعات الإسرائيلية .
ركزت القيادة المصرية هجماتها للسيطرة على الطرق المؤدية إلى قلب سيناء فى
القطاع الشمالى وجه الجيش الثانى جهده إلى محورين :

١ - طريق القنطرة شرق - العريش .

٢ - طريق الإسماعيلية - جفجافة .

وفي القطاع الجنوبي وجه الجيش الثالث جهده في محورين أيضاً هما :

١ - طريق السويس - صدر العيطان - نخل مع ما يتفرغ منه من محاور ثانوية .

٢ - الطريق المؤدى إلى أبو رديس - الطور - شرم الشيخ .

في نفس الوقت ركزت القوات الإسرائيلية جهودها في محاولة صد القوات المصرية واستعادة سيطرتها على الضفة الشرقية للقناة ، وإعادة محاولة الاختراق والوصول إلى غرب القناة . وكان لشدة تركيز القوات الإسرائيلية على هذه الأهداف ، أنها استخدمت في هجومها ثلاثة ألوية مدرعة ، وثلاث كتائب دبابات بالإضافة إلى عشرات الدبابات المتبقية من القوات التي قامت بهجمات في الأيام الأولى ، وانسحبت بعد فشلها .

نجحت قوات الفرقة الثانية مشاة بقيادة العميد حسن أبو سعدة بالتعاون مع قوة مدرعات وبعض قوات الفرقة ١٨ مشاة ، في صد وتدمير جميع هجمات المدرعات الإسرائيلية التي قام بها لواءان مدرعان كاملان وقد تم تدمير لواء بأكمله هو اللواء ١٩٠ ، كما تم أسر العقيد عساف يا جورى . أما اللواء الآخر فقد تكبد أيضاً خسائر فادحة في المدرعات والأفراد ، وسارعت بقاياها بالفرار شرقاً .

- وفي القطاع الجنوبي استولت قوات الجيش الثالث على نقطة هامة في منطقة

عيون موسى ، كما أسرت أعداداً من القوات الإسرائيلية واستولت على بطاريتي مدفعية عيار ١٥٥ مم سليميتين تماماً تركهما أطقمهما وقوات الحراسة في محاولة للهروب .

- وقد واصلت القوات المصرية هجماتها وتمكنت من الاندفاع شرقاً والتوغل إلى عمق

يتراوح ما بين ١٠ - ١٢ كم شرق القناة . . وكان تشكيل القوات كالتالى :

١ - رأس جسر الجيش الميداني الثاني : يتكون من الفرقة المشاة (١٦) بقيادة

العميد عبد رب النبي حافظ ، والفرقة المشاة (٢) بقيادة العميد حسن أبو سعدة والفرقة المشاة (١٨) بقيادة العميد فؤاد عزيز غالى .

٢ - رأس جسر الجيش الميداني الثالث : يتكون من فرقة المشاة (١٩) بقيادة

العميد يوسف عفيفي ، وفرقة المشاة (٧) بقيادة العميد أحمد بدوى .

- وذلك بالإضافة إلى الفرقة الخامسة مشاة التي تقوم بالسيطرة على طرق الاقتراب

إلى رؤوس الجسور .

.....
.....

في نفس الوقت . . أحكمت قوات الصاعقة الحصار على حصون ومواقع خط بارليف التي لم تسقط بعد ، وواصلت ضرب محاولات المدرعات الإسرائيلية للوصول إلى هذه الحصون لنجدتها .

وفي نفس الوقت أيضاً نشطت وحدات الصاعقة خلف خطوط العدو خاصة في مناطق شرم الشيخ وبلاعيم وأبو رديس ورأس سدر والمناطق المحيطة بالممرات الاستراتيجية ، وكان لكثرة وعنق تحركات هذه القوات أثر في مضاعفة قلق القوات الإسرائيلية حتى أنها استنفدت طاقة وجهد أعداد من طائراتها المقاتلة والقاذفة والهلوكبتر وأيضاً مدرعاتها ، ومظلييها في محاولة تعقب هذه الوحدات ، والتصدي لها .

.....

وفي الجو . .

حاولت إسرائيل تعويض فشلها (في البر) فوجهت أعداداً كبيرة من طائراتها في هجمات جوية في عمق الأراضي المصرية ، عززتها بأعمال بحرية ليلية . . ولم تفلح هذه الهجمات في تدمير أهم الأهداف المحددة وهي مطار المنصورة ومطار القطامية . . بينما تكبدت الطائرات الإسرائيلية خسائر كبيرة نتيجة لتصدي الطائرات الاعتراضية المصرية ، وبطاريات الصواريخ سام .

.....

وفي البحر . .

تصدت قطع الأسطول لزوارق الصواريخ الإسرائيلية عند المنطقة من دمياط إلى البرلس ، وتم صد هذه الزوارق وإغراق بعضها . وفي نفس الوقت هاجمت الزوارق المصرية آبار النفط في بلاعيم وأبو رديس .

.....

.....

اليوم الخامس : ١٠ / ١٠ / ١٩٧٣

قضت القوات المدرعة الإسرائيلية ليلة أمس تعلق جراحها وتلملم صفوفها ، ثم تم دعمها بقوات جديدة من احتياطي الجيش . . ومع بزوغ الفجر كررت هذه القوات

محاولتها لدفع القوات المصرية خاصة العاملة في مواجهة البحيرات المرة وبحيرة التمساح إلى الخلف . .

ولكن القوات المصرية تصدت لها ، بل جعلتها تنسحب من مواقعها الأصلية عدة كيلومترات باتجاه الممرات .

.....

هذا وقد فشلت الطائرات الإسرائيلية في تحقيق أهدافها من الغارات الكثيفة على منطقة الدلتا، وتم إصلاح الإصابات البسيطة التي تعرض لها أحد المطارات . . ، وقد دفعت إسرائيل عن هذه الغارات فادحاً ، من طائراتها وطيارينها .

.....

وفي نفس الوقت واصلت القوات المصرية تدفقها إلى الضفة الشرقية وإقامة التحصينات الضرورية لصد المدرعات الإسرائيلية ، كما واصلت توسيع المنطقة التي سيطرت عليها . فتقدمت القوات الضاربة شرقاً على الطرق الرئيسية الثلاثة في سيناء ، ووصلت في بعض المناطق إلى مسافة عمقها ١٥ كيلو متراً .

.. وقد حققت الطائرات المصرية نجاحاً جديداً في تحقيق مهامها وصد الطائرات الإسرائيلية بالتنسيق مع بطاريات الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات .

.. وفي البحر نشبت معركة بحرية كبيرة في خليج السويس وقد تم تدمير وإغراق عدد من الزوارق الصاروخية الإسرائيلية ، ووقعت بعض الخسائر في القطع البحرية المصرية .

.....

.....

تم أسر المزيد من الضباط والجنود الإسرائيليين ، وقد أجريت مقابلات تليفزيونية مع بعضهم ، وكان ظهورهم على شاشة التليفزيون المصري ضربة قاصمة للإعلام والمعنويات في إسرائيل

.....

.....

ضربة أخرى تلقتها إسرائيل اليوم . . فقد تمكنت القوات المصرية من تدمير بعض المصفحات والدبابات ، ونجحت في ضرب مصفحة قيادة ، كان بها الجنرال إبراهيم مندler قائد القوات المدرعة الإسرائيلية في سيناء . . وقد قتل هو ومن معه في المصفحة .

اليوم السادس : ١١ / ١٠ / ١٩٧٣

قامت القوات المصرية العاملة في القطاع الشمالى بصد هجوم إسرائيلى حاولت قوته الالتفاف حول الوحدات المصرية التى كانت تحاصر حصناً في شمال مدينة القنطرة ، فتراجعت القوة المصرية في خطوة تكتيكية ثم اندفعت في ملاحقة القوة الإسرائيلىة التى حاولت الانسحاب إلى الخلف .

وفي نفس الوقت واصلت القوات المصرية الرئيسية في هذا القطاع ضغطها على القوات الإسرائيلىة ودفعها شرقاً .

أما في القطاع الأوسط فقد دارت معارك كبيرة بين الدبابات المصرية والإسرائيلىة وفشلت المدرعات الإسرائيلىة في الوصول إلى القناة . . وتكبدت خسائر كبيرة في المعدات والأفراد .

وقد ظلت القوات المصرية المدرعة في اقتربها الشديد من المدرعات الإسرائيلىة مما حرم هذه المدرعات من حرية المناورة ومنعها من لم تشمل قواتها المتراجعة باتجاه الممرات ، كما أن ذلك أتاح الفرصة للقوات المصرية لكي توجه ضربات متلاحقة للقوات الإسرائيلىة المنسحبة لمنعها من التقاط أنفاسها أو اتخاذ مواقع دفاعية سريعة تكون بديلة للمواقع التى انسحبت منها .

وكذلك نجحت هذه الخطة في تحييد الطيران الإسرائيلى الذى استحال عليه توجيه ضرباته للقوات المصرية نظراً لا قترابها الشديد بل وتداخلها مع قواتهم المدرعة .

ومن جهة أخرى تقدمت قوات الجيش الثالث شرقاً باتجاه ممر متلا وجنوباً باتجاه رأس سدر ، وقد حققت جزءاً من أهدافها ، نظراً لمقاومة المدرعات والطائرات الإسرائيلىة .

.....
.....

وفي الجو . .

هاجمت الطائرات المصرية ميج ١٧ وسوخوى ٧ تجمعات المدرعات والمدفعية الإسرائيلىة في سيناء وكبدتها خسائر جسيمة ، وللمرة الثانية قامت الطائرات المصرية بمهاجمة آبار أبو رديس وقد أصيبت المباني وقتل وأصيب عدد من الإسرائيليين . وفي

نفس الوقت قامت القاذفات الثقيلة بضرب القوات الإسرائيلية على ساحل البحر الأبيض ،
وبالذات في بالوظة .

اليوم السابع ١٢ / ١٠ / ١٩٧٣

حققت القوات المصرية العاملة في القطاع الأوسط نجاحاً ملحوظاً بهجومها العنيف
على القوات المدرعة الإسرائيلية التي كانت في هذا القطاع والتي تعد أفضل التشكيلات
القتالية الإسرائيلية . وقد تمكنت القوات المصرية من دفع القوات المعادية إلى الخلف
وإجبارها على الانسحاب من نقطة المثلثات رقم (١٠٠) التي تبعد ١٤ كيلو متراً شرق
القناة ، وتعتبر من أكبر وأهم المواقع الإسرائيلية الدفاعية الموجودة في هذا القطاع إذ كانت
ترابط فيها قوات مدرعة ، ومشاة ميكانيكية ، ومدفعية ذاتية الحركة ومدفعية مضادة
للطائرات . وبعد معركة عنيفة اشتركت فيها أعداد كبيرة من المدرعات . . تقهقرت القوات
الإسرائيلية . . واحتلت القوات المصرية هذه النقطة الهامة جداً ، وعندما قام الإسرائيليون
بهجوم مضاد لاستردادها مستخدمين الطائرات والمدرعات ، تكفلت المدافع المضادة
للطائرات بإجبار الطائرات الإسرائيلية على الخروج من المعركة ، وتكفلت الألغام وصواريخ
الأفراد المشاة وبعض الدبابات من تدمير وقهر المدرعات الإسرائيلية ولم تفلح القوات
المعادية في استعادة الموقع ، أو حتى إخلاء الجرحى الذين استسلموا للأسر بعد ذلك .
. . وقد استخدمت القوات المصرية في هذه المعركة عدة تكتيكات بارعة في
قتال الدبابات في الصحراء ، حيث استخدمت أسلوب الدفاع الهجومي ، واستدراج
الدبابات الإسرائيلية إلى كمائن متعددة ومتنوعة اشترك فيها الأفراد المشاة (صائدو
الدبابات) ، كما اشتركت فيها المدرعات أيضاً .

وفي القطاع الشمالي حيث كفة الجيش الثاني هي الراجحة منذ بداية الحرب قامت
القوات بضرب المدرعات الإسرائيلية التي عاودت محاولة فك الحصار المضروب حول
أحد الحصون شمال القنطرة ، وقد بدأت القوات العاملة في هذا القطاع الإعداد لهجوم
واسع بهدف تحرير المزيد من الأرض .

— أما قوات الجيش الثالث ، فقد نجحت في الضغط على القوات الإسرائيلية
المواجهة لها ، وقامت بتوسيع رقعة الأرض التي احتلتها .

.....

- استسلمت اليوم القوة الإسرائيلية التي كانت متمركزة في حصن لسان بور توفيق بعد ضغط الحصار المصري عليها وفشل جميع محاولات الإنقاذ براً وجواً وبحراً وقد حضر مندوب الصليب الأحمر وعدد من المراسلين العرب والأجانب عملية استسلام هذه القوة التي بلغ عددها ٣٦ فرداً وقد ظهروا على شاشة التلفزيون المصري ، وأرسلت نسخ من الفيلم الذي سجل مشهد استسلامهم إلى مختلف تليفزيونات العالم .

.....

- وفي الجو . . دارت معارك جوية في سماء بور سعيد والمنطقة المحيطة بها ، وقد أجبرت الطائرات الإسرائيلية على الانسحاب دون تحقيق مهامها بعد أن اشتبكت معها الطائرات المصرية في معارك عنيفة ، كما أن الطائرات المصرية ساعدت القوات البرية بتوجيه غارات متلاحقة على القوات الإسرائيلية المدرعة .

- وفي البحر تصدت القطع البحرية المصرية للزوارق الإسرائيلية المسلحة التي حاولت مهاجمة منشآت ميناء الزعفرانة ، وقد دمرت لها زورقاً وأصابت آخر . وفقدت البحرية المصرية زورقاً أصيب وتم انتشال أفراده .

.....

وفي أعماق العدو وخلف خطوطه ، وجهت وحدات الصاعقة عدة ضربات لمواقع ومدركات العدو . . وقد اشتركت جميع أسلحة العدو في البحث عن أفراد هذه الوحدات التي تسبب إزعاجاً دائماً لمؤخرة العدو .

.....

.....

.....

اليوم الثامن ١٣ / ١٠ / ١٩٧٣

شنت وحدات من الفرقة (٢١) التي انتقلت من الضفة الغربية إلى سيناء هجوماً قوياً تساندها فيه فرقة مشاة ميكانيكية . وقد دارت المعركة مع قوات شارون في القطاع الأوسط وكان الهدف هو السيطرة على الطريق الرئيسي المؤدى إلى ممر الجدى . ورغم ظهور الأسلحة والمعدات الأمريكية الجديدة التي تدفقت على إسرائيل ، فإن القوات المصرية دفعت القوات الإسرائيلية المدرعة إلى الخلف بضعة كيلو مترات ، ولكن المعركة

كانت من أعنف وأشرس المعارك وتكبد فيها الطرفان خسائر كبيرة ، وقد قال الجنرال شارون بعد هذه المعركة « لقد حضرت معارك كثيرة لكننى لم أشهد فى حياتى أعنف من هذه المعركة . . »

وبالنسبة للقطاعين الشمالى والجنوبى ظل الوضع على حاله باستثناء بعض الهجمات المحددة التى قام بها الجيش الثالث لتوسيع رقعة أرضه ، والتراشق بالمدفعية بين قوات الجيش الثانى والقوات الإسرائيلية المواجهة لها .

وفى الجو . . .

تكبد السلاح الجوى الإسرائيلى المزيد من الخسائر برغم هجومه المكثف لمساعدة القوات البرية إلا أن بطاريات الصواريخ والمدفعية المصرية المضادة ، بالتنسيق مع الطائرات الاعتراضية قد أفشلت هذا الهجوم .

وفى البحر . .

تصدت الزوارق المصرية والبطاريات الساحلية المدفعية والصاروخية لهجوم الزوارق الإسرائيلية المسلحة على المواقع العسكرية الواقعة على الشاطئ بالقرب من دمياط ، وقد انسحبت هذه الزوارق دون أن تتمكن من تنفيذ مهامها . وقد تم إغراق عدد من هذه الزوارق .

تغيير فى القيادات :

تولى اليوم اللواء عبد المنعم خليل قيادة الجيش الثانى الميدانى بدلا من اللواء سعد مأمون الذى أصيب بمرض مفاجئ .

عمل أمريكي خطير :

قامت ظهر هذا اليوم طائرتا تجسس أمريكيتان من طراز إس . آر . ٧١ - باختراق المجال الجوي المصري - بسرعة تزيد على ثلاثة أضعاف سرعة الصوت - وقد التقطت هاتان الطائرتان الاستطلاعيتان الحديثتان جداً صوراً لمواقعنا غرب القناة وشرقها . والمؤكد أنها ستقدمها إلى إسرائيل .

اليوم التاسع : ١٤ / ١٠ / ١٩٧٣

شنت القوات المصرية اليوم هجوماً كبيراً للغاية ، فتقدمت وحدات الجيش الثاني باتجاه الشرق على الطريق الاستراتيجي الشمالي ، وطاردت بعض مدرعات ودبابات العدو التي حاولت الوصول مرة أخرى إلى منطقة المثلث لاستعادتها . ثم بدأت وحدات الجيش هجومها على الواجهة المقابلة لمدينة الإسماعيلية حيث دارت معارك ضخمة بالدبابات ، وقد فشلت القوات الإسرائيلية في صد هذا الهجوم ، وأجبرت على التراجع .

. . . ومن جهة أخرى قامت وحدات الجيش الثالث بهجوم واسع على محورين

رئيسيين :

الأول : باتجاه الشرق .

والثاني : باتجاه الجنوب .

وقد بدأ الهجوم بقصف مدفعي عنيف للمواقع والدبابات الإسرائيلية مع طلوع الفجر .

هذا وقد اكتفت وحدات الجيش بتقدم محدود على المحورين ، وتوقفت في عملية

إعادة تنظيم

.....

وفي الجو : شاركت الطائرات المصرية القاذفة المقاتلة في ضرب حشود المدرعات الإسرائيلية وخطوط المواصلات والمواقع الاستراتيجية في العمق ، بالإضافة إلى الأهداف العسكرية الأخرى .

.....

. . . وقد قامت الطائرات بهجوم جديد على مطاريق في شرق ممر الجدي ونجح الهجوم

في تدمير أجهزة الاتصال الهامة ، مما سبب ارتباكاً ملحوظاً بين الوحدات الإسرائيلية . . . ومن جهة أخرى كان العدو قد نقل معظم جهوده إلى الجبهة المصرية ، فخفف الضغط على الجبهة السورية إلى حد كبير جداً وركز هو نشاط سلاحه الجوي ضد وحدات الجيش الثاني والثالث في هجومها على المدرعات الإسرائيلية ، كما حاول ضرب الجسور وطرق المواصلات ، والمطارات (خاصة مطارات « الصالحية والمنصورة وطنطا ») وقد دارت معركة جوية كبيرة فوق شمال الدلتا ، تم فيها إسقاط عدد من الطائرات المهاجمة ، كما دارت معركة أخرى فوق بورسعيد التي قذفتها الطائرات الإسرائيلية فقتلت وأصابت أكثر من ٥٠٠ مدني ودمرت عدداً من المنازل . . وسقط من هذه الطائرات المهاجمة عدد كبير ، وسارع الباقي بالفرار شرقاً .

هذا وقد لوحظ مرة أخرى أن الطائرات الإسرائيلية قد زودت بتجهيزات جديدة ، واعترف بعض الطيارين الأسرى بالإمدادات الأمريكية الضخمة ، وبوجود خبراء أمريكيين .

كما أنه - في البر - تم أسر بعض الدبابات (م ٦٠) التي أشارت عداداتها الأمريكية إلى أنها جديدة تماماً ولم تقطع مسافة أكثر من العريش (حيث تنزل الإمدادات الأمريكية) إلى خطوط القتال في الجبهة .

اليوم العاشر : ١٥/١٠/١٩٧٣

بعد أن حقق هجوم الأسمس على طول خط الجبهة بعض أهدافه المحددة ، واصلت القوات المصرية تعزيز مواقعها وإقامة الاستحكامات ، وفي نفس الوقت دارت معارك متفرقة في مختلف القطاعات .

وفي هذا اليوم قامت قوة من الصاعقة بعمل كمين كبير لقوة من مدرعات العدو كانت تحاول الوصول إلى حصن محاصريقع على الساحل الغربي لسيناء ، وقد نجح الكمين بصورة أزعجت العدو تماماً وكبدته خسائر فادحة ، جعلته يستنجد بطائراته ويقوات مدرعة جديدة ، لكن قوة الصاعقة انتقلت بمجرد تنفيذ مهمتها الأساسية إلى موقع آخر لتبدأ منه انطلاقة أخرى .

. . وقد هاجمت الطائرات المصرية رتل دبابات إسرائيلية كان يتقدم على الطريق

الرئيسى فى القطاع الشمالى من سيناء ، وأنزلت فى صفوفه خسائر كبيرة فى المعدات والأرواح .
وتصدت الطائرات والصواريخ المصرية لغارات الطائرات الإسرائيلية التى استهدفت
مطارى (طنطا والقطنية) وبعض المواقع العسكرية على ضفتى القناة .

. . وفى الساعة الخامسة تصدت القوات العاملة فى القطاع الشمالى للواء مدرع
إسرائيلى (كان بداية لهجوم واسع) ، وبعد معركة عنيفة انسحبت الدبابات الإسرائيلية
تاركة وراءها دبابات محترقة وأفراداً قتلى ومصابين .

. . وقد تصدت القوات العاملة فى القطاع الأوسط - فى نفس الوقت - للواءين
مدرعين إسرائيليين مدعين بكتائب مدفعية ومشاة ميكانيكية وقوات مظلية ، وقد تعرض
اللواء الذى تحرك شمال هذا القطاع لهجوم من وحدة مصرية مدرعة كانت تأخذ مواقعها فى
قرية الجلاء أو المزرعة الصينية كما أطلق عليها الإسرائيليون وهى المنطقة الواقعة إلى الشمال
قليلاً من البحيرات المرة ، وتكبد هذا اللواء خسائر كبيرة فى الدبابات والأفراد ، واستنجد
قائده بقيادة المجموعة القتالية التابع لها لتعزيزه بدبابات جديدة ، وبالطائرات أيضاً .

وقد تحركت إلى جانب هذه القوات الإسرائيلية ، مجموعة أخرى مؤلفة من لواء
مدرع ولواء مظليين مع كتائب من سلاح المهندسين وكان يقود هذه القوة الجنرال (آدن)
الذى استغاث بقيادته طالباً الدعم الجوى ، والإمداد بالمدركات والمظليين ، حين تصدت
له قوة مصرية فى معركة استغرقت أكثر من يومين (بالتحديد (٤٠) ساعة) وكبدته هذه
القوة خسائر فادحة تشتت على أثرها مدرعاته . . وحاولت فلول اللواء المظليين الهروب إلى
أى مكان لكن الكمانن المصرية ظلت تلاحقها وتكبدها الخسائر المتتالية .

اليوم الحادى عشر : ١٦/١٠/١٩٧٣

تمكنت بضع دبابات إسرائيلية من العبور إلى غرب القناة ، وواصلت القوات المصرية
ضرب المدرعات الإسرائيلية التى تحاول إقامة رأس جسر فى الضفة الشرقية منذ أكثر
من يومين .

ومنذ الفجر قامت الطائرات المصرية - بجميع أنواعها - بغارات كثيفة وبالغة العنف
ضد قوات الثغرة على الضفتين ، ودمرت الجسور والمعابر التى تحاول إقامتها شمالى البحيرات .
وقد تمكنت القوات المصرية من إيقاف القوات الإسرائيلية فى الشرق عن تدعيم
القوة التى تسللت إلى الغرب ، وطلب قائد تلك القوات « الجنرال آدن » تدعياً جديداً

فدفعت إليه قيادته بلواء آخرون من المدرعات . . وظل القتال شرساً وضارياً .
ومن جهة أخرى بدأت قوات الصاعقة في مقاومة القوة الإسرائيلية في غرب القناة
وألحقت بها خسائر عديدة .

. . ولكن نظراً للإمدادات الأمريكية الضخمة والمتواصلة بمختلف الأسلحة والمعدات
واستخدام إسرائيل لأعداد كبيرة من المرتزقة والمتطوعين ونظراً لبعض أخطاء لقيادات مصرية
محلية صغيرة تمثلت في تأخر الإبلاغ عن حجم التسلسل للقيادة العامة . . مضافاً إلى
ذلك عمليات الاستطلاع الأمريكية بالطائرات وأقمار التجسس (بييج بيرد Big Bird)
التي أعطت لإسرائيل صوراً دقيقة للفواصل بين الجيش الثالث والثاني واخلو تلك المنطقة
في غرب القناة بعد تحرك الفرقة ٢١ المدرعة والفرقة ٤ مدرعة إلى الشرق . .

. . لذلك كله استطاعت إسرائيل تدعيم قواتها في الغرب إلا أن القوات المصرية
واصلت شن هجماتها العنيفة برأ وجواً على هذه القوات وعلى رأس الجسر في الضفة
الشرقية ، وأفادت التقارير الموثوق بها أن حجم الخسائر الإسرائيلية قد بلغ حداً كبيراً
جداً اهتزت معه قيادة جيش الدفاع .

حتى أنه تم التقاط اتصال لاسلكي بين القيادة ، والجنرال شارون قائد الثغرة
تطلب إليه العودة إلى الشرق وإنهاء العملية لفداحة الخسائر وضآلة احتمالات تحقيقها
لأهدافها ، وبالرغم من اعتراف شارون بالمصاعب الرهيبة التي تلقاها قواته فإنه لم يستقر
الأمر بشكل محدد على الانسحاب شرقاً .

اليوم الثاني عشر : ١٧/١٠/١٩٧٣

واصلت الطائرات المصرية بمختلف أنواعها الغارات على قوات الثغرة الإسرائيلية
وقد شنت القاذفات الاستراتيجية الثقيلة (تي يو - ١٦) طول ليلة أمس وحتى صباح
اليوم سلسلة من الهجمات العنيفة على الجسور وأماكن تواجد هذه القوات الإسرائيلية ،
كما واصلت القاذفات المقاتلة طوال اليوم غاراتها بكثافة وتركيز هائلين على الوحدات
والمدرعات التي تمكنت من إقامة رأس الجسر في الضفة الغربية ، وفي نفس الوقت تصدت
الطائرات المقاتلة للطائرات الإسرائيلية في معارك طويلة وعنيفة لئلا تمنعها من شن هجماتها
على قواعد الصواريخ .

وقد اضطر شارون نتيجة لتزايد الخسائر إلى وقف تقدمه ، والإسراع بتعزيز مواقع قواته .

هذا وقد قامت المدفعية المصرية بدور هام ومؤثر في قصف الجسور وقوات الثغرة وتحديد حركتها وتكبيدها خسائر متزايدة ، كما أن رجال الصاعقة ظلوا يطاردون المدرعات الإسرائيلية ويحولون بينها وبين الانتشار جنوباً أو شمالاً . وقد بلغ من عنف الضربات التي وجهتها القوات المصرية إلى قوات الثغرة أن القيادة الإسرائيلية أجلت عبور القوات المدرعة التي يقودها الجنرال (آدن) حتى يتضح الموقف .

اليوم الثالث عشر : ١٨/١٠/١٩٧٣

لم تنجح قوات الثغرة - برغم التعزيزات الليلية - في الأمتداد شمالاً وواصلت القوات المصرية قصف الجسور والقوات المتسللة جواً وبراً ، كما أن وحدات الصاعقة جعلتها في وضع يصعب معه تثبيت أقدامها .

. وعلى الضفة الشرقية دارت معارك بالدبابات لم تصل إلى عنفها أية معارك سابقة منذ الحرب العالمية الثانية . وقد كانت القوات المصرية على وشك إغلاق الثغرة في الشرق وبالتالي إكمال الحصار وتضييق الخناق على القوة الموجودة غرب القناة (لم يعد يفصل بين قوات الجيش الثاني والثالث سوى أربعة كيلومترات فقط) ولم يخف الضغط المصرى على المدرعات الإسرائيلية في الشرق إلا بعد دخول الطائرات الإسرائيلية وبأعداد كثيفة للغاية ، وكان المرتزقة والمتطوعون الأجانب من الطيارين يشكلون نسبة كبيرة في هذه الغارات .

اليوم الرابع عشر : ١٩/١٠/١٩٧٣

قامت القوات المصرية اليوم بضغط عنيف على قوات الثغرة الإسرائيلية وكبدتها خسائر كبيرة ، حتى أنها طلبت تعزيزات جديدة وبالتالي وصل حجم القوة إلى ١٥,٠٠٠ جندي ، وأربعمئة دبابة ، وقد أعطى هذا التكتيف في حجم القوة الإسرائيلية إمكانية تركيز الضربات الموجهة إليها .

وقد قامت الطائرات المصرية بغارات كثيفة عليها وبدون انقطاع واشتبكت مجموعات منها مع الطائرات الإسرائيلية في معركة طويلة فوق منطقة « البحيرات المرة » و « الدفسوار »

ووقع اشتباك جوي آخر فوق نفس المنطقة بعد الظهر .

وفي الضفة الشرقية وجهت المدرعات المصرية ضربات عنيفة للقوات الإسرائيلية في رأس الجسر ، وكان أعنف الاشتباكات تلك التي وقعت في منطقة قرية الجلاء على الضفة الشرقية للقناة إلى الشمال من البحيرات المرة .

وفي البحر . . . دارت معركتان مع الزوارق والوحدات البحرية الإسرائيلية عند رأس غارب والغردقة ، ووقعت معارك أخرى عند دمياط . . . وقد اتسمت هذه المعارك كلها بالعنف الشديد وتم تدمير وإصابة عدد من وحدات العدو ، وكانت خسائر البحرية المصرية طفيفة بالمقارنة بخسائر العدو .

اليوم الخامس عشر : ١٩٧٣/١٠/٢٠

زادت حدة وعنف حرب الدبابات الدائرة في القطاع الأوسط من سيناء ، وبلغ عدد الدبابات المشتركة في المعارك من الطرفين أكثر من ألف دبابة . وقد استمرت هذه الحرب الشرسة منذ الصباح ، وتغيرت بدايات مراحلها المتواصلة ، فمنذ الفجر شنت القوات المصرية هجمات عنيفة من الشمال باتجاه البحيرات المرة في محاولة لإغلاق الثغرة وقد بلغ من عنف هذه الهجمات أن الدبابات المصرية والإسرائيلية اقتربت من بعضها البعض وكأنها على وشك الالتحام بدروعها وحتى أنها كانت تقف وجهاً لوجه ولا يفصل بينها إلا مسافة قصيرة تكاد تقل أحياناً عن مترين أو ثلاثة أمتار . . . وقد زاد من خسائر المدرعات الإسرائيلية في هذه المعارك بصورة مذهلة أن رجال الصاعقة المصريين اندفعوا مع الدبابات المصرية وبمجرد اشتعال أرض المعركة انتشروا هم في سرعة وجرأة انتحارية بين الدبابات الإسرائيلية ودمروا الكثير منها بالقنابل المضادة للدبابات أو بالصواريخ والآر. بي . جي حين تسمح المسافات بذلك وقد استخدم هؤلاء المقاتلون من الصاعقة السلاح الأبيض في التحامهم بأطقم الدبابات الذين حاولوا الفرار بعد ضربها .

ومن جهة أخرى قامت قوات الجيش الثالث بصد المدرعات الإسرائيلية التي حاولت توسيع رأس الجسر جنوباً ، وأرغمتها على التراجع والانسحاب .
وفي الجو . . شن سلاح الجو المصري هجمات متواصلة على المدرعات الإسرائيلية والنقاط الهامة التي تركز فيها الإسرائيليون ، كما تصدى للطائرات الإسرائيلية التي حاولت طوال اليوم أن تضرب طرق مواصلات القوات المصرية في الغرب لمنع تدفق الوحدات إلى ساحات القتال ، وللحيلولة بينها وبين ضرب قواعد الدفاع الجوي التي تصدت لها هي الأخرى ، كما أن أسراباً أخرى من الطائرات المصرية واصلت هجماتها على الثغرة .
وفي غرب القناة . . ظلت المعارك محتدمة في عنف بالغ ، واستمرت الوحدات المصرية في تقدمها باتجاه « الدفرسوار » والبحيرات المرة لتضييق الخناق على قوات الثغرة ، وكان دور المدفعية ورجال الصاعقة بارزاً ومؤثراً إلى أقصى حد على هذه القوات التي بدأت تعاني من عنف الهجمات ، وضعف الإمداد، حيث تعرضت أرتال المدرعات التي حاولت الوصول من الشرق لتدعيمها إلى هجمات مستمرة . وقد استخدم عدد من المعلقين العسكريين مصطلح « المصيدة » (في وصفهم لموقف القوة الإسرائيلية في الثغرة التي أحاطت بها القوات المصرية من معظم الجوانب) .

اليوم السادس عشر : ٢١/١٠/١٩٧٣

مرة أخرى تصدت المدفعية والطائرات وقوات الصاعقة المصرية للمدرعات الإسرائيلية التي حاولت الاتجاه نحو الإسماعيلية . . ووقفها تماماً بعد أن كبدها خسائر ضخمة .
وفي الاتجاه الجنوبي (اتجاه السويس) أحرزت القوات الإسرائيلية تقدماً بطيئاً جداً متكبدة خسائر متلاحقة نتيجة غارات الطائرات المصرية وقصف المدفعية المركز الكثيف وكان من الواضح أن إسرائيل لم تعد تقيم حساباً للخسائر التي تتكبدها في محاولة مستميتة لتطويق الجيش المصري الثالث حتى تكون ورقة في يدها تحاول استغلالها فيما بعد .

وفي البحر . . ألحقت القطع البحرية المصرية خسائر عديدة بالزوارق الإسرائيلية الصاروخية التي اقتربت من أبي قير في حماية الطائرات (كما هو أسلوب البحرية الإسرائيلية منذ بداية الحرب حيث أنها لم تخرج إلى أية معركة إلا تحت حماية من الطائرات . . بعكس البحرية المصرية التي لم تستنفد جهد السلاح الجوي المصري -

ولعلها - لهذا السبب آثرت أن تقوم بدور دفاعي عن الموانئ والسواحل أكثر من دورها الهجومى .

اليوم السابع عشر : ٢٢/١٠/١٩٧٣

مع طلوع الفجر كانت الوحدات المصرية من مدرعات وصاعقة تهاجم قوات الثغرة ، وتنجح فى استرداد بعض المواقع ، كما أن المدفعية المصرية لم تتوقف عن قصف مناطق الحشد والعبور الإسرائيلية كما وجهت ضرباتها لرأس الجسر فى شرق القناة . وفى الجو . شاركت الطائرات المصرية فى ضرب قوات الثغرة وتدعيم القوات البرية العاملة على ضفتى القناة . كما أنها بالتنسيق مع قواعد الدفاع الجوى تصدت للطائرات الإسرائيلية التى حاولت تدعيم قواتها جنوب الدفرسوار وقد أسقطت عدداً من هذه الطائرات .

هذا وقد استجابت الأطراف المتحاربة لقرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار فى السابعة من مساء اليوم .

وكانت صورة الموقف كالتالى :

القوات المصرية :

أقامت خمسة رموس جسور ، وحررت مساحة من الأراضى بلغت (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف كيلو متر مربع أى منطقة يبلغ طولها ١٦٠ كيلو متراً على محاذاة قناة السويس فى الشرق وإلى عمق يتراوح بين ١٦ و ١٩ كيلومتراً شرقاً .

القوات الإسرائيلية :

خسرت هذه المساحة الواسعة من الأراضى التى استعادتها القوات المصرية - وبالنسبة لمنطقة الثغرة - فكانت كالتالى :

١ - لم تستطع القوات الإسرائيلية بكل ألوان الدعم التى تلقتها أن تقيم سوى رأس جسر واحد .

٢ - لم تسيطر قواتها فى منطقة الدفرسوار إلا على مساحة امتدت (١٣) كم غرب القناة و ٤٠ كم على امتداد القناة وبذلك فإن وضعها عسكرياً حرج للغاية .

اليوم الثامن عشر : ١٩٧٣/١٠/٢٣

• هل أخطأت القوات المصرية حين احترمت قرار المجتمع الدولي بإيقاف إطلاق النار ؟

إن الواقع يقول : نعم حدث خطأ كبير من جانب القوات المصرية باحترامها لهذا القرار . . إذ أن الطرف المقابل - الجيش الإسرائيلي - لم يظهر طوال تاريخه ما يدل على احترامه للمجتمع الدولي وقراراته .

ولكن الخطأ وقع على أية حال . .

وكانت النتيجة أن القوات الإسرائيلية دفعت طوال ليلة أمس (بعد الساعة مساء « ساعة وقف إطلاق النار ») قوات كثيرة لتدعيم قواتها « المحصورة » في الثغرة غرب القناة .

وفي الوقت الذي هبت فيه الطائرات المصرية للتصدي لها كانت المدرعات الإسرائيلية تنهك هي الأخرى قرار وقف إطلاق النار وتتقدم جنوباً باتجاه الطريق الرئيسي المؤدى إلى القاهرة وباتجاه مدينة السويس . . ونجحت في قطع الطريق بين السويس والقاهرة والاتجاه نحو ميناء الأدبية والاقتراب من مشارف السويس . وقصف المدينة وقتل وإصابة عدد كبير من المدنيين .

أما القوات التي اتجهت نحو الإسماعيلية في محاولة أخرى للوصول إليها مستغلة هذه المرة انتهاك وقف إطلاق النار ، فقد تعرضت لمقاومة عنيفة ردتها على أعقابها وكبدتها خسائر باهظة .

- هذا وقد انعقد مجلس الأمن الليلة بناء على طلب مصر وأصدر قراره رقم ٣٣٩ مؤكداً ضرورة وقف إطلاق النار ، وانسحاب القوات إلى الخطوط التي كانت قد توقفت عندها في الساعة السابعة من مساء أمس ١٩٧٣/١٠/٢٢ .

.....

اليوم التاسع عشر : ١٩٧٣/١٠/٢٤

كان من البديهي أن إسرائيل لن تحترم القرار الدولي الجديد لسببين :

١ - أن عودة قواتها إلى حدود ١٩٧٣/١٠/٢٢ ، يعني عودتها إلى المصيدة والموقف

الخرج عسكرياً ، وسقوط الورقة التي سعت إليها وهي تطويق الجيش المصرى الثالث .
٢ - كانت إسرائيل ما زالت تخطط لاستغلال قرار وقف إطلاق النار باحتلال
مدينة السويس حتى يكتمل حصار الجيش الثالث وتستغل سقوط هذه المدينة الكبيرة
في أيدي قواتها .

.
. . وعليه فإنه مع بداية هذا اليوم ، استأنفت القوات الإسرائيلية خرقها لقرار وقف
إطلاق النار . . وتمكنت من الوصول إلى مشارف السويس وحينما اندفعت قواتها لتحتل
المدينة فوجئت بمقاومة مذهلة من أفراد الشعب وبعض الوحدات العسكرية . . وارتدت
القوات المهاجمة مذعورة بعد أن تكبدت خسائر ضخمة . بينما تمكنت قوات أخرى من
دخول ميناء الأديبة الخالى من السكان ، والذي لم تكن توجد فيه قوة كبيرة لحمايته .
[تفاصيل هذه المعركة سبق تسجيلها في فصل سابق] .

.
هذا وقد طلبت مصر مرة أخرى عقد اجتماع فوري لمجلس الأمن للنظر في استمرار
خرق إسرائيل لوقف إطلاق النار ، وقد انعقد المجلس وأصدر قراره رقم ٣٤٠ مطابقاً
بالامتثال إلى قراراته السابقين (٣٣٨) (٣٣٩) .

اليوم العشرون : ١٩٧٣/١٠/٢٥

.
مرة أخرى ضربت إسرائيل عرض الحائط بقرارات مجلس الأمن الثلاثة وحاولت
دخول مدينة السويس . . ولكنها تكبدت خسائر جديدة واضطرت للانسحاب بعد
فشها التام في تحقيق هدفها .

obeikandi.com

كيف حاربت مختلف الأسلحة والأجهزة المصرية

- ١ - الحرب السرية . . . ماذا فعلت المخابرات المصرية ؟
- ٢ - السلاح الذى أفقد إسرائيل توازنها منذ اللحظات الأولى .
- ٣ - « النيل إضرب » . . ثم أنطلق أكثر من ألف مدفع .
- ٤ - من المشاهد التاريخية .
- ٥ - أكبر مصيده للطائرات .
- ٦ - أنهم يدخلون من كل مكان .
- ٧ - السلاح الذى خنق إسرائيل .
- ٨ - أكبر حرب مدرعات فى التاريخ (وتفاصيل أخرى عن عملية الثغرة) .

(١)

الحرب السرية

- * الذكاء المصرى يتألق فى الحرب السرية . . « حرب المخابرات »
- * ماذا فعلت المخابرات المصرية فى مواجهة مخابرات إسرائيل والمخابرات الأمريكية ؟
- * ديان يساعد المخابرات المصرية .
- * الدهاء المصرى يوقع مخابرات إسرائيل فى أكثر من مصيده .
- * خريطة (سيربوس) فى أيدي المخابرات المصرية .
- * أعتراقات خطيرة عن سقوط قلاع السرية الإسرائيلية . « لواحد من أكبر الكتاب الإسرائيليين »
- * كان نجاح المخابرات المصرية وفشل المخابرات الإسرائيلية سبباً فى العديد من المآسى .

.....
.....

* * *

أكاد أسمعك - أيها القارئ العزيز - وأنت تقول لنفسك ، بمجرد أن وقعت عينك على عنوان هذا الباب : « لماذا يخصص المؤلف باباً مستقلاً للحديث عن المخابرات ودورها ، إن الصفحات السابقة - خاصة تلك التى يضمها فصل الإعداد والتخطيط ، وخاصة فى باب المفاجأة - قد أشارت أكثر من مرة إلى دور المخابرات . فمن يقرأها . . لا بد أن يشم رائحة المخابرات فيها ، أو بتعبير المنظمات الفدائية . . من يقرأ سطرًا واحداً من هذا الفصل يكاد يرى البصمات التى تقول « إن رجل المخابرات مر هنا » .

ولست أنت وحدك - أخى القارئ - الذى تراوده هذه التساؤلات ، فأنا - قبلك - ترددت كثيراً فى إضافة شيء آخر من دور المخابرات ، فما بالك بتخصيص باب كامل لها ؟ !

ولك أن تسألنى : « كيف إذن حزمت أمرك . . وقررت أن تضيف هذه الصفحات عن المخابرات المصرية . . والإسرائيلية ؟ !

وأقول بكل صدق وأمانة إن ملف الحرب السرية الرهيبة بين مخابرات مصر ومخابرات إسرائيل (المدعمة) والتي قالوا إنها أصبحت أسطورة حية في العالم لقوتها ووصفوا أحد رؤسائها بأنه « نبي » قد أغراني تماماً بإضافة هذا الباب بل إنني أحسست أن الاكتفاء بما قدمت بين السطور السابقة يعنى أنني قد بخلت عليك بمعلومات واعترافات لها قيمتها ووزنها . ويجب ألا يخلو « منها كتاب وثائق كهذا الكتاب الذى يشرف بالمثل بين يديك » .

وعلى أى حال سأترك لك الحكم فيما إذا كنت قد أصبت أم أخطأت بمجرد انتهائك من قراءة هذه الصفحات عن الحرب السرية بين المخابرات المصرية . . والمخابرات الإسرائيلية (الأمريكية) مع تحفظ صغير أسارع إلى تسجيله . . وهو أنني سأعتمد كثيراً على ما كتبه المحرر العسكري لصحيفة ידיعوت أحرونوت . فقط سأسجل - قبل أن نلتقى حول قلم هذا الكاتب الإسرائيلى - بعض النقاط الضرورية . .

« فى الحديث عن دور الرئيس أنور السادات الشخصى فى تحقيق المفاجأة أشرت إلى صلته واهتمامه البالغ بالمخابرات .

« كان رجال المخابرات المصرية وراء اكتشاف مواشير النار التى أعدها الإسرائيليون لتدفع اللهب إلى القناة بمجرد بدء العبور المصرى ، لكى تتحول القناة بمن عليها إلى قطعة من الجحيم ، ولم يتوقف اكتشاف المخابرات المصرية لهذا السلاح السرى الإسرائيلى عند مجرد تحديد أماكنه وقوته ، بل إنها استطاعت أن تحضر عينة من السائل المعد للإشعال . . وتم التدريب على التعامل معه .

« بالرصد الدقيق . . حددت المخابرات المصرية ساعة الصفر (الثانية وخمس دقائق) . وقد ذكرت من قبل قصة هذا التحديد وخطورته .

« قدمت المخابرات للقيادة المصرية بيانات مفصلة عن توزيع الجيش الإسرائيلى فى سيناء ، ومعلومات دقيقة عن القادة الإسرائيليين ابتداء من الجنرال سموئيل جوينين إلى قادة الفرق والوحدات مع جدول لكل وحدة ومالها من طاقة وإمكانية للقتال .

« كانت المخابرات وراء تسريب أخبار معينة (مثل الأخبار التى تحدثت عن ضعف مصر وسوريا فى مواجهة القوة الضخمة لإسرائيل) وذلك بهدف تخدير العدو .

قامت المخابرات المصرية بتأمين سرية الاستعدادات للمعركة ، بابتكار أساليب إخفاء جيدة للمعدات ووسائل العبور أثناء وبعد نقلها إلى الجبهة ، وفي نفس الوقت كشفت عملاء المخابرات الإسرائيلية وبالتالي حرمتها من أهم مصادر معلوماتنا .

. . نماذج تفصيلية لبعض أعمال المخابرات المصرية :

النموذج الأول :

استخدمت المخابرات المصرية الجنرال موشيه ديان شخصياً في الوصول إلى معلومات هامة حول الطيران وشبكات الرادار الإسرائيلية .

كيف حدث ذلك ؟ ؟

أولاً : ليس الجنرال ديان عميلاً للمخابرات المصرية . وهذا شيء بديهي لأنه جزء من الجيش والدولة الإسرائيلية وبهما ارتبطت حياته وأمجاده التي كانت ! !
ثانياً : بدأت القصة بالاهتمام غير العادي من المخابرات المصرية بكل ما نشر وينشر داخل إسرائيل حول أهم وأتفه الموضوعات بلا تفرقة باعتبار المواد المنشورة مصدراً طيباً من مصادر المعلومات المتعددة .

والصلة بين موشيه ديان وهذا الاهتمام غير العادي من المخابرات المصرية بدأت حين ألقى - سيادته - بياناً وافياً أمام الكنيست عن إسقاط طائرة الركاب الليبية المدنية (التي أسقطتها مقاتلات الفانتوم قبل الحرب بحوالي سبعة شهور ، والتي أحدث إسقاطها ردود فعل عنيفة ضد بربرية إسرائيل) وكانت الطائرة قد انحرفت عن طريقها نتيجة خطأ ملاحي ، وظهرت على ارتفاع أربعة وعشرين ألف قدم فوق مستوطنة (تسيون) التي تقع غرب رأس سدر بمسافة اثنين وثلاثين ميلاً بحرياً ، وكانت تطير بسرعة سبعمائة وخمسين كيلو متراً في الساعة في الاتجاه الشمالي الشرقي في تمام الساعة الواحدة وأربع وخمسين دقيقة بعد ظهر الأربعاء ٢١ فبراير ١٩٧٣ .

وقال ديان في بيانه إن الرادار الإسرائيلي أوضح الخط الملاحي للطائرة في الساعة الواحدة وست وخمسين دقيقة بالضبط ، وأن الأوامر صدرت في الواحدة وتسع وخمسين دقيقة لطائرتي فانتوم للحاق بطائرة الركاب ، وظلت الفانتوم تدور حول فريستها لمدة سبع

دقائق . ثم أطلقت النار وأسقطتها في الساعة الثانية وإحدى عشرة دقيقة وكانت قد وصلت غرب (رفيديم) بمسافة خمسة وخمسين كيلو متراً ، أى على مسافة عشرين كيلو متراً شرق القناة .

وضع ضباط المخابرات المصريون هذا البيان الذى ألقاه ديان فى الكنيست على مائدة البحث والتشريح ، واستخلصوا من تلك الأرقام الغامضة أن الرادار الإسرائيلى يقضى دقيقتين فى تحديد مسار طائرة تسير بسرعة سبعمائة وخمسين كيلو متراً فى الساعة ، وأن قيادة سلاح الجو الإسرائيلى تصدر أوامرها بالإجراء المناسب بعد ثلاث دقائق كاملة .

ودخلت هذه المعلومات إلى مرحلة أخرى تتصل بالتطبيق فى المعارك الجوية . هكذا قدم موشيه ديان خدمة ممتازة للمخابرات المصرية اليقظة دائماً . إذ أن هذه المعلومات أضيفت إلى المعلومات التى كانت تستخلصها المخابرات من مصادر أخرى (مثل العميل «فريد» وهو امرأة فى الأربعين كانت تعمل فى القوات الجوية الإسرائيلىة برتبة مساعد ، وقد أمدت المخابرات المصرية قبل لجوئها إلى القاهرة عن طريق قبرص . بأكثر من أربعمائة وثيقة هامة) .

ولذلك فإنه - على سبيل المثال أيضاً - كان جميع الطيارين المصريين يعرفون ويحفظون عن ظهر قلب كل شئ من محطات الرادار الإسرائيلىة ابتداء من محطة «مار الياس» (١٤٧٢٢٤٨٠) (ثابتة للإنذار والتوجيه البحرى والجوى) التى تقع فى أقصى الشمال ، وانتهاء بمحطة (جبل بعون) (١٦١٦٩٤٥٢) فى أقصى الجنوب . وذلك طبعاً بالإضافة إلى القواعد الجوية بكل تفاصيلها ، والأهداف - الأخرى التى تم تحديدها فى مهام الطيارين المصريين !!

النموذج الثانى :

آخر لقطة من الصورة : الزمان : الجمعة ٥ - أكتوبر ١٩٧٣ .

المكان : مسكن متواضع فى مدينة القنطرة شرق

ملاحظ الصورة : فى ذلك المسكن المتواضع فى مدينة القنطرة شرق ، كانت إحدى النوافذ مفتحة على مصراعها ، وفى مواجهتها على الضفة الغربية كانت عربة مدرعة مصرية تقف كأنها فى موقع حراسة عادية ، وتحت مدفع «الجرينوف» الذى يعلو الكابينة كان غطاء الفتحة اليمنى مرفوعاً بينما فتحة مدخل السائق محكمة الغطاء ، وكان

باستطاعة من يلقى نظرة من الجانب الشرقى أن يدرك من منظر هذه العربة التي تشبه ذئباً
نائماً أن جنودها قد هجرها بسبب أو لآخر ، لكن الواقع أنه كان خلف الفتحة اليمنى عميل من
المخابرات يتصل باللاسلكى بجهة ما ليخطرها عن حالة النافذة التي تواجهه في ذلك المسكن
في القنطرة شرق .

لقد كان هناك في هذا المسكن عميل بالغ الذكاء ، ابتكر وسيلة اتصال غريبة ،
بأن قسم زجاج نافذة غرفة نومه إلى ثمانية مربعات متساوية . وألصق على كل مربع ورقة
بلون مختلف ، وكان يقوم بتثبيت مصباح صغير خلف المربع الذى يريد له أن يضىء ،
ولما كانت النافذة تطل على الغرب فقد أمكن لذلك الجاثم فى العربة المدرعه أن يتبين
بسهولة إذا كان الضوء ينبعث من المربع رقم (١) أو المربع رقم (٨) . لقد كان كل
مربع من هذه المربعات رمزاً لدرجة الاستعداد فى القوات الإسرائيلية .

وقد استمر هذا العميل يمارس عمله الخطير منذ سنوات ، حتى كان هذا اليوم -
١٠ / ١٠ / ١٩٧٣ حين ظلت النافذة مفتوحة بصفة دائمة ، ليدلى هذا الجهاز الغريب لنقل
الشفرة بمعلومة على جانب كبير من الأهمية ، والخطورة .

وقد انتهى دور هذا العميل - مؤقتاً - فى الساعة الثانية من ثالث أيام القتال بعد أن
تم تحرير القنطرة تماماً وانتقل الرجل إلى مكان ما فى القاهرة .

..
.. تلك بعض الأعمال والنماذج السريعة لما قامت به المخابرات المصرية فى حرب
« الطوفان » كما سجلتها بعض الملفات التى أمكن الاطلاع عليها . أما الآن .. فنقرأ
معاً ما كتبه إيتان هير المحرر العسكرى لصحيفة يدعوت أحرونوت فى ٢٥ / ٦ / ١٩٧٤
عن المخابرات المصرية والإسرائيلية :

..
... بالإضافة إلى المفاجأة الكبرى - وهى اندلاع الحرب ، أوقع المصريون الجيش
الإسرائيلى بمفاجآت أخرى وقد اتضح فور نشوب القتال أن المصريين تصنتوا على المحادثات
التي كانت تدور بين القيادات الإسرائيلية فى صحراء سيناء فهاجموا الوحدات
الإسرائيلية بنيران المدفعية وبالطائرات بعد التأكد مما يجرى بين القيادات الإسرائيلية فى
سيناء من واقع الأحاديث التي كانوا يستمعون إليها .

وحتى قبل إطلاق الرصاص الأولى فى الحرب قامت المخابرات المصرية بعمل لم يسبق

له مثيل في حجمه حيث أقامت وحدات استماع ومتابعة ، وكان واضحاً أن هذه المخابرات استطاعت تغطية الوحدات الإسرائيلية سواء كانت على الجبهة أم في المؤخرة بوحدات مصرية للاستماع والمتابعة ، فكان لكل وحدة إسرائيلية وحدة مصرية على الجانب الآخر ، تنصت عليها وتتابعها : وهي عملية لم يعرفها الشرق الأوسط من قبل .

وقد اتضح - مثلاً - بعد أيام قليلة من القتال في حرب الغفران ، أنه لدى المصريين خريطة إسرائيلية موضح عليها مناطق وأماكن بأسماء كودية وهي خريطة (سيربوس) . وهكذا بواسطة رجال المخابرات المتحدثين بالعبرية استطاع القادة المصريون متابعة الخطوات العسكرية الإسرائيلية ، فعرفت المخابرات المصرية الأسماء الكودية الإسرائيلية لمناطق خطوط الجبهة مثل (طرطور) و (لكسيكون) و (عخييش) و (متسمد) .

فكيف وصلت خريطة سيربوس إلى أيدي المصريين ؟

بالتأكيد لن تعرف الإجابة إلى الأبد !

إن حرب الغفران التي ابتدأت بالقصف من الطائرات وبنيران المدفعية والعبور الجماعي قد كشفت عن حرب أخرى هي (حرب العقول) حرب عقول المخابرات من كلا جانبي الحدود غير المرتبطة بتحركات قوات فقط ، ولم ولن يكف أى طرف منها عن العمل .

« قروود على الأبراج »

ويستطرد الكاتب الإسرائيلي قائلاً :

منذ أكثر من أربعة أعوام أوقف الجيشان - عبر صفتي قناة السويس - إطلاق النار ، بينما استمرت حرب المخابرات بلا توقف من خلال استخدام أحدث الوسائل التكنولوجية ومن طبيعة الأشياء أن تدور هذه الحرب وراء ستار من السرية .

والحقيقة التي يجب أن نعرف بها - وإن كانت مؤلمة - هي أن الجندي المصري قد سجل لصالحه نجاحاً مذهلاً . عندما نجح في مفاجأة جيش الدفاع الإسرائيلي ودولة إسرائيل كلها ، بعد أن استطاع المحافظة بسرية كاملة على استعداداته وأخفاها عن الآخرين . وهو ما نسميه عندنا في جيش الدفاع الإسرائيلي ، بالجهد المانع في مجال الأمن الميداني .

ولا بد من أن تنشر في السنوات القريبة القادمة تفاصيل أكثر عن عمليات التضليل المصرية السورية التي أربكت وجمدت أجهزة المخابرات الإسرائيلية والأمريكية على السواء .

والحقائق التي تكشف عن حرب يوم الغفران واضحة ، فمنذ أن توقف القتال في حرب الأيام الستة (يونية ١٩٦٧) بدأ مستوى المخابرات المصرية يتحسن تدريجياً بعد أن أجرى تغيير وتنظيم كامل فيها حتى أنه في حرب الاستنزاف بين إسرائيل ومصر في صيف ١٩٧٠ كان واضحاً أن هناك تحسناً ملحوظاً في عمل المخابرات المصرية حيث مكنتها من الوصول إلى ما وصلت إليه في حرب الغفران ، فقد أقام هذا الجهاز لنفسه شبكة واسعة من مصادر الجمع والكشف والتصنت لم يسبق لها مثيل في منطقة الشرق الأوسط على الإطلاق . وتعمل المخابرات الإسرائيلية الآن جاهدة على تفهم أساليب عمل المخابرات المصرية .

فبعد حرب يونية ١٩٦٧ ، وحتى قبل ابتداء حرب الاستنزاف ، أقام المصريون سلسلة من أبراج المراقبة على طول خط قناة السويس من بورسعيد في الشمال وحتى بور توفيق في الجنوب . وكان استخدام هذه الأبراج بعد كل توقف لإطلاق النار حيث كان من السهل رؤية رجل المراقبة أو القروذ كما أطلق عليهم رجال جيش الدفاع الإسرائيلي . وقد كون العدد الكبير لهؤلاء القروذ فوق أبراج المراقبة - كون مع الوقت - صورة واسعة وشاملة لقوات جيش الدفاع الإسرائيلي لأماكنه ونقاطه على خط القناة فلقد عرفوا تقريباً وبالذقة ماذا يوجد في كل نقطة حصينة ، ووضحوا كل موقع لإطلاق النار من الدبابات وكل طريق تسلكه هذه الدبابات ، كما عرفوا سير التدريبات والاستعدادات لجيش الدفاع الإسرائيلي .

ومن أبراج المراقبة هذه استطاعت المخابرات المصرية أن تعرف أيضاً الطرق التي يمكن الوصول منها لقوات معاونة إلى مواقعنا على القناة ، وكم تحتاج إليه الدبابة لكي تصل إلى المربض الخاصة بها .

وهكذا حدث في ظهيرة ٦ أكتوبر ١٩٧٣ عندما ابتدأت الحرب ، أن عرفت كل قوة مصرية إلى أين ستصل ، وماذا تعمل لكي تمنع وصول قوة معاونة إسرائيلية .

بعد ذلك ينتقل إيتان هير إلى تحريك المخابرات المصرية في العمق الإسرائيلي فيقول :

وبالنسبة لمعرفة ما يجري في العمق ، كان على المصريين أن يقوموا بطلعات جوية للتصوير ، ومنذ وقف إطلاق النار في ١٩٧٠ قام المصريون بطلعات استطلاعية لتصوير المواقع والوحدات الخلفية من على بعد من القناة . وكانت الطائرات تقوم بعملها هذا من على ارتفاع منخفض ، وقد صورت في بعض الأحيان خلايا صغيرة . هذا ولم يكن بالإمكان منع هذه الطلعات .

الاستماع : كذلك طور المصريون في السنوات الأخيرة وسائل الاستماع العديدة وقد تعلم المصريون اللغة العبرية ليكون استماعهم مفيداً ، وقد استفاد المصريون في أيام الحرب من وسائل الاستماع ، حتى أن الكثير من قادة إسرائيل ذكروا أنه بعد وقت قصير جداً من أى اتصال لاسلكي كانوا يُهاجمون بنيران المدفعية وهذا يؤكد تماماً أن المخابرات المصرية استفادت في ذلك من وحدات الاستماع التي أقامتها على الجبهة .

المعلومات المنشورة

بعد حرب الأيام الستة قام المصريون بجهد كبير لجمع كل المواد المنشورة عن إسرائيل وقد استفادت المخابرات المصرية بدون شك من الصحف والمجلات الإسرائيلية . واتضح أن رجال المخابرات في مصر كانوا يهتمون بكل شيء ويجمعون عنه مواد دسمة (من خلال الصحف والإذاعة والتلفزيون) بل إنهم اهتموا أيضاً بالإعلانات والمنشورات والمعلومات التي قد لا تهتم المواطن الإسرائيلي كثيراً ، مثل نقاش في الكنيسة أو تقرير مفتش الدولة . وقد ظهر نجاحهم في إعداد ملفات لكل الضباط الكبار في جيش الدفاع الإسرائيلي فيمكنك أن تقرأ عندهم الكثير عن أى ضابط ابتداء من اللواء (يعقوب دورى المرحوم) ، أو العميد (جدعون شيكون) وما إلى ذلك من حاخامات عسكريين ومتحدثين عسكريين وقادة جنداء . إن لدى المخابرات المصرية معلومات كاملة عن كل هؤلاء (تتضمن تفاصيل تاريخ حياة كل منهم وصوراً مختلفة له) .

عملاء : أكثر المصريون قبل حرب الغفران من استخدام عملاء مخابرات لهم من بين البدو الذين يعيشون في صحراء سيناء ، وقد زدوا بعضهم بكاميرات - وأجهزة اتصال دقيقة . كما أن المخابرات المصرية استخدمت عدداً من الطلبة العرب من قطاع

غزة القادمين إلى الجامعات المصرية للدراسة .

كما عملت المخابرات المصرية على الاستفادة من مصادر تعمل في البعثات والسفارات الشرقية في إسرائيل .

التحليل : استثماراً للمعلومات التي كانت تجمعها المخابرات المصرية من هذه المصادر المتعددة المتنوعة ، كان يتم نقلها على الفور إلى الخلف لدراستها وتحليلها . مستفيدة في نفس الوقت من مؤسسات علمية كمركز الدراسات الفلسطينية في الأهرام ومعهد الدراسات الفلسطينية في بيروت .

.....
.....

وتهاوت قلاع السرية الإسرائيلية :

إن قلاع السرية لجيش الدفاع الإسرائيلي قدتهاوت وأهدرت في حرب يوم الغفران كما لم يحدث من قبل .

وقد تكشف المزيد من أسرار جيشنا بعد أن وقع عدد كبير من جنودنا في الأسر المصري والسوري ، وبعد أن وقعت وثائق ومعدات حربية كثيرة بأيدي المصريين والسوريين ، وتسربت معلومات دسمة عن أجهزة الاتصال .

إن هذه الحرب مستمرة ، ولن تتوقف للحظة واحدة فهذه حرب عقول لا تعرف الليل أو النهار ! !

.....
.....

وقال رجلا المخابرات الإسرائيلية

لقد تمكنت المخابرات المصرية من أن تحصل على تفاصيل الخطة الإسرائيلية المضادة لأي هجوم مصرى ، بل إن الخطة التي وضعتها القيادة الإسرائيلية لعبور القناة إلى الغرب بواسطة فرقة الجنرال شارون والتي تم إعدادها في شهر مايو ١٩٧٣ - هذه الخطة - ثبت أن المخابرات الحربية المصرية استطاعت أن تحصل عليها . وتوقعت تنفيذها عند منطقة الدفرسوار ، وتم تحصين هذه المنطقة (طوال الأيام الأولى للحرب) بكثافة ضخمة من القوات المصرية .

وأكثر من هذا نجحت المخابرات المصرية في الحصول على الخريطة الكودية (خريطة بالشفرة السرية) لسيناء بما في ذلك منطقة القناة والضفة الغربية ، وكانت القيادة الإسرائيلية قد طبعت تسع نسخ فقط من هذه الخريطة عام ١٩٧٣ ووضحت عليها جميع الأسماء السرية لشبكة الاتصالات الإسرائيلية وقام المصريون بترجمة ذلك كله إلى اللغة العربية ، مما يؤكد أن خطة تأمين وسائل الاتصال والإشارة الإسرائيلية كانت فاشلة تماماً خلال حرب أكتوبر الأمر الذي أدى إلى عديد من الأخطاء المساوية .

ولقد كان أحد هذه الأخطاء وراء واقعة مصرع الميجور جنرال « ألبرت ماندلر » قائد المدرعات الإسرائيلية في سيناء^(١) الذي تلقى قذيفة مباشرة بمجرد أن ذكر لجونين الإسم الكودي للمكان الموجود فيه .

(توقيع)

الجنرال حاييم هيرتسوج
مدير المخابرات الإسرائيلية السابق

(١) تفاصيل هذه الواقعة في الصفحات الخاصة بمصرع ماندلر ضمن فصل (أوراق القوات الإسرائيلية)

« إن الجيش الإسرائيلي ، وقعت عليه الحرب كالمفاجأة ، وإنني كنت طوال سنوات خدمتي في المخابرات ، يورقني هذا الكابوس ، وقد حذرت دائماً من استخدام عنصر المفاجأة ضدنا ، وطالبت أكثر من مرة بوجوب قيام مخابراتنا بتحذير الجيش - بمده كافية - عند شعورها بأي تحرك مصري ، حتى لا يحدث مثل ما حدث من تشويش وارتابك في كل إجراءات استدعاء الاحتياط وإرسال القوات والمعدات إلى الجبهة » .

(توقيـع)

أهارون باريف

رئيس المخابرات ثم وزير الإعلام الإسرائيلي

السابق

تعقيب :

عندما اعتزل الجنرال أهارون باريف منصبه كرئيس شعبة الاستخبارات العسكرية (قبل الحرب) أجرى معه مذيـع من محطة إذاعة الجيش الإسرائيلي ، مقابلة أذيعت بعد ذلك بساعات وقد دارت هذه المقابلة الإذاعية كالتالي :

المذيع : هل تعرف نحن عن العرب أكثر مما يعرفون ؟

باريف : نعم ، بالتأكيد .

المذيع : زعم بعض محرري الصحف الهامة في الخارج أنه لوحظ - بحسب

اعتقادهم - وهن في أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية . ما قولك في ذلك ؟

باريف : أقول إنه علينا أن نثق بأجهزتنا ، وألا نكثر أكثر من اللازم بما تقوله

الصحف في الخارج .

.....

.....

السلاح الذى أفقد إسرائيل توازنها

فى أحد أيام عام ١٩٦٩ أجرى محرر صحيفة ألمانية حديثاً مع وزير الدفاع الإسرائيلى موشيه ديان ، سألته فيه « هل يستطيع المصريون إنزال هزيمة بالجيش الإسرائيلى فى حرب قادمة ؟ » فضحك ديان ملء شذقيه وقال . . . « مستحيل بالطبع . . . إنهم فقط ربما يحاربون أفضل لو استعانوا بطيارين ألمان » .
واندلعت شرارة حرب أكتوبر دون أن تستعين مصر بطيارين ألمان ، أو أمريكيين « فماذا فعل الطيارون المصريون » ؟ .

* * *

قام السلاح الجوى المصرى فى الساعة الثانية وخمس دقائق من بعد ظهر السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ بتنفيذ الضربة الجوية الأولى إيذاناً ببدء القتال .
ولقد كان نجاح هذه الضربة إعلاناً عن نجاح خطة المفاجأة المصرية كما أنها أسفرت عن فقدان العدو لتوازنه ، وتخطيط وارتباك قيادته فى إصدار القرارات .
وقد اشترك فى هذه الضربة ، كما سبق أن أشرنا - أكثر من ٢٢٠ طائرة ما بين قاذفة وقاذفة متوسطة ومقاتله ، وقد طارت تشكيلات الطائرات فى هذه الضربة على ارتفاعات منخفضة جداً فكانت تبدو كأنها ستلامس الساتر الترابى على جانبي القناة .
وقد بدأ التمهيد النيرانى للمدفعية بعد بدء الضربة الجوية بخمس دقائق ولذلك كانت عودة الطائرات بعد قصف الأهداف مهمة صعبة تم التنسيق لها مع قيادة الدفاع الجوى ، ذلك أن الوقت بين دور كل طائرة وأخرى عبر ممرات محددة لم يكن يتجاوز بضع ثوان .

والنتيجة العامة للضربة الجوية هى أنها نجحت بنسبة ٩٨٪ وليس بنسبة ٢٥٪ كما توقع الخبراء السوفيت ولم يفقد السلاح الجوى المصرى فى هذه الضربة التى قام بها سوى طائرة واحدة فقط وليس ٣٥٪ من مجموعة الطائرات التى قامت بهذه الضربة وكان الخبراء السوفيت قد توقعوا ذلك .

وقد حققت الضربة النتائج المحددة التالية :

- ١ - شل ٣ ممرات في مطارات العدو الرئيسية في سيناء (مجموع زنة القنابل التي أُلقيت على مطار المليز مثلاً ٦٠ طناً) .
- ٢ - شل ٣ ممرات فرعية .
- ٣ - إسكات ١٢ موقع مدفعية صواريخ هوك .
- ٤ - إسكات (٢) موقع مدفعية ميدان .
- ٥ - تدمير (٢) مركز قيادة رئيسي أحدهما مركز أم مرجم .
- ٦ - إسكات (١) مركز إرسال .
- ٧ - تدمير (٢) موقع رادار .

٨ - تدمير مركز الإعاقة والشوشرة الرئيسي (مركز أم خشيب) وكان يحوى أحدث الأجهزة الإلكترونية في العالم ويشكل خطراً على الاتصالات بين القوات المصرية .
ومن الناحية المعنوية فالمؤكد أن الضربة الجوية الأولى أحدثت شرخاً في الروح المعنوية للجنود الإسرائيليين حيناً رأوا فجأة السماء وقد غطتها الطائرات المصرية المندفعة من الغرب لتتقض على مواقعهم في سيناء كما أن تدمير مراكز القيادة ومركز الإعاقة والشوشرة قد أحدث ارتباكاً بالغاً في صفوف القيادة .

ومن جهة أخرى فإن الروح المعنوية للمقاتلين المصريين قد ارتفعت تماماً حيناً رأوا طائرات سلاحهم الجوي مندفعة نحو الشرق لتوجيه الضربة الأولى - وقد زاد من حماس المقاتلين أن الطيارين في طريق عودتهم بعد تنفيذ مهمتهم . أخذوا يهزون أجنحة الطائرات تحية لهم وتعبيراً عن نجاحهم في ضرب الأهداف الإسرائيلية .

.....
.....

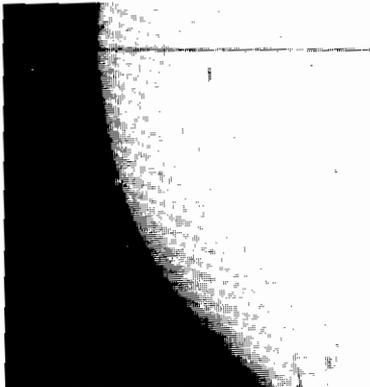
هذا . . وقد واصل السلاح الجوي تنفيذ مهامه التي تلت الضربة الجوية الأولى الناجحة تماماً ، فقام بمساندة القوات البرية وحماية عملية العبور ، وإبرار قوات الصاعقة خلف خطوط العدو ، والتصدي مع الدفاع الجوي لطائرات العدو التي حاولت الإغارة على المطارات والحشود المصرية . . ثم قامت الطائرات المصرية بدور آخر لا يقل خطورة عن الضربة الجوية الأولى ، وهو ضرب القوات الإسرائيلية في الثغرة والتصدي للطائرات



الفريق حسنى مبارك الذى قاد القوات الجوية المصرية
قبل وأثناء الحرب وصورة نادرة للضربة الجوية الأولى ،
يظهر فيها آثار تدمير مواقع صواريخ هوك



محمود شاكر ، أحد أبطال الطيران ، وقائد القوات
بعد تعيين الفريق حسنى مبارك نائباً لرئيس الجمهورية
رة تظهر فيها طائرة ميراج وهى تدخل « دائرة الموت »
دائرة تنشين الطيار المصرى الذى كان يقود ميغ ١٧



الفانتوم والميراج خاصة بعد أن أسكنت بعض مواقع الدفاع الجوي في منطقة الثغرة .

.....
وإنني إذ أقرر حقيقة واقعة وهي أن محاولة إعطاء صور للبطولات التي قام بها الطيارون المصريون أمر يحتاج لكتاب بل كتب مستقلة ، فإنني سأحاول تقديم أمثلة محدودة دون التقييد بتمثيل مختلف أنواع الطائرات . وقبل أن نصل إلى هذه الصور نتوقف أمام بعض الحقائق التي سجلها التاريخ باسم الطيران المصري ، وكما حددها الفريق حسنى مبارك (قائد القوات الجوية أثناء الحرب ونائب رئيس الجمهورية بعد ذلك) .

.....
١ - ثمة فارق شاسع بين الضربة الجوية الإسرائيلية في يونيو ١٩٦٧ ، والضربة الجوية المصرية في أكتوبر ١٩٧٣ ، حيث كانت ضربتهم في يونيو لأهداف سهلة ومكشوفة لا تحميها حتى أجهزة رادار حديثة أو وسائل دفاع جوى متقدمة .
أما الضربة الجوية المصرية في أكتوبر ١٩٧٣ فتختلف تماماً ، فقد كانت عند الإسرائيليين شبكات من الرادار تغطي سيناء والمطارات الإسرائيلية في العمق ، وكانت هناك مظلة من الفانتوم والميراج تعمل ليلاً ونهاراً وكان لديهم حائط من الصواريخ المتطورة على طول خط بارليف ، بالإضافة إلى القمر الصناعي الأمريكي الذي كان يمددهم بكل المعلومات نتيجة رصده لحركة الطيران والقوات المصرية المختلفة .

٢ - كان الوقت المحدد لإعادة التموين بالوقود (١٤) دقيقة ، ولكن أثناء المعركة تم اختصار هذا الوقت إلى (٦) دقائق فقط ، وقد كان الإسرائيليون يتباهون بأنهم ينفذونها في (٨) دقائق .

٣ - ضرب رجال الخدمة الأرضية والصيانة أرقاماً قياسية في أعمالهم المختلفة مثل إعادة تموين الطائرات وملئها بالذخيرة .

٤ - في مساندتها للقوات البرية قامت الطائرات المصرية بضرب تجمعات وطواير المدرعات الإسرائيلية ، وكانت من أجل ذلك تنخفض إلى مستوى قريب حتى لتكاد تلامس الأرض ، وكانت الحصيلة النهائية أن مجموع ما دمرته الطائرات من المدرعات والدبابات الإسرائيلية يصل إلى ٤٣٠ دبابة ، ومدركة .

٥ - في معركة كبيرة بين الطائرات المصرية والطائرات الإسرائيلية فوق الدلتا استمرت ٤٠ دقيقة أسقط للعدو ١٨ طائرة ولم يسقط لنا سوى طائرة واحدة .

- ٦ - وقعت معركة جوية أخرى فوق شمال الدلتا اشترك فيها حوالي ٧٠ طائرة
مصرية ضد عدد مشابه من طائرات العدو الفانتوم والميراج وقد استغرقت المعركة ٥٠ دقيقة
تم فيها إسقاط عدد كبير من الطائرات الإسرائيلية . وقد أسقط طيار مصرى واحد خمس
طائرات فانتوم فى هذه المعركة .
- ٧ - لم يتعطل مطار مصرى واحد طوال الحرب (أكثر من ست ساعات) برغم
محاولات الطيران الإسرائيلى المستميتة لتحقيق ذلك .
- ٨ - تمكن الطيار المصرى - قائد الميج ١٧ - من إسقاط الطائرة الفانتوم برغم الفارق
الرهيب بين إمكانية الطائرة المصرية والطائرة الإسرائيلية المتقدمة جداً .
- ٩ - لأول مرة فى التاريخ تسقط طائرة هليكوبتر طائرة مقاتلة . بل ومن طراز فانتوم .
- ١٠ - نجح بعض الطيارين فى إسقاط أربع وخمس طائرات معادية فى طلعة واحدة .
- ١١ - فى الأيام الثلاثة الأولى للثغرة قامت الطائرات المصرية بثلاثة آلاف طلعة
قتال فوق منطقة الدفرسوار وقد اشركت فى هذه الطلعات جميع أنواع الطائرات حتى
طائرة التدريب .
- ١٢ - كرر كثير من الطيارين المصريين الطلعات فى اليوم الواحد حتى قام
بعضهم بست وسبع طلعات يومياً .
- والمعروف أن الرقم القياسى العالمى لا يزيد عن أربع طلعات فقط .
- ١٣ - قام الفنيون المصريون بتطوير الطائرة المقاتلة الاعتراضية الميج ٢١ وجعلوها
مقاتلة قاذفة ، لتعويض النقص فى القاذفات ولواجهة السيل المتدفق على إسرائيل من
الفانتوم والسكاى هوك .
- ١٤ - حقق مهندسو المطارات سرعة عالية فى إصلاح الممرات وردم الحفر وتطهيرها
من القنابل بكفاءة مذهلة .
- ١٥ - واصل مهندسو وفتيو المطارات الليل بالنهار فى حماس مذهل لإصلاح
الطائرات ورفع كفاءتها بحيث لم تتعطل طلعات العمليات فى أى وقت بسبب عدم
صلاحية الطائرات .
- ١٦ - انخفض زمن إقلاع طائرات فى حالة الاستعداد الأولى إلى دقيقتين فقط .
- ١٧ - كان تدمير الهدف المعادى لا يستلزم من الطيار غير هجمة واحدة أو اثنتين لا أكثر .
-

وقائع . . وصور من ملفات الطيارين المصريين

هذا المركز الذى يحصى الأفكار فى رأس (. . !)

بعد سنة ١٩٦٧ أنشأ الإسرائيليون فى سيناء مركزاً استطلاعياً على جبل أم خشيب وقد بلغ من دقة هذا المركز وآلاته الإلكترونية المتطورة جداً أن أحد القادة الإسرائيليين قال فى وصفه :

« صحيح أن موسى وحده هو الذى تكلم مع الله ، أما الآن فلا أحد يستطيع ذلك . . ولكن عن طريق الأجهزة الموجودة فى أم خشيب نستطيع أن نحصى الأفكار الموجودة فى رأس الله . . »

.....
.....

إلى هذا الحد كان مركز أم خشيب بالغ الخطورة والأهمية ، إلى هذا الحد كان الإسرائيليون يطمثون إلى ما يفعله وسيفعله مركز أم خشيب .
ولذلك . . كان لابد أن تعمل القيادة المصرية حساب هذا المركز فى الضربة الجوية الأولى . . وكانت المهمة الخطيرة من نصيب الطيار المقاتل شريف الذى قال لى :

« بوصول تشكيلنا إلى الموقع فى الثانية وبضع دقائق من ظهر السبت ١٠/٦/١٩٧٣ فوجئت بأن عدد الهوائيات المنتشرة فى المركز يفوق الحصر مما أكد لنا خطورة هذا المركز . وقد قمت أنا وتشكيلى على الفور بالانقضاض وإلقاء جميع حمولات طائراتنا الميج ١٧ . . وكانت الدفاعات الجوية الكثيفة حول الموقع قد بدأت تقاومنا فى ارتباك شديد . كان علينا أن نتفادى قذائف المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ هوك وأيضاً الطائرات الفانتوم والميراج .

وقد أدى إصرارنا على تدمير المركز إلى مزيد من الارتباك فى صفوف العدو خاصة عندما اشتبكت مع إحدى طائراته الفانتوم التى حاولت منعنا من تدميره وأسقطتها فوق تحصيناته . .

... ولعل أكبر دليل على ارتباطك الإسرائيليين واستأمتهم في حماية هذا المركز أنهم أطلقوا صواريخهم دون تفرقة بين طائراتنا وطائراتهم . . . وقد انتهت الغارة . . بعد أن وفقنا الله إلى تحقيق النتائج التالية :

- ١ - تدمير مركز أم خشيب وتعطيله تماماً (لم يعمل إطلاقاً أيام الحرب وقد نقلوا نشاطهم إلى مركز آخر بعيد في العريش لم يستطع تعويض هذا المركز) .
- ٢ - إسقاط عدد من الطائرات الفانتوم والميراج .
- ٣ - تدمير قواعد الصواريخ المحيطة بالمركز « .

.....

ضرب طائرات إسرائيلية على الأرض وليصبح الرد خالصاً . .

برغم الفوارق الهائلة بين ظروف الضربة الجوية الأولى التي قامت بها الطائرات المصرية في أكتوبر ١٩٧٣ ، والضربة الجوية الإسرائيلية في يونيو ١٩٦٧ ، فإن الطيار المصري تمكن في ١٩٧٣ من ضرب عدد من الطائرات الإسرائيلية على الأرض وكأنه كان بذلك يرد على ما فعلته الطائرات الإسرائيلية في يونيو ١٩٦٧ .

والقصة بطلها الطيار الشهيد صبحي الشيخ الذي كان قائداً لسرب ميغ ٢١ وكان مكلفاً بضرب مطار رأس نصراني وقد أندفع التشكيل إلى مهمته في ساعة الصفر للضربة الجوية الأولى ، وتم تحقيق المهمة لكن طائرته أصيبت في نفس اللحظة ، وكان يستطيع القفز بالمظلة والتجاة بنفسه ، لكنه لمح ثلاث طائرات فانتوم إسرائيلية تخرج من دشمتها الثلاثية لتستعد لاعتراض أو بالتحديد لمطاردة الطائرات المصرية التي هاجمت المطار . وهنا قرر الطيار صبحي الشيخ أن يحول طائرته إلى قنبلة (بشرية) يضرب بها الطائرات الفانتوم الثلاث وهي ما زالت على الأرض . فصاح في اللاسلكي رداً على زملائه الذين أخذوا ينادون عليه محذرين إياه من أن طائرته ستنفجر ، صاح قائلاً « الله أكبر . . تحيا مصر » ثم انقض بالطائرة وسط الطائرات الثلاث فانفجرت طائرته وتوالى معها انفجار الطائرات الفانتوم التي كان لانفجار قنابلها وذخيرتها دوى رهيب . . وقد أضاف هذا الانفجار تدميراً جديداً للمطار هو الآخر .

وبذلك استشهد الطيار صبحي الشيخ بعد أن حقق التالي :

- ضرب وتدمير المطار الإسرائيلي (رأس نصراني)
- تدمير ثلاث طائرات فانتوم (قبل أن تطلع بثوان معدودات)
- قتل الطيارين الستة الذين كانوا في هذه الطائرات
- قتل وإصابة عدد غير محدد من جنود وضباط المطار .

* * *

الميج ١٧ تسقط الميراج إلى جانب الفانتوم :

ليس هناك مجال للمقارنة على الإطلاق بين إمكانيات الميج ١٧ والفانتوم . فالأولى تعتبر بالنسبة للثانية نوعاً بدائياً من الطائرات . ومع ذلك فقد استطاع الطيارون المصريون - بالميج ١٧ - أن يحققوا إنجازات كبيرة ، ثم كانت قمة تفوقهم حين اشتبكوا مع الطائرات الفانتوم الإسرائيلية ، وتمكن بعضهم من إسقاط هذه الطائرات .

وقد التقيت في إحدى القواعد الجوية بواحد من هؤلاء الطيارين وهو الطيار الشاب (نقولا) . الذي استعاد بعض ذكرياته عن المعارك الجوية التي خاضها والأهداف التي حققها هو وزملاؤه . .

.. وقال لي :

- « في الساعة ٢,٠٥ يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ كنا فوق موقع صواريخ هوك في (أبو سمارة) شمال سيناء .

بعد وصولنا (المنطقة الميتة للموقع) أطلق الإسرائيليون صواريخهم علينا ، وقد ساعدنا ذلك في تحديد مكان الموقع الحقيقي بين المواقع الهيكلية .

وكنت قد تأخرت قليلاً وراء التشكيل الذي أعمل معه نظراً لأنني بعد إقلاعي ، وعندما بدأت أرفع العجل ، فوجئت بأنه لم يرتفع ، وكان الحل الطبيعي أن أعود إلى قاعدتي أو أبلغ قاعدتي في اللاسلكي ولكن نظراً للأوامر بعدم التحدث في اللاسلكي (ضمناً للسرية والمفاجأة) . ولما كنت مصمماً على عدم العودة قبل مشاركة زملائي في الضربة الأولى ، فقد واصلت الطيران خلف التشكيل الذي سبقني بحوالي ٣ أو ٤ كم ، وبمجرد أن رأيت زملائي يتقوضون على الهدف اشتعل حماسي أكثر واندفعت نحو الموقع وقد أتاح لي تأخرى تلك الثواني أن أرى نتائج ضرب زملائي للموقع الذي تم إسكاته تماماً .

والطريف أنني عندما عدت إلى قاعدتي . فوجئت بزملائي وقد انفعلوا عندما رأوني لأنهم توقعوا أنني قد سقطت بعد أن شاهدوني وأنا أطيّر على ارتفاع أقل من ٥ أمتار تقريباً نتيجة للعطل الذي حدث في الطائرة .

هذا وقد اشتركت بعد ذلك في ضرب المستودع الرئيسي للبتروك في شمال رمانة ، كما قام تشكيلنا بضرب مدرعات العدو على الساحل الشمالي ، وما زلت أذكر منظر الجنود الإسرائيليين وقد تركوا دباباتهم المشتعلة وأخذوا يركضون هنا وهناك في ذعر تام . وقد هبطت أنا وزميلي (. .) بطائرتينا إلى ارتفاع منخفض فوقهم تماماً مما أثار رعبهم فأخذوا يلقون بأنفسهم على الأرض ويدفنون وجوههم في الرمال .

أما المعركة التي قمت فيها بإسقاط طائرة ميراج . . فقد حدثت يوم ١٦ / ١٠ / ١٩٧٣ حينما كان تشكيلنا مكلفاً بضرب مدرعات العدو المتقدمة على الطريق الأوسط (لعمل الثغرة) وقد بدأت الطلعة في الساعة ١٠,٤٥ صباحاً ، وكنا ٨ طائرات فقط ، وتصدى لنا ٢٤ طائرة معادية . وقد أبلغنا قائد التشكيل بأن توجه حملاتنا فوق أرتال العدو المدرعة ، ثم تشتبك مع طائراته . . وبالرغم من عدم التكافؤ بين طائراتنا وهذه الطائرات المعادية بالإضافة إلى التفوق العددي الذي كان في صالحهم فإننا استطعنا القيام بمناورات سريعة ، وأسقط زميلي (إيهاب) أول طائرة لهم ، وأسقطت أنا طائرة قائد تشكيلهم . وتخلصنا من المعركة دون أن تسقط لنا طائرة واحدة . هذا ولم تحاول الطائرات المعادية الدخول وراءنا إلى غرب القناة لأن الطيارين كانوا من جنوب أفريقيا كما أظهرت علامة السلاح الخاصة بدولتهم .

• هو يقود هليكوبتر

• وهما يقودان الفانتوم

• أي الطرفين يضرب الآخر ؟

لو وضعت هذه المعادلة البسيطة أمام أي طفل لقال بغير تردد : « مسكين طيار الهليكوبتر . إن طياري الفانتوم سيلعبان به كما تلعب القطعة بالفأر الصغير ثم تلتهمه » . ولو أضيفت إلى طرفي المعادلة معلومات أخرى تمثل الثقة الهائلة التي يشعر بها الطيارون الإسرائيليون في أنفسهم وفي طائراتهم ثم السمعة الدولية التي يحظون بها منذ يونيو ١٩٦٧

في مقابل الصورة المهزوزة للطيار المصري - أيضاً منذ يونية ١٩٦٧ - حيث كان الطيارون المصريون ضحايا النكسة فلحقت بهم كل الإساءات وسوء التقدير . لو أضيفت هذه المعلومات إلى طرفي المعادلة ثم وضعت من جديد أمام ذلك الطفل ليستنتج أى الطرفين في هذه المعركة يدمر الآخر ؛ فإنه أغلب الظن سوف يبتسم ويرفض الإجابة لأن السؤال في هذه الحالة يعد استهانة بعقله فحين ينعدم التكافؤ بهذا الشكل يصبح الاستنتاج تحصيل حاصل . ومع ذلك حدث ما لا يتوقعه أحد . . .

وقام الطيار المصري بما لم يسبقه إليه طيار آخر في العالم .

. . . ونقرأ القصة المثيرة من أولها :

كان ذلك في أول أيام الحرب (١٩٧٣/١٠/٦) حين اجتاز تشكيل من طائرات الهليكوبتر المصرية قناة السويس ليقوم بإبرار مجموعات من رجال الصاعقة في عمق سيناء وخلف خطوط العدو . وظهرت على الفور طائرات الفانتوم الإسرائيلية التي كانت تبحث كالمسورة عن أى طائرة هليكوبتر مصرية . لأن معنى وجودها إبرار وحدات من رجال الصاعقة الذين ينتشرون على الفور ويوجهون ضرباتهم الخاطفة المدمرة لخطوط العدو ومواقعه في العمق .

كان عدد الطائرات الفانتوم ثمانى طائرات . وكان تشكيل الهليكوبتر مكوناً من أربع طائرات فقط .

استطاع الطيارون المصريون أن يقوموا بعدة مناورات أفلتوا بعدها من حصار الطائرات الفانتوم ، وتمكنوا من إبرار رجال الصاعقة ومعداتهم في أماكن قريبة من المناطق المحددة . وبدأت رحلة العودة . . .

لكن الطائرات الإسرائيلية - وقد أشعل الغضب حماس طيارها - سارعت بمطاردة الهليكوبتر قبل أن تعود إلى مواقعها غرب القناة . وكان التفوق الساحق في الإمكانيات والتجهيزات يؤكد أن المعركة لن تستغرق أكثر من دقيقتين .

عمد الطيارون المصريون إلى استغلال ما لدى الهليكوبتر من إمكانيات محدودة مثل « الطيران العمودي ، والهبوط الرأسي ، والوقوف في الجو ، وتغيير السرعة والاتجاه فجأة . ثم الطيران المنخفض جواً » وقد استطاعوا بمناوراتهم البارعة الهروب من الصواريخ التي أخذت تطلقها طائرات الفانتوم المسعورة . ثم حدثت المفاجأة المذهلة .

لقد شاهد الطيار المصري - قائد الهليكوبتر الثانية في التشكيل - أمامه مباشرة وفي مواجهته إحدى الطائرات الفانتوم التي قرر طيارها إرباك الهليكوبتر بحدة الاندفاع نحوها لكن الطيار لم يشغل نفسه في إمكانية تفادي هذه المناورة . وبسرعة خاطفة وذكاء متقد ، قرر أن يقبل المواجهة غير المتكافئة وهو يصبح في اللاسلكي لقد أخطأ ابن ال... » وضغط بأصبعه لكي تنطلق صواريخه (المضادة للدبابات) نحو الطائرة الفانتوم التي كانت قد اقتربت تماماً باندفاعها الحاد . وفي أقل من ثانية انفجرت هذه الطائرة ولم يستطع طيارها أن يتمكن من القفز منها واحترقا بداخلها تلك هي القصة . . التي قلبت كل الموازين . .

لكن الدهشة تتضاءل حين يعرف الإنسان المحايد أن الصورة التي رسمتها الدعاية الإسرائيلية للطيار المصري منذ يونية ١٩٦٧ كانت كاذبة تماماً وقد دفع الإسرائيليون أنفسهم ثمن هذا الكذب حين أثبتت معارك أكتوبر ١٩٧٣ أنه طيار كفء وذكي وجريء إلى أقصى حد وأن لديه من الدوافع الوطنية القومية ما يجعله يقترح أعنى المخاطر ويقبل أصعب التحديات حتى لو كانت مثل تلك المواجهة بينه في طائرته الهليكوبتر وبين طيارين إسرائيليين في الفانتوم المقاتلة القاذفة الحديثة جداً .

.....
.....

.. من أوراق المقاتل طيار جلال :

في يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ ظهر تشكيل إسرائيلي قادماً في اتجاه أحد مطاراتنا وصدرت الأوامر باعتراض هذا التشكيل قبل الوصول إلى الهدف . وكانت مهمتي حماية قائد تشكيلنا الذي بدأ يصوب مدافعه على إحدى الطائرات المعادية ، شاهدت طائرتي فانتوم

تحاولان الهجوم على طائرتي من الخلف . . فقامت بعمل مناورة حادة ووضعت إحداها في مجال مدفعي وأصبتها ، وهربت الثانية ، وفي أثناء قيامي بحماية المطار تعطلت طائرتي ووقف المحرك تماماً. كان المفروض أن أقفز بالمظلة ، لكنني مع تكرار المحاولة وفقني الله إلى إدارة المحرك مرة أخرى ودارت الطائرة في الوقت الذي كانت قد هبطت فيه إلى ارتفاع أمتار قليلة من الأرض وراقبت كمية الوقود فوجدتها كافية وبالتالي توجهت على الفور لتعزيز زملائي وقمت في نفس الاشتباك بإسقاط طائرة أخرى فانتوم .

وفي يوم ٢١ أكتوبر كلفت بمهمة حماية طائراتنا القادمة بعد ضربها لقوات العدو في الثغرة وشاهدت تشكيلاً من الميراج المقاتلة وراء قاذفاتنا ، فقامت بعمل مناورة جادة وفجأة أصيب قائد تشكيلنا ولحق الطائرة التي أصابته فقامت بعمل مناورة أخرى ودخلت خلفها وأصبتها بنيران مدفعي وأخذت بثأر زميلي الذي أصيبت طائرته .
وبذلك يكون مجموع الطائرات التي أسقطتها للعدو ثلاثاً . . واحدة ميراج واثنان فانتوم . هذا بالرغم من أنني لم أشارك في المعارك إلا ابتداءً من ١٤ أكتوبر .

.....
.....

* حارب الطيار المصري بطائرات التدريب :

أمام إلحاح بعض مدرسي الكلية الجوية المصرية ، وافق الفريق حسني مبارك على اشتراكهم بطائرات التدريب في ضرب قوات الثغرة الإسرائيلية وقد لبي قائد القوات الجوية هذه الرغبة وفي ذهنه أن هذا النوع من الطائرات البطيئة (بالنسبة لطائرات القتال) يستطيع أن يقوم بدور خاص في هذه العمليات . . وبالفعل فوجئ الإسرائيليون بأعداد غزيرة من هذه الطائرات التي حقق بها طياروها نتائج باهرة منها إصابة المعبر الرئيسي للتسلل الإسرائيلي وضرب المدرعات والأفراد .

* وكانت بطولات الفنيين من رجال الطيران بلا حصر :

ويكفي أن نذكر ما فعله المساعد الميكانيكي بإحدى القواعد الجوية حين التقط قنبلة زمنية ألقتها طائرة إسرائيلية ، فأخذت تتدحرج فوق منزل يؤدي إلى دشمة طائرة . التقطها المساعد الفني على الفور وهو يعلم أنها قد تنفجر في أية لحظة ثم جرى بها خارج القاعدة

الجوية وألقاها بعيداً . وما كاد يلتفت عائداً حتى انفجرت وأحدث انفجارها تدميراً كبيراً
في الأرض الفضاء التي ألقاها فيها .

◦ صورة عامة يرويها القائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية

« . . كنت في غرفة العمليات أتابع سير المعارك ، وأصبت بالدهشة عندما عرض
قائد الطيران على قائدى الجيوش البرية تقديم المزيد من المساعدات الجوية قائلاً لهما إن
لديه احتياطياً من الطلعات وأنه مستعد وجاهز .
وكان القادة في الجيشين الأول والثاني يقولون له : شكراً . . إن الطلعات الموجودة
الآن كافية تماماً » .

وكانت دهشتي لأن المعروف أن قادة الجيوش (البرية) دائماً يصرخون طالبين النجدة
من القوات الجوية ، ودائماً لا تتوفر هذه النجدة بالكمية المطلوبة أو في الوقت المحدد .
أما الآن - في حرب أكتوبر - فقد تغيرت الموازين . . وقائد الطيران هو الذى يعرض
على قادة الجيوش أنه لديه احتياطى إضافي وهم يقولون له « شكراً . . لنا في حاجة للمزيد »
.....

وقد قال لى قائد الجيش الثانى - بعد الحرب - إنه بعد أن حرر القنطرة دفع العدو
بلواء مدرع من الشمال لاستعادتها ، فطلب هو مساعدة جوية ، ووصلت إليه الطائرات
بأقصى سرعة وبدأت معركتها مع المدرعات الإسرائيلية - وأخذ هو يتابعها مبهوراً وهو يرى
الطيارين المصريين يتزلون على الدبابات دبابة دبابة بكل ثقة وهدوء أعصاب « واخذين
راحتهم خالص والواحد منهم يأخذ اللفة بتاعة الدوران مضبوطة ، وييجى ، ويضرب ،
ويطلع اللى وراه . . وهكذا . . كل هجمة بعمود نار . . كنت واقف أتفرج فعلاً .
عمود نار بيطلع بعد كل قصفة من طيار من طيارنا » . [

(الرئيس محمد أنور السادات

في حديث داخل إحدى القواعد الجوية)

حقائق أخرى عن الطيران المصري :

* أنشئ في أغلب المطارات أكثر من ممر واحد ، بعضها متواز ، ليسهل الإقلاع والهبوط في مختلف الظروف الجوية لعدد كبير من الطائرات ويكون كل منهم بديلاً للآخر .

* تم تمويه الدشم ببراعة فائقة وذلك باستغلال البيئة المحيطة بها ، كما موهت بعض الممرات مما يجعل رؤيتها من الجو أمراً صعباً للغاية .

* ابتكر استخدام البالونات كوسيلة دفاع سلبية عن المطارات ضد الطيران المنخفض ، برغم أن فكرة البالونات قد أُلغيت تماماً منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية .

* استحدث أسلوب استخدام طائرات إعادة الإذاعة لنقل المعلومات إلى الطائرات أثناء الطيران المنخفض حيث يصعب بلوغ الموجات ذات الترددات العالية جداً إلا للطائرات التي تكون على ارتفاعات عالية .

* توصل مهندسو المطارات - بالتنسيق مع أجهزة القطاع العام ، إلى تركيب خلطة ساخنة يستطيعون بها سد الحفر التي تحدثها القنابل في الممرات . ويتم ذلك خلال ساعات معدودة (بعد أن كان يحتاج إلى وقت طويل) .

* اتخذت تدابير فنية تحقق الاستقلال الذاتي لكل مجموعة طائرات في إعادة الملء للتزود بالوقود والتحميل بالقنابل والصواريخ في زمن قصير جداً حتى أن الطلعات كانت تتوالى وكأنها لا تتوقف لحظة .

* * *

شهادات تاريخية للطيران المصري

* قال الجنرال « ستيج لوفجرين » وهو أحد قادة القوات المسلحة السويدية .
« لقد استطاع الطيارون المصريون (بواسطة الطائرات الميج ٢١) سد الثغرات بين سدود وأحزمة نيران وحدات الدفاع الجوي المصري ، وصنعوا بذلك أسلوباً متكاملًا لأحدث خطط الدفاع الجوي القائمة على الطائرات جواً ووحدات الصواريخ والمدفعية أرضاً ، كما عمل الطيران المصري إلى جانب الدفاع الجوي من خلال شبكات إنذار جيدة ، وقيادة واعية » .

« أما الكاتب الخبير الأمريكي روبرت هونز فقد قال - بشكل تفصيلي أكثر - في دراسة طويلة له بمجلة « أفيشن ويك » نشرها في يونيو ويولية ١٩٧٥ :
« كانت سنة ١٩٦٧ بالنسبة للأمم المتحدة - العربية كارثة ، وقد استطاعت هذه الأمة أن تنهض بعد ذلك ، وتقوم بإنجازات الحرب في ١٩٧٣ ، وأن يدخل طياروها بعد هزيمة مدمرة لقواتهم في ١٩٦٧ ، أشرس المعارك الجوية ضد الطيران الإسرائيلي ويقاثلوا بنديّة له حرمة تفوقه الذي اعتاد عليه ، بل وينتزع الطيار المصري السيطرة على الجو بعد أن كانت للطيران الإسرائيلي دوماً هذه السيطرة . لقد استخدمت القوات الجوية المصرية أسلوباً جديداً في الاستطلاع والقيادة والسيطرة مع تعاون تام مع قوات الدفاع الجوي ، وكانت النتيجة أن السلاح الجوي الإسرائيلي تعرض لخسائر فادحة في الطيارين والطائرات ، حتى أن إسرائيل لم تعاود الهجوم بعد الأيام الثلاثة الأولى من الحرب بطائراتها « ماكدونالد دوجلاس » (سكاي هوك) ولقد قام المصريون بتدعيم كافة مطاراتهم ومراكز القيادة ومواقع الرادار .

« كما قاموا ببناء الدشم من الأسمنت المسلح كحظائر للطائرات ، كذلك مخازن الوقود ومعدات التسليح والأسلحة ، كما طورت ممرات الطائرات لتكون مجهزة لانتشار الطيارين ، واستخدامات الطوارئ للعودة السريعة إلى ميدان المعارك الجوية .
« كما تلقت مجاميع كبيرة من وحدات الإصلاح الميداني تدريباً خاصاً يتفاوت - بين الإصلاح السريع لممرات الطائرات ، والإصلاح الفوري للأعطال الميدانية التي تصيب الطائرات والصواريخ والرادارات والمركبات .
« وقامت القوات الجوية المصرية وقوات الدفاع الجوي ببناء شبكات محكمة من المواقع البديلة والمجهزة بأجهزة الإنذار والطائرات والصواريخ الهيكلية ، وكذلك شبكات اتصال خداعية ، وقاموا بتحريك قواتهم المقاتلة الحقيقية في إطار هذا التركيب لإرباك العدو وتضليله .

... ويعد هذا العمل من الإنجازات الهائلة التي تتطلب جهداً عصبياً مضاعفاً ، ولذلك كان عدد الهجمات الجوية التي شنتها القوات الجوية الإسرائيلية على تلك المواقع الهيكلية عدداً كبيراً .

ومن جهة أخرى فإن المهندسين المصريين استحدثوا إضافات إلى المعدات الروسية الجوية والأرضية لتحسين أداؤها في أثناء القتال ، تبعاً للظروف الخاصة التي يواجهونها

في الشرق الأوسط . فلقد استطاعوا تعديل الطائرة الميج ٢١ لتكون قادرة على حمل حمولة أكبر من القنابل ، كما زادوا من مداها ، وحسنوا أجهزة الاتصال ، ودوائر الإطلاق بها ، كما قاموا بتعديل طائرة الهليوكبتر « م٨ » لتقوم بدور هجومي ، وذلك بتزويدها بقاذف للصواريخ والقنابل خارج جسم الطائرة ، كذلك بتجهيزين ثابتين لرشاشين ثقيلين ، و« ٦ » مواقع للبنادق الآلية الخفيفة بهدف توفير الحماية المكثفة في أرض الهبوط .

.....



(٣)

« النيل اضرب »

ثم انطلق أكثر من ألفي مدفع

بعد ٦٠ ثانية من اندفاع الطائرات المصرية نحو أهدافها في سيناء ، لتحقق الضربة الجوية الأولى ، أصدر قائد المدفعية أمره « النيل . . اضرب » فانطلقت آلاف المدافع تهدر وتصب حممها على النقط الحصينة لخط بارليف ، وأما كن تركز احتياطات العدو . وبينما استمر أكثر من ألي مدفع ميدان ومتوسط وثقيل وصواريخ وهاونات تصب قذائفها على خط بارليف ونقطه الحصينة وغير ذلك من الأهداف بدقة وكثافة وقوة لم يسبق لها مثيل ، راح عدد من المدافع يطلق بالرمي المباشر على مزاغل الدشم ونقط النيران المكتشفة ، ويفتح الثغرات في مواقع الأسلاك الشائكة والألغام . وفي اللحظات نفسها التي بدأ فيها التمهيد النيرانى ، وتحت ستر النيران المتدفقة اندفعت مفارز من القوات تعبر القناة لتستولى على مصاطب الدبابات الموجودة في العمق القريب (على الضفة الشرقية وحلفها) وتبث الألغام والشراك في المصاطب الأخرى وتنصب الكمائن على طرق اقتراب احتياطات العدو المدرعة المحلية لتمنعها من التدخل في اقتحام القناة - بواسطة القوات الرئيسية - الذى سيتم بعد دقائق . ولعل خير ما يشهد على قسوة وعنفة ودقة التمهيد النيرانى للمدفعية المصرية أن معظم بطاريات المدفعية الإسرائيلية (بالتحديد أكثر من ٩٠٪ منها) تم إسكاتها منذ اللحظات الأولى ، ولم تتمكن من توجيه ضربات مؤثرة إلى قواتنا . وقد كان لهذا النجاح السريع والساحق أثره الكبير على سير عمليات العبور والاقترحام وعلى معنويات المقاتلين من الطرفين . فقد تأكدت ثقة المقاتلين المصريين في السلاح والتخطيط الذى وضعته القيادة ، وأصيب جنود العدو في الخطوط الأمامية بإحباط شديد نتيجة فشل الدعم المدفعى الذى طلبوه .

أرقام من واقع التمهيد النيرانى للمدفعية المصرية :

- ١ - كانت كثافة النيران ١٧٥ طلقة فى الثانية الواحدة .
- ٢ - كان وزن الدانات التى أطلقت ٣ مربع كجم .
- ٣ - كان عدد القذائف والطلقات التى صببها المدفعية فى الدقيقة الأولى فقط ١٠٥٠٠ طلقة وقذيفة .

دور المدفعية المصرية فى صد الهجمات المضادة :

بطبيعة الحال لم يكن دور المدفعية المصرية مقصوراً على التمهيد النيرانى ولكنها ظلت تطور أدوارها حسب تطور العمليات القتالية . ولقد كان لها فى صد الهجمات الإسرائيلية المضادة ضد القوات التى اقتحمت القناة والساتر الترابى وخط بارليف وأخذت تقيم رؤوس جسور ، دور كبير تلخصه هذه الكلمات لجندى إسرائيلى :

« لقد تعرضنا لستار من المدفعية لا يمكن وصفه ، فلقد انصبت من كل جانب قذائف المدفعية الثقيلة والصواريخ ونيران الدبابات . وقد تمكنا من شق طريق لنا ، ولكن المعركة استمرت عدة ساعات إذ وقعنا مرة ثانية تحت ستار من نيران المدفعية العنيفة ، حتى احترق كل شىء حولى ، وكان زملائى يصرخون ويقفزون من دباباتهم .. »

أمثلة لما قامت به المدفعية المصرية فى صد الهجمات المضادة :

فى الساعة السابعة والنصف من مساء السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ كانت القوات المصرية التى اقتحمت القناة وتمركزت شرقاً ، قد استولت على أكثر من نصف النقط الحصينة من خط بارليف ، وحاصرت الباقي ، واستعدت لتطوير الهجوم فى العمق ، وقبل ان يبرز فجر يوم الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣ كانت هذه القوات قد وصلت إلى عمق من ٥ - ٦ كيلومترات ، وتم عبور أعداد كبيرة من المدرعات والمدفعية والأسلحة الثقيلة وخلال نهار هذا اليوم بدأت القوات فى تطوير هجومها شرقاً ، ووصلت إلى عمق من ٨ - ١٠ كيلومترات حيث بدأت تستعد لصد الهجمات الإسرائيلية المضادة .

وفى فجر الاثنين ٨ أكتوبر ١٩٧٣ ، أبلغ أحد مراكز ملاحظة المدفعية الذى تم دفعه فى العمق ليلة ٦ - ٧ أكتوبر عن وجود لواء مشاه ميكانيكى للعدو مدعم بعدد

صرخ قادة وضباط إسرائيل من هول الجحيم الذي أطلقته عليهم
المدفعية المصرية بقيادة الرجل الذي كان مثلاً لهدوء الأعصاب
وسلامة التفكير الفريق محمد الماحي



كبير من الدبابات وقد تجمع على الطريق الأوسط ليعيد الملء .
بسرعة تم تقدير الموقف واتضح أن هذا اللواء المدعم في مرمى حوالي ٢٠ كتيبة مدفعية
واقترح قائد مدفعية الجيش الثاني على اللواء سعد مأمون قائد الجيش أن توجه المدفعية
قصفة شاملة للواء الإسرائيلي قبل أن ينتهي من إجراءات إعادة الملء فوافق القائد على ذلك
وعلى الفور تم تأكيد إحداثيات مكان اللواء ، وهدرت مدافع العشريين كتيبة لتصب
نيرانها الكثيفة لمدة عشر دقائق على هذا اللواء . وقد حقق القصف الدقيق نتائج حاسمة
إذ اشتعلت الحرائق في كل مكان ، وتم التقاط استغاثات قائد اللواء الإسرائيلي وبلاغاته
المتلاحقة عن خسائره الفادحة .

هل كان هناك ضابط مدفعية مصري يقف فوق دبابة عساف ياجورى ؟

تعددت وتنوعت المعارك التي اشتركت فيها المدفعية المصرية بكفاءة نادرة ، حتى أن
العقيد عساف ياجورى قائد اللواء المدرع (١٩٠) عندما تم أسره بعد تدمير لوائه بواسطة
قوات الفرقة الثانية مشاة بالتعاون مع احتياطي المدفعية المضادة للدبابات ، قال مصوراً
دقة القصف المدفعي المصري وكيف أسهم في تكييده خسائر جسيمة في قواته قبل أن يدخل
المعركة المباشرة :

« لقد تعرضت قواتي طوال تقدمها من (بالوظة) وحتى قيامها بالهجوم المضاد في قطاع
الفردان لقصف مؤثر من المدفعية المصرية أدى إلى تدمير أكثر من ٧٠٪ من المشاة
الميكانيكية التابعة للواء ١٩٠ .

لقد كنت أتصور أن دقة النيران وتأثيرها الشديد لا يمكن أن تكون كذلك إلا إذا
كان هناك ضابط مدفعية مصري يقف على برج دبابتي ويصحح نيران المدفعية على قواتي » .
والواقع أن عساف ياجورى لم يكن مبالغاً في تصويره وتحليله لدقة القصف المدفعي
المصري ، ولعله لم يكن يتصور أن ضباطاً من المدفعية كان قد تم دفعهم منذ اللحظات الأولى
للحرب في العمق لهذا الغرض وهو تصحيح مسار النيران لتصيب احتياطيات العدو
المتقدمة .

بل إنني أضيف من واقع معلوماتي الشخصية والمؤكد أن قائد مدفعية الجيش الثاني -
مثلاً - تقدم أكثر من مرة بين مواقع العدو ، وقام بنفسه بتصحيح النيران لقواته مما أعطى
المثل لضباطه وجنوده وزاد من اشتعال حماسهم وحرصهم على تحقيق أدق النتائج طوال

أيام الحرب . ولعل ما تعرضت له قوات الثغرة الإسرائيلية من قصف مدفعي رهيب صرخوا بسببه يؤكد أن المدفعية المصرية واصلت أداء دورها الكبير حتى لحظة توقف إطلاق النيران .

ولكن ..

هل كان دور المدفعية محصوراً داخل استخدام المدافع المختلفة ؟ إن هناك البعض الذين لا يعرفون حتى الآن أن المشاة الذين تصدوا للدبابات الإسرائيلية بصواريخهم وقدائفهم يتبعون سلاح المدفعية . ومن خلال هذه الحقيقة يتضح لنا حجم الدور الهائل الذى قامت به المدفعية المصرية فى طوفان أكتوبر .
و . . نتوقف الآن . . أمام بعض الوقائع والمواقف والصور . . صائدى الدبابات ! !

صائدو الدبابات

« لا يقل الحديد إلا الحديد » هذا مثل شائع ، ولعله حكمة عالمية لم تتكون إلا بعد مقدمات طويلة ومتنوعة ضربت جذورها فى أعماق التجربة الإنسانية .
وكانت ترجمة هذا المثل أو تلك الحكمة فى ميادين القتال ما اصطلى عليه العسكريون من أن الدبابة لا يوقفها إلا دبابة أو مدفع ضخمة تحيط به التحصينات .
وقد أصبحت هذه الحقيقة نظرية عسكرية لا تقبل الجدل .
لكن المقاتل المصرى السورى قدم للعالم وللعسكريين ضمن ما قدم من مفاجآت تلك المفاجأة التى قلبت هذه النظرية الثابتة .
فهو لم يوقف فقط الدبابة الإسرائيلية . . لكنه تصدى لها ، ودمرها وقتل أو أسر طاقمها من جنود المدرعات الإسرائيليين . .

وليس هذا فقط . . لقد تكرر مشهد مثير شهدته ميادين القتال حين كان الجندى المشاة . . يطارد الدبابة الإسرائيلية . . وتجري هى أمامه بحجمها الضخم وطاقمها المتحصن داخل دروعها الصلبة - تجرى أمامه مذعورة مرتبكة . ولعل أكثر الروائيين خيالاً ما كان ليتصور هذا المشهد الغريب المثير ، بل إن كتاب مسرح العبث ما كانوا ليتخلوا هذه الصورة .

وقبل أن نستعرض معاً بعض أوراق ومواقف صائدى الدبابات نلقى نظرة على ما قاله

واحد من أكبر معلقى إسرائيل ، ثم ما قاله كاتب فرنسى كبير .

.....

« كنا نعتقد أن الدبابة تسحق دائماً قوات المشاة ، وقد أدهشنا أن يقوم المصريون بالهجوم على الدبابات ، وكان لدى هؤلاء الجنود المشاة الشجاعة لإطلاق هذه الصواريخ على المدرعات الإسرائيلية » .

(توقيع)

المعلق الإسرائيلي زئيف شيف

.....

« اندفعت الدبابات الإسرائيلية لتهاجم الجنود المشاه ، وكانت مقتنعة تماماً بأنها تستطيع القضاء عليهم بأسرع ما يمكن ، لكنها فوجئت بأن عليها أن تواجه دفاعاً مخيفاً وخارقاً . بل إنها واجهت شراسة مميّنة من جانب المقاتلين العرب إذ أن المشاة المصريين كانوا مزدوين بالصواريخ المضادة للدبابات من طراز « ساجر » و « سواتر » (شميل) بواقع صاروخ لكل ثلاثة رجال . على أن استخدام هذه الصواريخ لا يتطلب مهارة معينة بقدر ما يتطلب شجاعة من الجندى الذى سيقذفه ، فهو يتكون من صاروخ يمكن حمله ، وحقبة صغيرة ، ونظارة لتحديد المرمى . ويستطيع الجنود وهم متربصون خلف أحد التلال أو حتى وهم على الأرض المكشوفة أن يتوقفوا . ويدمجوا عناصر الصاروخ المختلفة ويفتحوا النيران . ويكنى الجندى عادة متابعة الهدف المتحرك (سواء كان دبابة أو عربة مصفحة نصف مجتررة) من خلال نظارة المرمى ، ويقوم جهاز الصاروخ الخاص بتحديد الهدف ، ثم يقوم الجندى بياق العملية بتوجيه الصاروخ بواسطة سلك رفيع جداً . ومن المعروف أن مدى هذه الصواريخ يصل إلى ثلاثة كيلومترات ، وتحديده للهدف شبه مؤكد . وقد نجح المشاة المصريون فى القضاء على كتائب مدرعة كاملة مثل كتيبة « برين » التى أمطرتهم بنيران مدفعتها ولكن دون جدوى .

وقد روى جنود المدرعات الإسرائيليون الذين أصابهم الذعر مما شاهدوه فقالوا :

« كنا نضرب ونضرب وكانوا هم يأتون دائماً ! !

وقد كانت هذه المفاجأة فى تكتيك العمليات من الأمور المثيرة للدهشة والاستغراب

إذ أن إسرائيل لم تكن تجهل وجود هذه الصواريخ ، وكان الصاروخ « آر . بي . جى ٧ »

الذى صنعه السوفييت فى عام ١٩٦٤ قد تبادلته جميع الكتب العسكرية لجيش « تسهال »

بالوصف الدقيق . أما فيما يتعلق بالصواريخ (شميل) أو الصواريخ (ساجر) فقد استعملت من قبل في حرب الأيام الستة ، وحرب الاستنزاف . . والحقيقة أن ما أثار دهشة الضباط اليهود هو استخدام المشاة المصريين لمختلف هذه الصواريخ ، وبأعداد كبيرة .

وقد تم تدمير عدد كبير من المدرعات الإسرائيلية (على أيدي المشاة المصريين حاملي الصواريخ) وقد اضطر عساف ياجورى- أحد قادة المدرعات الإسرائيلية (قائد اللواء ١٩٠) إلى أن يترك دبابته الستوربيون وهي مشتعلة ، ويسلم نفسه أسيراً في أيدي المصريين .

(توقيع)

جان كلود جيبو

الكاتب الفرنسى ومؤلف كتاب

(أيام إسرائيل الرهيبة)

.....

من أوراق «عبد الجابر» أحد قادة مجموعات صائدى الدبابات

. . فى ساعة الصفر كنت أتمركز مع أفراد القوة التى أقودها ، وهم من رجال المدفعية المشاة الذين تم تسليحهم بالصواريخ المضادة للدبابات إلى جانب القواذف وغيرها من الأسلحة . كنا نتمركز على مصاطب الساتر الذى أقامته قواتنا على الضفة الغربية للقناة لكى نصطاد من فوقها مدرعات العدو التى سوف تنطلق فى اتجاه القناة للتصدى لموجات العبور الأولى .

وبالمناسبة هذه المصاطب أعطت لنا دفعة قوية لأنها كانت مسيطرة تماماً على شرق القناة ، وكنا بمجرد أن صعدنا فوقها قد ألقينا نظرة على الضفة الشرقية حيث تعرفنا فى مشروعات التدريب على كل ما يتوقع أن يحدث فى المعركة . كان كل شىء محسوباً بدقة . بحيث أننا بعد عبورنا فى الساعة (كذا) سيقابلنا احتياطي مدرعات العدو (كذا) .

وأعود إلى أول عمل لقوتنا . . فى الساعة ٢,٢٠ ظهراً ظهرت دبابة ومجزرة إسرائيلية على طريق الشط (على بعد حوالى كيلومتر من القناة) وعلى الفور أطلق اثنان من صائدى الدبابات صواريخهما فانفجرتا بمن فيهما من أفراد . واستمر اصطيدانا لأى مدرعة يدفعها العدو نحو القناة .

وبعد آخر ضوء بحوالى ساعة . كنت مع زملائي موجودين شرق سراييوم فى منطقة أطلقنا عليها منطقة « البرميل » (وذلك لأننا عند قيامنا بالاستطلاع قبل العبور حدد لنا قائد التشكيل هذه المنطقة التى كان يشير إليها برميل سولار وضعه فيها العدو) .

قمنا بالتمركز فى هذه المنطقة . وأعدنا الحفر اللازمة وكان علينا سد الفاصل بين اللواء الأيمن واللواء الأيسر إلى أن يتلاقيا بعد تمام عبور قواتهما وإنشاء رأس الكوبرى . بدأ العدو فى الهجوم المنظم على الجانب الأيسر ، واستطاع اللواء الذى كان يقوده المقاتل عادل يسرى أن يصد الدبابات المعادية ، وقد تمكنت (١٢) دبابة منها من الدخول فى « الفاصل » الذى تحتله قوتى . . وكان موجوداً بالقرب منى فى ذلك الوقت المقاتل (. . .) ، وعند سماعى لصوت جنازير الدبابات المقتربة ، طلبت منه الإضاءة وما إن انكشفت أمامنا حتى انهالت عليها الصواريخ وقذائف ال. آر. بى. جى ، وتم تدمير سبع دبابات وهربت خمس دبابات إلى منطقة تسمى قرية الجلاء . وصدرت لنا الأوامر بالتحرك جنوباً والتعامل مع هذه الدبابات الخمس وبمجرد أن تمت إضاءة المكان . حاولت الهروب بأقصى سرعتها ، لكن أفراد القوة كانوا أسرع فى تدميرها عن آخرها . وكنا قد انتشرنا حولها فى شكل حدود حصان . وعندما تحركت فى اتجاه الشرق زجرت صواريخنا التى انطلقت من كل جانب بوميض أحمر وهى تتجه إلى هدفها . ومثلما حدث فى المعركة الأولى . فقدت دبابات العدو توازنها وفشل قادتها فى تحديد الأماكن التى تطلق منها الصواريخ ، فكانت تحركاتهم مضطربة ومرتبكة . والظريف أنه مما كان يساعدنا على تحديد أماكن هذه الدبابات . أن انفجار كل دبابة بذخيرتها كان يحدث ضوءاً قوياً نستغله فى توجيه المزيد من الصواريخ أو اصطياذ الأفراد الذين يقفزون من الدبابات المشتعلة . وكانت دقة زملائي فى إصابة مدرعات العدو موضع تعليقهم ، فقال لى المقاتل « . . . » (احنا فى التدريب كنا بنتدرب على ضرب أهداف أقل فى الحجم من دبابات العدو . . . » .

وأذكر أن المقاتل (. . .) فى هذه المعركة دمر دبابتين وكانت هذه هى بداية المنافسة بينه وبين عبد العاطى ويومى .

ومن المواقف المثيرة فى المعركة الثانية أن دبابات العدو فى اندفاعها السريع اقتربت تماماً من حفرنا ولم يترك واحد من رجالنا حفرته واحتفظنا جميعنا بهدوئنا . . حتى أن إحدى هذه الدبابات اقتربت من حفرتى ولم يعد يفصل بينى وبينها سوى خمسة أمتار

فقط . . . ثم انطلق الرجال خارج حفرهم وتعاملوا مع هذه الدبابات بالقنابل اليدوية وجميع الأسلحة ودمروها جميعها ولم تقع أية خسائر بين صفوفنا باستثناء إصابة طفيفة في يد المقاتل (. . .)

وأذكر أنني تركت حفرتي ، واتجهت بسرعة إلى أحد الأفراد لكي أوجهه للتعامل مع إحدى الدبابات التي بدأت تطلق نيرانها علينا ، وفوجئت بالمقاتل (. .) يرتجى على ويطرخني أرضاً لأنه لاحظ أن إحدى الدبابات قد صوبت مدفعها تجاهي . وسقطت القذيفة فعلاً بالقرب مني ولكنها على أية حال لم تطلق غيرها ، لأن صاروخ المقاتل (. . .) عاجلها على الفور .

لاعب الكرة الذي برز في صيد الدبابات :

كان عبد العاطي يعد أشهر صائدي الدبابات ليس في مجموعتي فقط . . ولكن في الجبهة كلها . . وقد لمع اسمه حينما دعى إلى افتتاح معرض الغنائم باعتبار أنه دمر أكبر عدد من دبابات العدو وهو ٢٣ دبابة . (بالمناسبة قد لا يعرف الكثيرون أن مجموع ما دمره عبد العاطي من دبابات هو ٢٦ دبابة ولكننا حسبنا له ٢٣ دبابة فقط لأن الدبابات الثلاث الأخرى التي دمرها أيضاً كانت في قطاع زميله بيومي) .

وقد لا يعرف الكثيرون أيضاً أنه كان من أبرز لاعبي الكرة في الوحدة ويبدو أن هوايته في تسجيل الأهداف العديدة في مرمى الفريق المنافس ، قد انتقلت إلى ميدان القتال حيث تنافس في إصابة الأهداف وكانت هذه المرة دبابات العدو .

ولكن الأهم من هذا كله . . أن عبد العاطي قد سجل رقمه القياسي بالرغم من أنه لم يشترك في القتال الفعلي - كصائد دبابات - إلا في اليوم الثالث (الإثنين ٨ / ١٠ / ١٩٧٣) بعد أن ألح على قائد المجموعة بأن ينتقل من مؤخرة القوة ليقوم بالتصدي لدبابات العدو مثل زملائه الذين نصبوا الكمائن ، وظلت أخبارهم تصل إليه عن الدبابات التي قاموا بتدميرها . وقد أخذ عبد العاطي يلح على قائده الذي أخذ يقنعه بالانتظار . لكنه بكى أمامه . . وقال له : « سيادتك لا تثق في قدرتي على تحقيق نفس النتائج التي حققها زملائي منذ أول يوم » .

ولم يجد قائده بدءاً من إعطائه واجباً قتالياً بعمل كمين في مكان محدد لبعض دبابات العدو المتقدمة .

اندفع عبد العاطى وزملاؤه الثلاثة إلى الموقع المحدد في حماس شديد وأخذوا يراقبون الأرض والتلال المرتفعة التى أمامهم . . . وبعد فترة وجيزة تقدمت الدبابات الإسرائيلية متخطية سطح التل الذى أمامهم ، وارتفعت أصوات الجنازير ، ولكن القائد لم يصدر لهم أمر الاشتباك حتى تظهر بقية الدبابات المخفية خلف السطح ، وفعلاً عبرت جميع الدبابات وكان عددها ثلاث عشرة دبابة ، وأعطى القائد أوامره بالاشتباك وكان أول من أطلق صاروخه هو عبد العاطى ، وتبعه بيومى صديقه الحميم وبدأ سباق غريب بينهما وبين دبابات العدو .

أخذت الصواريخ تهدر وقادة الدبابات يبحثون فى ارتباك عن مصدرها ويحاولون المناورة أو الالتفاف للهروب من هذه المصيدة .

وبعد عشرين دقيقة فقط انتهت أول معركة يشترك فيها عبد العاطى ، وقد دمر فيها تسع دبابات ، ودمر بيومى أربعاً ، وقد عاتبهما زميلهما عوض قائلاً : إنكم لم تتركوا لى شيئاً لأضربه »

المعركة الثانية :

بعد لحظات من المعركة الأولى ، صدرت الأوامر لعبد العاطى ورفاقه باحتلال موقع آخر ، وكان هذه المرة مرتفعاً وسيطر على الأرض التى تحيط به . ولم تمض فترة بسيطة حتى هاجمهم ست دبابات اندفعت نحو الموقع فى عنف وعصبية فسارع عبد العاطى إلى اصطلياد الدبابة الأولى ثم اصطاد الثانية والثالثة والرابعة والخامسة وكان يقوم بتجهيز الصاروخ بنفسه ثم توجيهه بعد أن أصيب قائده (. . .) إصابة خفيفة منعتة من مساعدته فى التجهيز ، وقد تمكن من مطاردة الدبابة السادسة التى سارعت بالفرار . . ودمرها قبل أن تخرج من مدى صاروخه .

ذاعت شهرة عبد العاطى وزملائه بين إخوتهم المقاتلين المصريين كما أدرك العدو أن الاقتراب من هذه المنطقة التى تربض فيها هذه الكمائن عمل انتحارى ولذلك فقد مرت أربعة أيام دون أن تظهر دبابة معادية واحدة وأخذ عبد العاطى وزملاؤه يشعرون بالملل والضيق فهم لم يتعودوا (كما قال بيومى) الجلوس هكذا بدون عمل .

والتقى عبد العاطى بقائده المقاتل جابر . . وطلب منه أن ينقله إلى قطاع آخر قائلاً فى لهجة مرحة « إن موقعنا الحالى لم يعد فيه رزق لنا » لكن قائده قال له لا تتعجل فلا بد أن العدو سيحاول مرة أخرى من خلال قطاعكم . .

لم يطل انتظار عبد العاطي وزملائه بعد هذا اللقاء ، ففي اليوم التالي مباشرة دفع العدو بإحدى دباباته ليحاول بأسلوب آخر القضاء على هذه المجموعة تمهيداً لاقتحام المنطقة ، . . جاءت تلك الدبابة واحتلت مكاناً يصعب رؤيتها منه حيث اختفت تماماً ، ولم يظهر منها أى جزء . . وأخذت تقصف الموقع بقذائف متتالية ثم تنزل مرة أخرى في مكانها وأيضاً اختفى موقع عبد العاطي تماماً فقد وجدوا أن القذائف تهدر بجوارهم وتأكدوا تماماً أنهم قد تم اكتشافهم ولكنهم في نفس الوقت ظلوا يراقبون في حذر دقيق مصدر النيران وفجأة رأى عبد العاطي مكان الدخان الذى ينبعث من مدفع الدبابة فحدد مكانها ، وانتظر لحظات يفكر فيها في أسلوب التعامل معها . وبعد فترة وجد أن الضرب قد انقطع ثم فوجئ بأن برج الدبابة وهو الجزء الذى أصبح ظاهراً الآن ، قد فتح وخرج شخص ثم وقف فوقه وأخذ يراقب الموقع بمنظاره لفترة زادت على دقيقة وقد اطمأن إلى أنه قد دمر تماماً ، وظهر ذلك من إشارته لبقية طاقم الدبابة الذى ظل بداخلها . ثم أخذ هذا الفرد يتناول بعض الحاجيات (مقذوفات فارغة) من داخل الدبابة ويلقي بها إلى خارجها وفي الحال أسرع عبد العاطي في الاستعداد ، وبالدكاء المصرى اللماح استنتج أن الدبابة المتربصة تحتاج إلى فترة زمنية حتى يمكنها الاشتباك من جديد ، ومع أنها من الأهداف الصعبة إلا أنه قرر أن يبعث لها صاروخاً أو « يشيع لها صاروخ » على حد تعبيره . وتوكل على الله ، وأطلق صاروخه بكفاءة مذهلة ، فانفجرت الدبابة وتطايرت أجزاؤها وانتشرت من حوطها الجثث .

ودمرها بصاروخ « لوب » :

كعادتها . . استنجدت المدرعات الإسرائيلية بالطائرات لتخلصها من هذه المجموعة من المقاتلين وقامت الطائرات الفانتوم والسكاي هوك والميراج بغارة كثيفة لم تحقق منها شيئاً . . سوى سقوط طائرة سكاي هوك . . بصاروخ سام ٧ وهروب بقية الطائرات .
وبحث العدو عن أسلوب آخر . . فدفع دبابة نحو الموقع وخلفها عربة مدرعة محملة بعدد كبير من الجنود . . ومثلما جدد العدو في أسلوبه جدد عبد العاطي في استخدامه للصاروخ ، فبعد أن دمر زميله بيومي الدبابة المتقدمة هجر الجنود عربتهم المدرعة التى كانت تقف خلف الدبابة المصابة وانتظر عبد العاطي إلى أن ظنوا أنهم أصبحوا في أمان ولكنهم ما كادوا يعودون إلى عربتهم المدرعة حتى أطلق عبد العاطي صاروخاً

« لوب » أى أنه ارتفع ليمر من فوق الدبابة المصابة وسقط مباشرة على العربة المدرعة من أعلى فانفجرت عن آخرها ولم ينبج جندى واحد من طاقمها .

هكذا توالت المعارك وتوالت خسائر المدرعات الإسرائيلية التي تلقى قادتها تعليمات بعدم الاقتراب من المشاة المصريين . . بل إن هذه المعارك بين الفرد المصرى المشاة والدبابة أو المدرعة الإسرائيلية جعلت الخبراء العسكريين العالميين يعيدون النظر فى دور الدبابة فى الحروب الحديثة .

ويبقى أن أقول إننى لم يقع اختيارى على عبد العاطى وزملائه (عفاريت عبد الجابر) كما أطلق عليهم قائد مصرى كبير . . لأنهم التماذج الوحيدة لصاندى الدبابات المصريين فهناك المئات والآلاف من عبد العاطى ويومى وطلعت وعبد الجابر اشتركوا جميعاً فى صنع سيمفونية رائعة ومفاجئة بالنسبة لمدرعات العدو التي اعتبرها قادة إسرائيل عنصراً أساسياً من عناصر نظرية الأمن الإسرائيلية .

والآن كيف صور رجال المدرعات الإسرائيلية ما فعله فيهم صيادو الدبابات المصريون؟ لقد نشرت روايات عديدة تبين جميعها مقدار الرعب وحجم الخسائر التي أوقعها المشاة المصريون (من رجال المدفعية) فى مدرعات العدو . . ولكننا نكتفى بما قاله واحد من قادة سرايا المدرعات الإسرائيلية . . هو « بارى شمير » الذى كانت سرية فرسة لمجموعة عبد العاطى . . أما ما يرويه الإسرائيليون عن (قذائف) المدفعية المصرية فنجد مثلاً له من خلال ما يقوله (أورى دان) .

رقصة الصواريخ :

« . . . منذ الخميس ٤ / ١٠ / ١٩٧٣ ألغيت جميع الإجازات فى سرتى ، مثلما ألغيت فى جميع القوات ، وقد اتخذت مدرعاتنا مواقعها فى القطاع الأوسط من القناة على بعد نحو سبعة كيلومترات من خط المياه . . كانت معظم سرايا الدبابات منتشرة بنفس الطريقة . والآن كلفت سرتى بالوصول إلى خط المياه فى المناطق التي يعبر منها المصريون لعرقلتهم ومنع إقامة رؤوس الجسور ، ولكن المصريين لم يستعملوا مناطق العبور

obeikandi.com

الغامض . . لم أكن أعرف بعد ماذا يسمونه ولا أنه عندما يمتحرق الدبابة يولد موجة من الحرارة تزيد على ١٠٠٠ درجة مئوية وأنه يدمر أجهزة الدبابة ، ومن شأنه إحراق كل من يجلس فيها . هذا ولم يكن حظ الدبابات الأخرى في سرتي بأفضل من حظنا فعندما نظرنا من خلف التلال الرملية شاهدنا مشاعل تحترق . . وقد كانت هذه منذ دقائق دبابات السرية ! !

.....

(توقيع)

بارى شمير

« كان ضباط الاستطلاع المصريون (ضباط المدفعية الذين يقومون بتصحيح الضرب) يجتنبون بالقرب من قواتنا ويتجولون هناك وكانوا يوجهون المدفعية بالنظارات المكبرة وأجهزة اللاسلكى من مسافة لا تبعد ٥٠٠ متر عن قواتنا وكانوا يوجهون مدفعيتهم إلى المظليين (الذين طلبنا مساعدتهم في مواجهة كمائن المشاة المزودين بالصواريخ) وكلما كان هؤلاء المظليون يتحركون ، كان هؤلاء الضباط يوجهون مدفعيتهم نحوهم . . ولقد كانوا يفعلون ذلك في الليل أيضاً بمساعدة القنابل المضئية .

لقد كانت قذائف المدفعية المصرية قاتلة . كانت تصيب الأفراد والأشجار وتنفجر في الجو وكانت الشظايا رهيبية وفي ثلاث حالات (في هذه المعركة) سببت القذائف انهيارات دفنت جنودنا في حفرهم . . وقد تكبد رجالنا من المظليين نحو ٥٠٠ قتيل وأكثر من ٩٠٠ جريح في هذه المعركة . .

(توقيع)

جنرال أورى دان

(٤)

أكبر مصيدة للطائرات

بعد كل ما ذكرناه عن الذراع الطويلة أو سلاح الردع الإسرائيلي الأول ، وكل ما قيل عنه ، لسنا بحاجة إلى أن نقول إن قيادة تسهال (جيش الدفاع الإسرائيلي) أصدرت الأوامر لقواتها الجوية بالتصدي فوراً للقوات المصرية والسورية وضربها بشدة وقسوة لإفشال عمليات العبور والاقترام ، ثم الاتجاه إلى العمق المصرى والسورى لتدمير المطارات والأهداف العسكرية والحيوية - ولا مانع من ضرب بعض الأهداف المدنية (من باب التهذيب والإصلاح . .) .

وكانت قيادة (تسهال) مطمئنة تماماً لما سيفعله سلاحها الجوى خاصة وأنه إلى جانب (قوته الأسطورية !) قد تلقى إنذاراً قبل الحرب بفترة كافية ليكون في أقصى حالات التأهب والاستعداد .

ولكن حرب أكتوبر ١٩٧٣ حملت للطيران الإسرائيلي واحدة من مفاجآتها العنيفة ، وكانت أولى دلائل الفشل هي تأخر رد الفعل الجوى الإسرائيلى لمدة ٤٠ دقيقة كاملة . نتيجة للضربة الجوية المصرية التى شلت تفكير وحركة القوات الإسرائيلىة وعلى رأسها السلاح الجوى طوال هذه المدة .

ولكن برغم هذا التأخير . . انطلقت الطائرات الإسرائيلىة الفانتوم والميراج والسكاي هوك إلى سماء المعركة . . إلا أنها ما كادت تقترب من أهدافها . . حتى وجدت فى انتظارها المفاجأة المؤلة لها وإسرائيل كلها .

لقد انتصب حائط الدفاع الجوى المصرى (والسورى أيضاً) فى وجه هذه الطائرات المطمئنة الواثقة فى إمكانياتها . . وبدأ التساقط السريع . . وتهاوت الفانتوم والميراج والسكاي هوك كالعصافير على حد تعبير الضابط الإسرائيلى (موتى اشكنازى) وكما شهد المراسلون العالميون . وإذا كنا نحن قد تكلمنا عن الجانب الدفاعى للسلاح الجوى المصرى فى هذه المعارك . . فإننا نتوقف الآن أمام حائط الصواريخ . . أو بتحديد أكثر « أسلحة المقاومة الأرضية للطائرات » . .

الإنجازات العامة :

١ - قامت قوات الدفاع الجوي (الأرضية) بحماية مناطق الحشد للقوات المسلحة المصرية ، كما وفرت الحماية لهذه القوات في أثناء تنفيذها للمرحلة الأولى من الهجوم ، وبعد أن تمركزت في سيناء فشكلت فوقها مظلة من الصواريخ المضادة للطائرات .

٢ - شاركت وحدات الدفاع الجوي الملحقه بتشكيلات القوات المسلحة في تحقيق كافة المهام المحددة لها .

٣ - شاركت قوات الدفاع الجوي (بالتنسيق مع الطائرات المقاتلة الاعراضية) في حماية العمق المصرى ، ومنع طائرات العدو من ضرب المطارات والأهداف العسكرية والمنشآت الصناعية في سائر أنحاء الجمهورية .

صورة لحائط الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات :

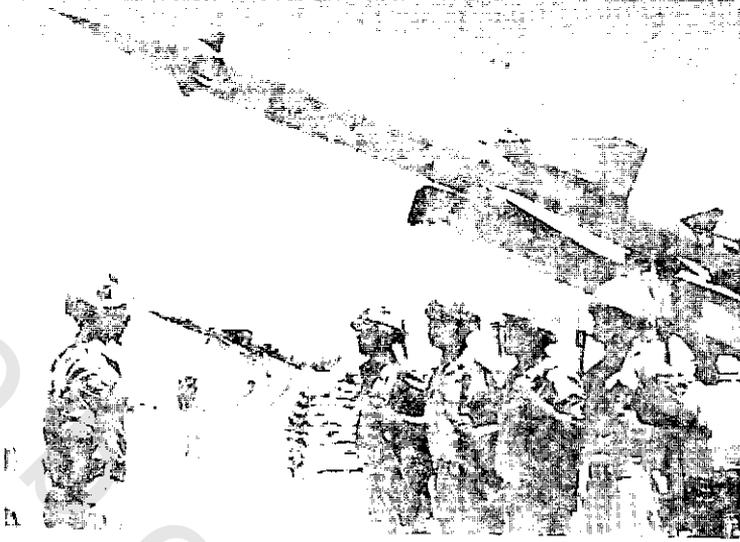
امتدت قواعد الدفاع الجوي المصرى بامتداد المواجهة من السويس جنوباً إلى بورسعيد شمالاً على طول قناة السويس ، وكان امتدادها من الجنوب إلى الشمال امتداداً لشبكات أخرى من القواعد المضادة للطائرات حتى لا تكون هناك ثغرة في الطرف الجنوبي للحائط العملاق . وقد كان عمق هذا الحائط من القواعد الصاروخية يكفل لتشكيلات القوات المسلحة الحشد والانتشار في أوضاع الهجوم والاعتحام .

وأيضاً كان كافياً للتعامل مع الطائرات المعادية التي قد تستطيع الإفلات من إحدى القواعد الأمامية حيث كانت تنتظرها على الفور قواعد أخرى .

(بلغ عدد منصات إطلاق الصواريخ أكثر من (٨٠٠) منصة بالإضافة إلى عدد هائل من بطاريات المدافع المضادة للطائرات) . .

ومن جهة أخرى حددت قيادة الدفاع الجوي مواقع تكتيكية لهذه القواعد بحيث تشكل فيما بينها حماية متبادلة . بمعنى أن الطائرات التي تحاول ضرب قاعدة منها . . لا بد أن تكون في متناول القواعد الأخرى . .

وقد كانت هذه النظرية من أبرز نجاحات الفكر العسكري المصرى في هذا المجال . كذلك اتسم عمل القواعد بالمرونة وسرعة الحركة التابعتين من الكفاءة الفنية والبدنية والمعنوية العالية لرجال الدفاع الجوي . فكانت تتم مناورات وانتقالات مستمرة بعد كل



فريق محمد على فهمى قائد قوات الدفاع
الجوى أثناء الحرب



اللواء حلمى عفتى قائد قوات الدفاع
الجوى [بعد تعيين الفريق محمد على
فهمى رئيساً للأركان]



معركة مع طائرات العدو ، بحيث تتغير مواقعها من وقت لآخر بعد أن يكون العدو قد التقط صوراً للمواقع الأولى ، وأيضاً لعب رجال الدفاع الجوي بالقواعد الهيكلية في مهارة وجسارة حتى أن عدداً من طائرات العدو تم إسقاطها في الوقت الذي تصور فيه طياروها أنهم دمروا الموقع الذي لا يكون سوى موقع هيكل . .

ولا بد أن الفكر العسكري سيتوقف بالتحليل أمام عملية موامة أوضاع قواعد الصواريخ مع أوضاع القوات البرية المتقدمة لتحفظ لها بالمظلة الصاروخية كغطاء يحميها من الطائرات المعادية . وهذه العملية المعقدة لا يمكن أن تتم إلا إذا توافرت لدى الرجال أقصى درجات الكفاءة الفنية والتكتيكية ، وأعلى درجات الحذر واليقظة والذكاء المتوقع .

صور لانتهيار السلاح الجوي الإسرائيلي :

بعد أن تحطمت موجات الطائرات الإسرائيلية التي اندفعت لضرب المعابر وتجمعات القوات المصرية على جانبي القناة . بدأ الطيران الإسرائيلي ، يعمل بنوع من الحذر . . ولكن المعارك التي كان مضطراً لدخولها حولت الحذر إلى خوف واضح فتكررت هذه المشاهد والمواقف :

١ - نتيجة لدقة استخدام الصواريخ ، وبالتالي زيادة الخسائر في الطائرات المغيرة لوحظ أن بعض الطيارين الإسرائيليين كانوا يقفزون من طائراتهم بمجرد أن تشير أجهزة الإنذار لديهم بصورها المختلفة إلى أن قذيفة صاروخية مضادة أطلقت عليهم . وقد تكرر ذلك بالفعل . . حتى أن عدداً من تلك الطائرات كان يسقط من تلقاء نفسه بعد هبوط الطيارين !!

٢ - أصدرت القيادة الإسرائيلية تعليماتها إلى الطيارين بعدم الاقتراب من قناة السويس لمسافة ١٥ كيلومتراً حتى لا تصطادهم الصواريخ المصرية المضادة للطائرات .

٣ - ثبت في بعض الحالات (خاصة مع الطيارين المرتزقة) أن القيادة الإسرائيلية قد ربطتهم في مقاعدهم ، أو نزعت جهاز إطلاق المقعد بالمظلة في حالة إصابة الطائرة .

٤ - أضرب الطيارون الإسرائيليون في بعض القواعد. عندما لاحظوا تناقص عددهم بشكل متزايد نتيجة للخسائر العالية .

(وصلت نسبة الخسائر في الطائرات الإسرائيلية إلى ١٠٠٪ في بعض الحالات ، مثلما حدث في الإغارة على أحد المطارات في شمال الدلتا ، حين أسقطت الصواريخ جميع

الطائرات الفانتوم والميراج التي قامت بالإغارة . . وقد سقط طياراً ١٠٠ ما بين قنيل وجريح وأسير .

٥ - سارعت إسرائيل - بعد وصول الإنقاذ الأمريكي عبر الجسر الجوي والبحرى إلى تغيير أسلوب سلاحها الجوي الذي أضيفت لطائراته أجهزة الإعاقة الإلكترونية الحديثة لمواجهة الصواريخ المصرية (سام ٦ وسام ٢ وسام ٣ وسام ٧) ، لكن الرجال من قوات الدفاع الجوي أدركوا التغيير الجديد ، وتعاملوا مع الطائرات المعادية بأسلوب آخر . . وكبدوها خسائر ضخمة حتى أنه اسقط فوق بورسعيد وحدها خمسون طائرة فانتوم وميراج وسكاي هوك .

٦ - أصيب عدد من الطيارين الإسرائيليين بصدمات عصبية ونفسية امتد تأثيرها لفترة طويلة .

٧ - تقول المصادر الغربية إن إسرائيل خسرت ٢٠٠ طائرة ، بينما تقول المصادر الشرقية إن عدد الطائرات التي أسقطت لإسرائيل ٢٨٠ طائرة وقد ذكرت القيادة الإسرائيلية أن ٣٠٪ من هذه الطائرات أسقطتها الصواريخ ، ٣٠٪ سقطت بفعل المدافع ٢٣ مم الرباعية المواير (الشيلكا) وبالرغم من أنهم ذكروا أن ١٥٪ من الطائرات سقطت في معارك جوية . . ولم يذكروا شيئاً عن الـ ١٥٪ المتبقية إلا أنه مع ذلك يبقى للدفاع الجوي الفضل في إسقاط ٦٠٪ من مجموع ما سقط من الطائرات الإسرائيلية .

نتائج هامة جداً :

١ - أسهم الدفاع الجوي في تحطيم أسطورة ذراع إسرائيل الطويلة أو عصا إسرائيل الغليظة وهي سلاحها الجوي ، وبذلك تحطم جزء أساسى من نظرية الردع الإسرائيلية ، ونظرية الأمن ذاتها . .

٢ - كشف الأداء والتخطيط العظيمان لقوات الدفاع الجوي زيف الادعاء بأن هناك فجوة تكنولوجية واسعة تفصل بين التقدم الإسرائيلى والتخلف العربى . إذ أن وسائل الدفاع الجوي التي استخدمها المقاتل المصرى والسورى بلغت من الدقة والتعقيد حدًّا يصعب استيعابه إلا من مقاتل متقدم يتمتع بالذكاء والثقافة والقدرة على التصرف المرن السريع .

.....

قالوا عن شبكة الدفاع الجوي المصري :

« لقد كانت شبكة الدفاع الجوي المصري تعمل بدرجة عالية من الكفاءة جعلتها تسقط لا أقل من عشر طائرات في أول ساعتين من القتال في حرب أكتوبر ، الأمر الذي جعل قيادة القوات الجوية الإسرائيلية تحذر كافة الطيارين من الاقتراب من هذه الشبكة لأكثر من مسافة ١٥ - ٢٠ كم .

لقد أثبتت شبكة الدفاع الجوي المصري التي أنشئت أثناء المراحل الأخيرة من حرب الاستنزاف في الفترة من ١٩٦٨ - ١٩٧٠ ، فعاليتها تماماً .

(توقيع)

المفكر العسكري الجنرال ادجار أوبلانس

« إن القدرة الكاملة لنظم أسلحة الدفاع الجوي لم تظهر واضحة إلا في حرب أكتوبر في الشرق الأوسط . . ذلك أن اجتماع المدفعية التقليدية وصواريخ أرض / جو وطائرات الاعتراض أتاح استخدام نظام دفاع جوي فعال يغطي عمليات عبور القناة ومنطقة الإمدادات في الخلف ، ومنطقة العمق في مصر» .

(توقيع)

(جنرال فارار هوكلي)

رئيس قسم تطور القتال

في القوات المسلحة البريطانية

« إنني بعد النتائج التي حققتها شبكة الدفاع الجوي المصري ، وبعد زيارتي لعدد من قواعدها أقول إنني لم أكن أتمنى أبداً أن أكون طياراً إسرائيلياً » .

(توقيع)

خبير عسكري فرنسي

« في الأيام الأولى من الحرب كانت هناك ثلاث طائرات تسقط على جبهة القناة من بين كل خمس طائرات إسرائيلية تحاول الإغارة على القوات المصرية وجسور العبور» .

(توقيع)

أحد مراقبي الأمم المتحدة

في تحقيق نشرته النيوزويك الأمريكية

صور من سجلات رجال الدفاع الجوي المصري

رجل يواجه طائرة ! !

كانت إحدى صور الشجاعة الممتزجة بالكفاءة النادرة تتمثل في رجال الدفاع الجوي الذين يستخدمون صاروخ الكنتف (استريللا) ، حيث يصبح الأمر هنا صراعاً بين رجل فرد وطائرة مقاتلة قاذفة . .

ومن قصص هؤلاء الرجال . . قصة المقاتل نعيم . . وتقول تفاصيلها « كان ذلك في يوم الأحد ٧/١٠/١٩٧٣ . . حين كانت القوات المصرية تواصل عبورها واقتحام الموانع والتصدى للهجمات الإسرائيلية المدرعة ، عندما ظهر في السماء أربع طائرات إسرائيلية من طراز فانتوم أقبلت بحمولاتها الضخمة من القنابل والصواريخ مستهدفة المعابر ومن عليها . وكان نعيم يقف مع زملائه الثلاثة عند بداية المعبر ، عيونهم تلاحق الطائرات المعادية . كانت المسافات بين الرجال الأربعة تكاد تكون منتظمة ، وسقطت قنابل الفانتوم في المياه وعلى السد الترابي ، وتطايرت الشظايا . واستدارت الطائرات الأربع عائدة إلى قواعدها ولكن نعيم وزملاءه المقاتلين الثلاثة كانوا قد أطلقوا بسرعة البرق أربعة صواريخ من القواذف التي يحملونها فوق أكتافهم .

ومرقت الصواريخ كالسهام النارية وأخذت تطارد الطائرات حتى انجذبت إلى مؤخرتها بسرعة خارقة . وانفجرت الطائرات الأربع في السماء . . وتناثرت شظاياها وجثث طيارها الثمانية على الأرض . . واستمر المعبر في القيام بمهامه . . أما نعيم وزملاؤه . فقد استعدوا لأي هجوم آخر . .

لا بد أن تواصل القاعدة عملها :

في ظهر يوم ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، كانت كتيبة الصواريخ المضادة للطائرات التي يقودها المقاتل أيمن (في بورسعيد) تشتبك مع أربع طائرات إسرائيلية . وفجأة أصيبت إحدى المعدات بعطل مفاجيء ، واستلزم هذا العطل أن يتقدم أحد الأبطال للتحكم في

الأسلاك التي تعطي جهداً كهربائياً عالياً (يكتفى لصق مائة فرد في لحظة خاطفة) وقرر المقاتل أيمن أن يقوم هو نفسه بهذه المهمة الخطيرة ، وبالفعل اتجه نحو الأسلاك وأمسك في يده بقطعة صغيرة من الخشب وأخذ يضغط بها وأصدر أوامره بإطلاق ثلاثة صواريخ . فاهترت أرجاء الموقع ، وزجرت الصواريخ الثلاثة وهي تندفع في شراة نحو ثلاث طائرات معادية من طائرات العدو . . كل هذا والقائد أيمن ما زال ممسكاً بالقطعة الخشبية التي يضغط بها على الأسلاك حتى لا ينقطع التيار الكهربائي أثناء توجيه الصواريخ إلى الطائرات الإسرائيلية .

وأبلغ ضابط التوجيه القائد . .

« الهدف الأول . . تدمر بصاروخ واحد . . »

وراحت عيون الرجال تتابع الصواريخ على شاشة الرادار وهي تقترب من الطائرات الباقية . وصاح ضابط التوجيه مرة ثانية .

« الهدف الثاني . . تدمر بصاروخ واحد . . »

وفي تلك اللحظة قطع السكون داخل كابينة القيادة صوت من خلال مكبر الصوت المعلق على جدارها : « العطل تم إصلاحه » . .

ورفع أيمن يده عن الأسلاك . . وأقبل نحوه ضابط إطلاق الصواريخ وعانقه وهو يقول له :

« والهدف الثالث . . تدمر بصاروخ واحد يا افتدم . . »

حتى آخر قطرة من دمه :

أحد مواقع المدفعية المضادة للطائرات على ساحل البحر الأحمر حيث كان يتم الدفاع عن بعض الوحدات البرية من المشاة والدبابات المتمركزة على ساحل البحر . . ورجال الموقع لا يتوقفون عن العمل واليقظة . .

وبينما كان أحدهم (مصطفي) جالساً فوق مقعده ، ويدها ممسكتان بمنجلة مدفعه المضاد للطائرات من العيار المتوسط ، وعيناه تدققان النظر في التلسكوب الموضوع أمامه ، ويدور المدفع في قوس تفتيش بحثاً عن أي طائرة إسرائيلية قد تظهر في الأفق الممتد ، أمامه ، في تلك اللحظة يعلو صوت قائد طاقم الموقع وفي يده سماعة التليفون :

« طائرات معادية . . الاتجاه (.) المسافة (.) الارتفاع (.)

استعد . . للاشتباك . . »

واندفعت القذائف من فوهات المواقع ، وأخذ مصطفي يضغط على بدال ضرب النار بمدفعه بكل قوته ، وتقذف الطائرات التي فشلت في الاقتراب من الموقع بحمولاتها بعيداً لكن إحدى القنابل تسقط بجوار مدفع مصطفي ، وتدخل شظية منها في ساقه اليمنى فتمزقها ، لكنه لم يعد يهتم إلا بمواصلة التصدي للطائرات المغيرة . . توحدت كل أفكاره وطاقته في الإصرار على الدفاع ضد العدو . . وبدلاً من ساقه المصابة أخذ يضغط بيده اليمنى على بدال ضرب النار ، بينما يوجه المدفع بيده اليسرى .

وفشلت الطائرات مرة أخرى في ضرب هدفها لكن قنبلة ثانية تسقط بجواره مباشرة . . فيسقط مصطفي شهيداً دون أن تفارق يده منجلة مدفعه التي ظل قابضاً عليها . .



إنهم يدخلون في كل مكان . . وبكل وسيلة

كان الجنرال سموئيل جوزين قائد القوات الإسرائيلية في جبهة سيناء ، مجتمعاً مع ضباط القيادة في غرفة العمليات ، لمناقشة عملية الصد والهجوم المضاد على القوات المصرية التي تواصل عبورها إلى سيناء ، وتحاصر وتحتل عدداً من النقاط الحصينة من خط بارليف . . وفجأة . . تلقى الجندي الذي يعمل على جهاز اللاسلكي في غرفة العمليات إشارة عاجلة . . ما كاد يسمعها حتى سقط مغشياً عليه . والتقط أحد الضباط تلك الإشارة ، ثم أسرع إلى الجنرال جوزين ، وقال له بصوت متلعثم مرتبك :

« إن قوات الكوماندوز المصريين توغلت في العمق ، وتقوم بمهاجمة أهداف في منطقتنا هذه !! ! »

وساد الارتباك والقلق غرفة عمليات القيادة . وسارع جوزين وضباطه إلى الإمساك بأسلحتهم الشخصية في أيديهم . . ولم يتخلوا عنها طوال الاجتماعات .

.....

وفي منطقة أخرى كان أحد القادة الإسرائيليين (الجنرال كالمان ماجن) يصرخ في جهاز اللاسلكي : « إن الكوماندوز المصريين يدخلون إلى سيناء من كل مكان . . وبكل وسيلة ، إنهم يأتون من الجو . . ومن البحر . . وعلى الأقدام . . إن هذه القوات تقاتل بشراسة وهي مسلحة بأحدث الأسلحة » .

.....

وفي الساعة ١١،٣٠ من صباح الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣ . . كان الجنرال موشيه ديان وزير الدفاع الإسرائيلي في الهليوكبتر متجهاً إلى مقر قيادة جبهة سيناء عندما تلقت غرفة عمليات القيادة إشارة أخرى عن ظهور وحدات من قوات الكوماندوز (الصاعقة) المصريين فاتصل به الجنرال جوزين في الجو وقال له :

« لا تهبط بالطائرة . . على الأقل لا تهبط بها في هذه المنطقة . فالكوماندوز المصريون منتشرون هنا الآن !! ! »



العميد إبراهيم الرفاعي : كانت حياته وكان استشهاده منحة بطولية رائعة



لعميد محمود عبد الله قائد فصلات



العميد نabil شكري قائد فصلات الصاعقة المصرية

مقاتل صاعقة ينتظر صيده



بعض رجال الصاعقة في أحد الكمان التي ألحقت بالقوات الإسرائيلية خسائر فادحة



لقد نشروا في كل مكان خلف خطوط العدو ، وبين قواته . وحيثما كانوا يظهرون ، كانوا بثيرون الرعب والفرع



وأصدر ديان أوامره السريعة لقائد الطائرة بتغيير الاتجاه والبحث عن مكان آخر
يكون الهبوط فيه مأموناً ! !

أما هم . . رجال الصاعقة (الكوماندوز) المصريون . . فقد كانوا ينتقلون في خفة النمر
بطول وعمق الجبهة كلها . . يظهرون فجأة . . ويوجهون ضرباتهم إلى دبابات العدو
ومواقعه . . ويختفون لكي يظهروا في أماكن أخرى ولكي يبثوا الرعب والفرع حيثما حلوا . . .

وكانت المهام الملقاة على عاتقهم صعبة وانتحارية . . فهم عندما تلقوا الأوامر بالانطلاق
إلى المواقع الإسرائيلية في سيناء . . وخلف خطوطهم . . كانوا - كما قال أحدهم ضاحكاً -
يعلمون أنهم قطعوا تذكرة ذهاب . . بلا عودة ! !

. . . كان على رجال الصاعقة أن يكونوا طليعة قوات العبور . . ومنهم كانت الوحدات
التي كلفت بمحاصرة وإسقاط عدد من النقاط الحصينة لخط بارليف . ومنهم كانت
الوحدات التي اندفعت فور عبورها القناة واقتحامها الموانع الأخرى داخل سيناء لتشارك
مع مشاة المدفعية في صد وتدمير المدرعات الإسرائيلية التي ستتحرك نحو القناة
لضرب عملية العبور . ومنهم كانت المجموعات التي تم إبرارها داخل سيناء لضرب الخطوط
الخلفية للعدو وإرباك أو منع مدرعاته من اجتياز الممرات الرئيسية نحو الغرب . .
وهم كلهم شاركوا بجرأتهم وتضحياتهم الهائلة في إرباك قيادة العدو وبث الذعر في
القوات الإسرائيلية . . وتكبيدها خسائر كبيرة . . ثم - وهذا هو الأهم - استطاعوا أن يقدموا
للعالم صورة رائعة للمقاتل المصري في ذروة اللياقة البدنية والذهنية والثقافية تنسجها
جميعاً شجاعة غير عادية .

ويعترف الكثيرون في أنحاء العالم بهذه الحقيقة فتقول - مثلاً - صحيفة « الصنداي
تايمز » :

« لقد حظى الكوماندوز المصريون بقدر كبير من الاحترام الذي يشي بالحق من
جانب الإسرائيليين ! ! »

وقائع . . وصور

من سجلات مجموعة الصاعقة (٣٩) :

٥ أكتوبر ١٩٧٣ :

قامت بعض وحدات المجموعة ، مع وحدات مجموعات أخرى من الصاعقة بالتسلل ليلاً إلى الضفة الشرقية . وأبطلت جميع معدات وأجهزة ضخ النار النابالمية التي أعدها الإسرائيليون على الضفة الشرقية لكي يشعلوا بها القناة عندما تعبر القوات المصرية .

٦ أكتوبر ١٩٧٣ :

قامت بعض وحدات المجموعة بقصف آبار ومنشآت البترول في بلاعيم .

٧ أكتوبر ١٩٧٣ :

في واحدة من أكبر العمليات وهي الإغارة على مواقع العدو في شرم الشيخ اشترك فيها جميع ضباط المجموعة ، وأكفأ صف ضباطها ، فأبحرت ٦ لنشات من الغردقة لترسو على رأس محمد ، وتنصب قواعد الصواريخ ، وتطلقها على منشآت ومواقع العدو هناك . كانت المسافة من الغردقة إلى شرم الشيخ ١١٠ كيلو مترات ، والبحر الأحمر بطبعه قاس ، يبلغ ارتفاع أمواجه ثمانية أمتار .

كان قد تم التجهيز لهذه العملية قبل بدء الحرب بعام كامل . وعندما بدءوا تنفيذها اليوم ، كان جو البحر عاصفاً ، لكنهم استمروا في إبحارهم بعد أن عاد لنشان إلى القاعدة في شدوان ودارت معركة مع طيران العدو ، ثم ظهرت لنشاته المسلحة التي تمكنت من إصابة القارب الذي يقوده المقاتل (وسام) واقترب أحد اللنشات من القارب المصاب وبدأ يوجه إنذاره من مكبرات الصوت . « سلموا أنفسكم » وفجأة دار القارب ، واندفع ناحية اللنش الإسرائيلي الذي اختفى بأسرع ما يمكن . وبدأت معركة أخرى مع طيران العدو تخلص منها القارب . وواصل مهمته .

.....

يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ :

أغارت المجموعة على منطقة شلاطيم :

يوم ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ :

أغارت المجموعة على منطقة الطور ، وضربتها بصواريخ ١٢ ملم .

يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٣ :

وحتى وقف إطلاق النار : تصدت المجموعة لقوات الثغرة التي حاولت الوصول إلى الإسماعيلية ومنعتها من تحقيق هدفها بعد أن كبدها خسائر ضخمة .

.....

من أوراق المقاتل صاعقة شلمى :

في ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ٧٣ قامت الهليكوبتر بإبرارنا في عمق سيناء في القطاع الشمالى الذى يبعد (٣٠) كيلومتراً من القناة ، وكان علينا أن نسير على أقدامنا (٤٠) كيلو متراً أخرى لكي نصل إلى المحور الشمالى ، وهو الطريق الرئيسى لمرور مدرعات العدو واحتياطاته إلى قناة السويس .

وقبل أن نتحرك أحس العدو بوجودنا في المنطقة ، فحاول البحث عنا بطائرات الهليكوبتر . وكان قرارى للرجال بأن نتقدم بأقصى سرعة لنصل إلى مسرح العمليات في التوقيت المحدد ، وفعلاً دخلنا المنطقة المحددة ، ثم تمركزنا في مكان يبعد عن المحور الشمالى بحوالى ٥٠ متراً فقط ، وكانت مهمتنا أن نعطل تقدم الدبابات الإسرائيلية عن طريق هذا المحور بأى ثمن ولدة تتراوح بين ساعتين وأربع ساعات ، وذلك لإعطاء الفرصة أمام قوات الجيش الثانى لإنشاء المعبر ، وعبور المدرعات بدون تدخل كامل من مدرعات العدو .

... عندما وصلنا إلى المكان المحدد وجدنا أمامنا أربع دبابات قامت بالضرب علينا من جميع الاتجاهات ، وكانت المسافة لا تزيد على ١٠٠ متر فقط . . وأصدرت قرارى بالتريث وعدم الرد عليها حتى لا يكتشف العدو موقعنا . والتزمنا الصمت الكامل لمدة (٤٥) دقيقة انسحبت بعدها الدبابات الأربعة . ولم نكن قد تعرضنا لأى خسائر .

واتخذنا مواقعنا حول المحور ، وتم حفر هذه المواقع وتمويها جيداً ، وفي الساعة الثانية والنصف من صباح الأحد ٧/١٠/١٩٧٣ بدأ العدو عملية جس النبض فحرك عربتين نصف جنزير وعربة جيب ، ثم عادت العربات الثلاث مرة أخرى بأقصى سرعة .

وفي الساعة السادسة صباحاً ، سمعنا دبابات العدو تتقدم على المحور من اتجاه العريش (وكانت عبارة عن لواء مدرع يتجه إلى ناحية القناة لإنقاذ المواقع الحصينة من خط بارليف) . تركنا الدبابات تتقدم حتى وصلت بداياتها أمامنا تماماً . فأصدرت أوامري بفتح النيران ، واشتبكتنا معها بجميع الأسلحة الموجودة معنا ، وهي أسلحة خفيفة مضادة للدبابات ، وقنابل ، وصواريخ مضادة للدبابات أيضاً .

وكانت نتيجة المعركة حاسمة . ففي خلال ساعتين خسر العدو (١٨) دبابة وأتوبيس ، وعربتين نصف جنزير ، وعربتين للأفراد ، وعربتين جنزير .

... وقد تحركت باقي مدرعات اللواء الإسرائيلي إلى الخلف هاربة من المعركة .

وهكذا نجحنا في تحقيق مهمتنا الأساسية وهي منع تقدم العدو إلى منطقة القناة حيث أن اللواء المدرع توقف ، وانسحب إلى الخلف ليعيد تنظيم صفوفه . وليخلى المنطقة من الدبابات المدمرة التي سدت الطريق . . كما أننا في نفس الوقت أوقفنا بالعدو خسائر كبيرة . بينما لم نخسر نحن مقاتلاً واحداً .

جاءوا للانتقام . . فصاحوا . . لا تقتلنا يا مصرى :

في محاولة سريعة من العدو للقضاء علينا بأي وسيلة ، وصلت على الفور إلى المنطقة وخلفنا أربع طائرات هيلوكبتر هبط منها حوالي ٨٠ فرداً (من الكوماندوز الإسرائيليين) وتقدموا شاهرين السلاح في اتجاهنا لمحاولة تطويقنا والقضاء علينا . والتزمنا نحن الصمت الكامل ، ثم فتحنا النار فجأة عليهم وتم القضاء على أكثر من ٤٠ فرداً منهم ، وانطلق الباقون يحاولون الفرار مذعورين ، ورفع بعضهم أيديهم إلى أعلى صارخين « لا تقتلنا يا مصرى » هذا ولم نخسر حتى الآن شهيداً واحداً .

وجربوا استخدام مدرعاتهم ضدنا مرة أخرى :

في تمام الساعة الثانية من هذا اليوم . . وجدنا وراءنا ٢٦ دبابة تتقدم في اتجاهنا نحن الذين لا يضل عددنا إلى مائة فرد مترجل ! !

... المهم .. قرنا ألا نتحرك من حفرة ، وفضلنا أن نموت داخلها . . وبدأ العدو يتقدم نحونا ، وطلب منا الاستسلام (من خلال مكبرات الصوت) . . ولكننا لم نعبأ بما يقوله . وكان ما يشغلنا تماماً هو كيف نواجه هذه الدبابات الكثيرة بينما لم يعد معنا إلا القليل من الذخيرة .

وفي هذه اللحظات اندفع المقاتل (على نجم) من حفرة ، وجرى وراء إحدى الدبابات ، وألقى عليها قنبلة ففجرتها ، لكنه أصيب بطلقة استشهد على أثرها . ثم تحرك المقاتل (عبد الحليم مهنا) ومعه قاذف آر. بي. جي ، وأخذ يتنقل من حفرة إلى حفرة وهو يوجه ضرباته إلى الدبابات المتقدمة . فدمر ثلاث دبابات في خمس دقائق فقط ، ثم أصيب فترك حفرة وانطلق يعدو - برغم شدة الإصابة - نحو دبابة رابعة ودمرها . . واستشهد فوقها .

.....

بعد ذلك بدأ العدو يطوق المنطقة ، ويحلى دباباته المصابة من المحور لتتمكن المدرعات من المرور ، وانشغل في تطهير المحور حتى الساعة السادسة مساءً .

وكانت الفرصة أمامنا في العودة إلى الخلف في المنطقة المحددة لتجمعنا ، وفي صباح ٨ أكتوبر ، بعد أن دمروا بعض الأجهزة ، وحملنا معنا زملاءنا المصابين بدأنا العودة وفي أول ضوء للنهار اكتشفنا أننا في منطقة شئون إدارية للعدو ، وأصدرت أمراً بأن نثبت في أماكننا حتى المساء ، وفعلاً تحركنا في الساعة الثانية من صباح ٩ أكتوبر في اتجاه رأس العش ثم إلى بورسعيد حيث استقبلتنا قيادتنا أحسن استقبال . وكان أول سؤال نوجهه نحن هو : ما هي مهمتنا التالية ؟

(توقيع)

مقاتل صاعقة شلى

كيف رأى جنود الجيش الإسرائيلي . . رجال الصاعقة المصريين ؟

١ - يا إلهي . . . إنها ليست أشجاراً . . إنهم آدميون . . إنهم مصريون ! !

قال ضابط إسرائيلي من قوات آدن :

« . . . كنا نتقدم بمدرعائنا ، ورأيت على البعد بقعاً سوداء في ثنيات الرمال ، ولم أستطع تبين كنه هذه البقع . وعندما اقتربنا منها أكثر . اعتقدت أنها جذوع أشجار

فلم تكن هناك أية حركة تنبعت من هذه الأشياء التي تناثرت أمامنا في الطريق الذي نتقدم عليه . وأمسكت بجهاز الاتصال وسألت طاقم الدبابة التي تتقدمنا عن تلك الأشياء في اللحظة التي صرخ فيها أحد قادة الدبابات قائلاً :

« يا إلهي . . إنها ليست جذوع أشجار . . إنهم آدميون . . إنهم رجال . . إنهم . . »
ولم أستطع أن أفهم شيئاً للوهلة الأولى . . فماذا يفعل أولئك الرجال الذين ما زالوا صامتين لا يتحركون بينما نحن نتقدم بدباباتنا ونقترب منهم ؟ ؟

. . . وفجأة . . انفجر جحيم من النيران فوقنا . . وانطلقت صواريخ عديدة نحونا . .
فدمرت الكثير من دباباتنا ! !

إننا لم نواجه شيئاً مثل ذلك من قبل . . على الإطلاق ! !

٢ - لقد قاتلوا بصورة انتحارية :

يقول مؤلفو كتاب التقصير الإسرائيليون :

« أدخل المصريون في الحساب عند تخطيطهم للحرب حقيقة أن الجيش الإسرائيلي هو في الأساس جيش احتياط . ولذلك أقيمت على عاتق ألوية الكوماندوز المدربة مهمة قطع الطرق على قوات الاحتياط للحيلولة بينها وبين الوصول إلى الجبهة . وكانت وحدات الكوماندوز هذه مجهزة بسلاح مضاد للدروع من طراز آر . بي . جي ، وكانت أهدافها احتلال مفارق طرق ، ونقاط حساسة على محاور الحركة المركزية في سيناء وضرب الدبابات والمدفعية .

وقد أنزلت عشرات من طائرات الهليكوبتر في تلك الليلة جنود الكوماندوز في جميع أنحاء سيناء على بعد عشرات الكيلو مترات خلف خطوطنا في الجبهة . . وبالرغم من إسقاط بعض هذه الطائرات فإن المصريين استمروا في إبرار جنود الكوماندوز في عمق ميدان القتال ، وقد نجح المصريون في إنزال أعداد كبيرة منهم خاصة في شرم الشيخ جنوباً ، وفي القطاع الشمالي من قناة السويس - حيث برز الكوماندوز المصريون في الحرب .

.....

وعندما اندفعت دبابات المدرعة الإسرائيلية الأولى إلى الجبهة الجنوبية في الساعات الأولى من صباح الأحد (٧ / ١٠ / ١٩٧٣) اصطدمت بكمين كبير من الكوماندوز المصريين الذين سمحوا لقوات القيادة التي كانت تسير في المقدمة بالمرور

بسلام ، ثم فتحوا نيرانهم على بقية الدبابات فأصيب في الرشقات الأولى عدد من الدبابات بصواريخ البازوكا التي أطلقت عليها من مدى قصير . . . وسقط الجنود الأوائل من المدرعات قبل وصولهم إلى الجبهة .

. . . وقد روى أحد القادة الإسرائيليين عن الاصطدام بكمين كوماندوز مصري فقال عنهم : « لقد قاتلوا بصورة انتحارية . . . خرجوا نحونا من مسافة أمتار قليلة وسددوا بازوكاتهم إلى دباباتنا ، ولم يخشوا شيئاً . . . كانوا يتدحرجون بعد كل قذيفة ، بين العجلات فعلاً ، ويسترون تحت شجيرات صغيرة في جانب الطريق ، ويلقوا البازوكا بطلقات أخرى .

.....

وبرغم إصابة أعداد من جنود الكوماندوز المصريين فإن زملاءهم لم يهربوا بل استمروا في خوض معارك الإعاقة والعرقلة . وكانت معارك انتحارية مع الدبابات ، كما لو كانوا قد أقسموا على دفع حياتهم ثمناً لمنع الدبابات الإسرائيلية من المرور ، واضطر جنود المدرعات إلى خوض معارك قاسية معهم .

(توفيق)

يشعاهو - بن - فورات وزملاؤه
مؤلفو كتاب القصير (المحدث)

٣ - كيف وقع الإسرائيليون في أكبر خطر يقع فيه طرف محارب ؟

« وقف القائد الإسرائيلي « آمون » عند منقطة أبو سلطان يشاهد معركة مع فصيلة من رجال الصاعقة المصريين . وكان القائد الإسرائيلي يراقب « بإعجاب بالغ » القتال العنيد الباسل الذي أظهره هؤلاء الرجال المصريون . ومع أن « آمون » قدم معاونة بمدرعته وعرباته النصف المجترزة إلى السرية الإسرائيلية المهاجمة . . إلا أن المصريين ظلوا يقاتلون حتى استشهدوا جميعاً فيما عدا رجلاً واحداً . ولم يلق هذا الرجل سلاحه أمام الجحافل المتقدمة ، لكنه بدلاً من ذلك قفز إلى أعلى التل الذي كان يدافع عنه هو وزملاؤه ، وظل يطلق نيرانه على قواتنا حتى سقط شهيداً على قمة هذا التل .

ولما كان القائد (آمون) يعلم أن وراء هذا الموقع قوات أخرى مماثلة ، ولما كان قد شاهد بنفسه كفاءة هذه القوات فإنه لم يستطع أن يتقدم إلا بعد إمداده بقوات إضافية من المظليين . وقد أجمع هذا القائد وصباطه على أن أى مصرى أصيب في هذه المنطقة كان يعتبر

دليلاً حياً على الإصرار المتناهي والشجاعة الهائلة التي بذلها هؤلاء الرجال .
هذه السطور جاءت على لسان الجنرال حايم هيرتسوج المتحدث العسكري الإسرائيلي
ومدير المخابرات السابق ، وقد ذكرها في كتابه (حرب التكفير) وعبر عنها بقوله « لقد
وقعت القوات الإسرائيلية في أكبر خطر يقع فيه الطرف المحارب وذلك عندما أعجب
الضباط والجنود من هذه القوات ببسالة وكفاءة المقاتلين المصريين (من كوماندوز ومشاة
وغيرهم) وقد أخذ هذا الإعجاب يتزايد مع تطور عمليات القتال »
إن هذه النتيجة الخطيرة التي سجلها المعلق والخبير الإسرائيلي الكبير . . تعد بغير
شك علامة في نقطة التحول الجذرية التي تمثلها حرب أكتوبر . . خاصة وأن المسافة
الفاصلة بين نظرة الجندي الإسرائيلي (السوبرمان) لنفسه ثم للجندي العربي قبل حرب
أكتوبر . . ثم هذه النظرة المليئة بالإعجاب به أثناء وبعد الحرب . . هذه المسافة وهذا
الانتقال الحاد بين طرفيها . . لا يمكن أن تنتهي آثارها مهما طال الوقت لأنها تمارس فعلها
القوي داخل « النفس البشرية » ومثل هذا التأثير على سيكولوجية الجندي الإسرائيلي
بالذات . . يتضاعف حجمه وخطره على ثقته وكفاءته .

٤ - كان شيئاً غريباً :

كان جنود الكوماندوز المصريون يتجولون في المنطقة ، وينصبون الكمان للذبابات
الإسرائيلية (دبابات إريك شارون) و «بيرن» «وكالمان» . وفي أحد الأماكن استطاعوا
إصابة دبابات بيرن . ولم تستطع دباباتنا القضاء عليهم .
وعندها طلبت خمس مجترات مع مظلي داني . .
لقد كان شيئاً غريباً . . هل يصد ثلاثون مصرياً ليس معهم أكثر من مدافع البازوكا
رتلا إسرائيلياً مدرعاً هكذا ؟ !
لقد تميز المصريون بالإقدام . وكانت مجموعاتهم الاستطلاعية المزودة كما يجب
تعرف كيف تختبئ من قواتنا وتتجول هنا وهناك . .

(توقيع)

أوري دان

يقول التاريخ

.. كان المصريون أول من ابتكروا أعمال الفدائيين (الصاعقة) الكوماندوز في التاريخ :

«إن الأرض قاطبة سترحب بي بوصنى الحاكم القوي في داخل طيبة « كامس » حامى مصر. ولقد أقلعت منحدرأ في النيل بوصنى محاربأ لأهزم « العامو » (الهكسوس) بأمر آمون صادق التضحية ، وقد كان جيشى شجاعأ يسير أمامى كأنه عاصفة من نار ، وكان جنود المازوا^(١) في مقدمة معاقلنا ليتجسسوا على مواقع العدو ، وليدمروها شرقأ وغربأ ، ومعهم طعامهم وأدمهم^(٢) .»

(من وثيقة فرعونية وهى على لسان الملك كامس
ابن الملك سفنن رع وشقيق أحمس - والثلاثة هم
الذين أجهزوا على الهكوس وطهروا منهم الوطن
العربى)

(١) المازوا : نسبة إلى بلاد النوبة .

(٢) من كتاب تاريخ الثورات المصرية ص ١١٣ (ترجع هذه الوثيقة إلى أكثر من ١٥٩٠ عاماً قبل الميلاد ، ويتضح من سياقها أن ملك طيبة (كامس) قد ابتدع العمل الفدائى قبل أن يعرفه العالم فكانت قوات المازوا التى تتقدم خلف خطوط العدو للاستطلاع والإرباك والتدمير . . هى نفسها قوات الصاعقة أو الكوماندوز فى عصرنا هذا) .

(٦)

السلح الذي خنق إسرائيل

النكته الإسرائيلية وبحرية إسرائيل :

وقف عضو الكنيست الإسرائيلي ليتحدث عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وبعد أن مر (مرور الكرام) على بعض جوانب الفشل الذي لقيته قوات الدفاع الإسرائيلي ، تلفت حواله ثم قال بلهجة مسرحية : « ولكن أيها السادة . . . فلتعلموا جيداً أننا لم نخسر كل المعارك أو أن أسلحتنا جميعها فشلت في تحقيق أهدافها . . . فلقد قام سلاحنا البحري بأعمال مجيدة . . . وتفوق على البحرية المصرية والبحرية السورية طوال أيام الحرب » .

وقد أرسل شاب إسرائيلي خطاباً ينبض بالمرارة إلى صحيفة معاريف ، سخر فيه من كلام عضو الكنيست وقال إن كلام العضو المحترم يذكرني بالنكته التي يتبادلها الإسرائيليون الآن على المقاهي وفي المنتديات .

وتقول هذه النكته : (إن رجلاً ذهب إلى نجار يهودي واشترى منه مائدة خشبية ودفعت له ثمنها ، وتوجه بها إلى بيته ، ولكنه ما كاد يستخدمها حتى اكتشف أن إحدى أرجلها مكسورة ، فحملها وعاد بها إلى النجار ، وشرح له عيبها ، فقال النجار بهدوء : « صحيح أن إحدى أرجلها مكسورة لكن لا تنس يا عزيزي أن الأرجل الثلاثة الباقية سليمة تماماً) .

ولكن ما الصلة بين خطبة عضو الكنيست الإسرائيلي ثم التعليق الساخر لواحد من شباهم وبين الحديث عن دور البحرية المصرية في معارك أكتوبر ١٩٧٣ . . .

إن الصلة وثيقة تماماً فلقد بدأت إسرائيل منذ وقف إطلاق النار في تنفيذ مخطط دعائي ما عاد ينطلي على المراقبين الموضوعيين . . . لقد تحدث قادة إسرائيل وكتابها عن السلاح البحري الإسرائيلي ونسبوا إليه أعمالاً كبيرة . . . بل قالوا إن هذه الحرب شهدت ميلاد القوة البحرية الإسرائيلية الحاسمة . . .

ولاشك أن إسرائيل تحاول بهذه الدعاية أن تعوض انهيار طيرانها ومدركاتها بأن تضفي بطولات كثيرة على سلاحها البحري . . . وحتى لو افترضنا جدلاً أن ما تقوله صحيح فلقد اتضح أن « مائدة » قواتها المسلحة غير متوازنة « كما تقول نكتهم » .

ولكن حيث أننا نقدم دراسة علمية ، فإننا لا نستطيع ولا نملك الحق في أن نفترض
جدلاً صحة أى ادعاء ، لأن استقراء الحوادث والعمليات ينبنى ما تدعيه إسرائيل لسلاحها
البحرى على حساب البحرية المصرية والسورية . .

بل إن ذلك الشاب الذى أرسل خطابه الساخر حول خطبة عضو الكنيست كان
أخرى به أن يعدل النكتة الإسرائيلية المشهورة بحيث تكون معبرة عن الواقع الموضوعى
للجيش الإسرائيلى كما خرج من حرب أكتوبر فتصبح النكتة مثلاً كالتالى :

(اشترى رجل من نجار يهودى مائدة خشبية وبعد أن دفع له ثمنها توجه بها إلى بيته
لكنه ما كاد يستخدمها حتى اكتشف أن أرجلها مكررة ومترنحة فحملها وعاد بها إلى
النجار وشرح له حالتها فقال له النجار فى هدوء : صحيح أن أرجلها مكسورة ولكنك
عندما تريد استخدامها تستطيع أن تستعير أربعة أرجل لها من عند صديقنا الأمريكى . .)
وإذا كان هذا هو تعقيبى على الدعاية الإسرائيلية لسلاحها البحرى على حساب
البحرية المصرية والسورية وما تحمله فى طياتها فإننى أكون قد وضعت النتيجة أولاً . .
وبالتالى فهأنذا أضع المقدمات من خلال وثائق البحرية المصرية . .

عملت البحرية المصرية من أجل تحقيق ثلاثة أهداف :

أولاً : هدف استراتيجى يتمثل فى قطع خطوط المواصلات الإسرائيلية بالبحرين
الأحمر والأبيض وقد تحدد الهدف بناء على دراسة علمية أظهرت الأسس التالية :

(١) اعتادت إسرائيل أن تأخذ الحرب البحرية معها طابع الاشتباكات المحلية
المحدودة فى المناطق المتاخمة للسواحل فقط .

(ب) اعتماد إسرائيل على الخطوط الملاحية التى تمر بمناطق حاكمة يمكن استغلالها
فى عمليات التعرض لخطوط المواصلات .

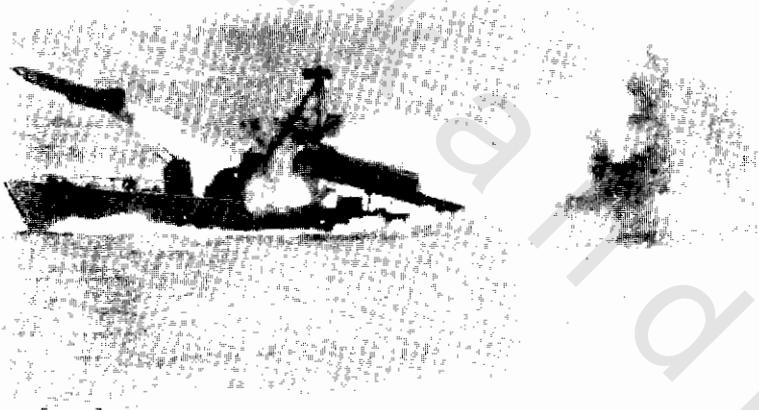
(ج) اعتماد إسرائيل الأساسى على النقل البحرى فى توفير الإمداد بالمعدات
والمواد الاستراتيجية وعلى رأسها البترول الذى لا يتوافر لها محلياً .

(د) ما يتيح العمق الاستراتيجى للوطن العربى من إمكانيات ممتازة للبحرية
المصرية من حيث التمركز وإعادة العمل .

(هـ) إمكانية استخدام سلاح الألغام الخطير فى المناطق القريبة من دفاعات
القوات الإسرائيلية .



الفريق محمد عبد الغنى الجمسى
مع الفريق فؤاد زكري قائد القوات
البحرية



قامت القوات البحرية المصرية
بدورها الحاسم قبل وطوال أيام الطوفان



(و) إمكانية مفاجأة العدو وإرباكه بتعميق النشاط البحرى وإبعاده عن النطاق التكتيكي بآلاف الكيلومترات . مع توجيه ضربة قاصمة لنظرية الأمن الإسرائيلى التى تعتمد على استمرار التواجد فى شرم الشيخ لتأمين الملاحة ، عبر مضائق تيران . . . وبالنسبة للبحر الأبيض المتوسط يتحقق هذا الهدف الاستراتيجى باستخدام الغواصات التى تؤهلها إمكانياتها للبقاء بالمناطق البعيدة لفترة طويلة وللعمل فى سرية كاملة .

ثانياً : تركيز المجهود الرئيسى للإبحاح ومعاونة القوات البرية فى أعمالها القتالية باعتبارها القوة الأساسية القادرة على تحرير الأرض وتحقيق النصر ، وتمثل المعاونة والمساندة فى قصفات نيرانية من المدفيعات الساحلية والقطع البحرية ، أثناء التمهيد النيرانى وخلال مراحل العمليات على أساس العمل على جبهة عريضة شمالاً وجنوباً وفى توقيتات منسقة ، متقاربة ، مما يؤثر على تشتيت مجهود العدو ، وإضعاف رد فعله . . . وكذلك فى منع بحرية العدو من التعرض لهذه القوات .

ثالثاً : توفير كافة أنواع الدفاعات للموانئ الرئيسية والوحدات العسكرية والتجارية الموجودة فى مشارفها لمنع العدو من التدخل فى هذه المنطقة ، وكان التهديد الأول هو الغواصات التى يمكنها إنزال متسللين ومخربين ، أما التهديد الثانى فهو لنشات العدو المسلحة التى يمكنها قصف الموانئ ومهاجمة السفن التجارية والوحدات الحربية .

تلك هى الأهداف والمهام التى أقيمت على عاتق السلاح البحرى المصرى - فماذا حقق منها :

١ - قامت القوات البحرية المصرية بقصف تجمعات العدو الساحلية ومعاونة القوات البرية بالنيران من اتجاه البحر بالوحدات البحرية ، والمدفعية الساحلية . وتمت قصفاتها فى الأيام الأولى للعمليات على جبهة عريضة حيث تم قصف رأس بيرون وشرق بورسعيد ورأس سدر وشرم الشيخ ورأس محمد فى اليوم الأول للعمليات بالإضافة إلى الاشتراك فى التمهيد النيرانى بمنطقة عيون موسى ورأس مسلة وشرق بورسعيد . وقد تكررت هذه القصفات فى المراحل التالية من العمليات .

٢ - أمكن تنفيذ مخطط التعرض لخطوط المواصلات البحرية للعدو . . . بكفاءة تامة ، فلم تدخل أو تخرج أية سفينة من ميناء إيلات حتى توقيع اتفاقية الفصل بين القوات . . . كما انخفض الدخول والخروج إلى الموانئ الإسرائيلىة على البحر الأبيض

إلى ١٢٪ من حجمها الطبيعي .

٣- لم تستطع البحرية الإسرائيلية المساس بأمن وسلامة حرية الملاحة إلى الموانئ المصرية الرئيسية وبصفة خاصة بالإسكندرية وسفاجة ، بل استمرت هذه الموانئ في العمل بحالة طبيعية وبنفس الطاقة إن لم يكن أكثر . فعلى سبيل المثال كان عدد السفن التي دخلت وخرجت من ميناء الإسكندرية في يوم ٣ أكتوبر عشر سفن بينما وصل العدد في ١٧ أكتوبر إلى ٢١ سفينة .

إنجازات للبحرية المصرية في غيبة أو فشل البحرية الإسرائيلية

١- قامت البحرية المصرية بعملية بث الألغام في المياه التي يطن العدو على سواحلها بمدخل خليج السويس (قبل بداية العمليات) بتشكيل مكون من عدة وحدات . هذا ولم تلاحظ البحرية الإسرائيلية هذا النشاط على الإطلاق . . وقد تكرر تنفيذ هذه المهمة عدة مرات دون أى تدخل من السلاح البحرى الإسرائيلى سوى في المرة الأخيرة التي تمت يوم ١٩ أكتوبر .

٢- قصفت الوحدات البحرية مناطق بعيدة عن قواعدها ولم تعترضها وحدة بحرية واحدة ومن هذه المناطق منطقة شرم الشيخ التي تعتبرها إسرائيل قاعدة هامة لتأمين الملاحة عبر مضيق تيران . . وقد تكرر القصف عدة مرات بالصواريخ الموجهة وغير الموجهة .

٣- بالنسبة للمهمة الرئيسية للبحرية الإسرائيلية التي طالما أعلن عنها القادة الإسرائيليون وهي تأمين خطوط المواصلات البحرية ، فقد ظهر عجز السلاح البحرى الإسرائيلى عن تحقيق هذه المهمة حين نجحت البحرية المصرية في إغلاق مضيق باب المنذب ، وقلصت نشاط الموانئ الإسرائيلية على البحر الأبيض المتوسط إلى الحد الأدنى . . وقد تحدثت عن هذه الحقيقة دراسة لمعهد ليونارد ديفيز الإسرائيلى فقالت بالنص :

« إن السفن الحربية المصرية ، جعلت مصر قادرة على حصار مضيق باب المنذب ، ولم تكن إسرائيل تملك سوى وحدات خفيفة بالبحر الأحمر وكانت هذه الوحدات عاجزة عن فك الحصار ، حيث لم يكن في مقدور القوات البحرية المتمركزة بهذه المنطقة العمل بأعلى البحار . وإن التغيير الجذرى الذى حدث في البحر الأحمر وفشل إسرائيل في تجميع قوة بحرية في هذه المنطقة قدمهد الطريق لحصار إسرائيل بواسطة البحرية المصرية . »

سؤالان وجوابان :

١ - إذا كانت تلك هي الإنجازات الضخمة للبحرية المصرية - وهي بالتالى دليل حاسم على فشل البحرية الإسرائيلية - فما هي مبررات الدعاية التى تعزف باستمرار لإضفاء هالة القوة على السلاح البحرى الإسرائيلى ؟
تقول الإجابة العلمية الواقعية إن البحرية الإسرائيلية فى محاولة لإخفاء ما أخفقت فيه لجأت إلى عمليات تكتيكية صغرى لا قيمة لها أكثر من المظهر الدعائى ، فوجهت مثلاً بعض القصفات ضد مناطق نائية وغير حيوية .

٢ - هل تكبدت البحرية الإسرائيلية خسائر ملحوظة فى معاركها مع البحرية المصرية ؟

المؤكد أن السلاح البحرى الإسرائيلى فقد فى معاركه المختلفة مع البحرية المصرية العديد من وحداته كسفن وزوارق الصواريخ . .
وكانت أضخم خسائره التى لم يكشف عنها النقاب إلا بعد الحرب بعامين ومن خلال تقارير المخابرات الأمريكية غرق واحدة من الغواصات الإسرائيلية فى معركة بحرية بالقرب من بورسعيد ، وتقول التقارير إن إغراق هذه الغواصة وحدها يعنى تدمير ثلث السلاح البحرى الإسرائيلى بغض النظر عن الخسائر الأخرى فى الوحدات الأصغر .
هذا بالرغم من أن البحرية الإسرائيلية كانت تعمل دائماً تحت حماية الطائرات وخاصة الهيليكوبتر .

.....

من أوراق البحرية المصرية

ما كادت شمس السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ تغيب وراء الأفق حتى كانت بعض وحدات البحرية المصرية تأخذ طريقها فى اتجاه الشرق بمحاذاة الشاطئ ، وقرر القائد أن تكون السرعة بطيئة إلى حد ما حتى لا تثير الشكوك خاصة وأن الاحتمال بأن طيران العدو يقوم بمسح جوى كان قائماً . .

استمرت سفن الصواريخ فى تقدمها شرقاً دون أن يحدث أى اعتراض من قطع العدو البحرية أو يظهر لها أثر . ويشدد القائد على المزيد من الحذر خشية أن يكون

العدو قد أعد كميناً مفاجئاً ، ثم وصلت السفن إلى أهدافها فوجهت قذائفها وصواريخها لتدمر موقع الرдар الذى أقامه العدو عند (رأس بيرون) ، كما ضربت مختلف المواقع على الساحل الذى تحتله القوات الإسرائيلية .

وتماماً مثلما توقع الرجال ظهرت أعداد كبيرة من طائرات الفانتوم والسكاى هوك واهيليكوبتر وألقت مئات الفوانيس المضئية (فليرز) .

كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل . . ومعنى ذلك أنه على الرجال أن يشقوا طريق العودة بأية وسيلة لكى يصلوا مع خيوط الفجر إلى المياه الإقليمية . . إذ أن أمامهم إبحاراً يستغرق أكثر من خمس ساعات متواصلة ! !

وأدرك القائد خطة العدو حين لاحظ أن طائراته تلقى القنابل وفوانيس الإضاءة فى طريق عودتهم لكى يضطروا إلى الهروب شرقاً ، وعلى الفور تقرر الاستمرار فى الاتجاه نحو قاعدتهم والانطلاق بالسرعة العالية مع المناورة المستمرة تفادياً لقنابل الطائرات الإسرائيلية ، وعندئذ جن جنون هذه الطائرات فبدأت المقاتلات فى الهجوم والضرب برشاشاتها لكنها لم تفلح فى تحقيق أية إصابة ، واستخدمت الطائرات الهليكوبتر صواريخها السلكية ، لكن قادة الوحدات البحرية كانوا يعرفون جيداً كيف يتفادون هذه الصواريخ ، مما أثار ارتباك وحقد الطائرات المعادية فاقتربت إحداها (هليوكوبتر) من السفينة الأولى . بصورة أحس فيها قائدها المقاتل مسعود بأنه لا بد أن يستثمرها ، فوجه مدافعه نحوها وفى لحظة واحدة كانت هذه الطائرة الهليوكوبتر تسقط أمامهم فى البحر .

استمر هجوم الطيران المعادى ٩٠ دقيقة ، واستمر رجال القطع البحرية فى مناوراتهم إلى أن انسحبت الطائرات إلى قواعدها . . ومع الخيوط الأولى للصباح كانت جميع الوحدات تدخل إلى مراسيها بعد أن نفذت جميع مهامها ، مضافاً إليها إسقاط طائرة هليوكوبتر .

من أوراق المقاتل بحرى ناجى

فى ليلة ٨ أكتوبر ١٩٧٣ خرج تشكيل سفن بقيادة المقاتل على ، للمرور أمام سواحلنا وتدمير أية أهداف معادية يتم اكتشافها .

كنا أربع سفن . . قادها المقاتل محب والمقاتل ديدى وأنا ، أما سفينة القيادة فكان يقودها المقاتل على (قائد التشكيل) .

وفي منتصف الليل كشفت راداراتنا عن وجود ٩ أهداف أمامنا ، وخلال لحظات تم توزيع الأهداف وأطلق المقاتل على ٣ صواريخ على الأهداف الثلاثة التي كانت في قطاعه فأصابها وبدأنا نحن نتعامل مع الأهداف الباقية .

كانت الصواريخ المندفعة فوق مياه البحر تحيل الليل في هذه المنطقة إلى نهار ساطع ، وبالتالي فإن الغلبة في مثل هذه المواقف تكون للقائد الذي يعطى أوامره بالإطلاق قبل القائد المعادي ولو بثانية واحدة وفي أقل من خمس دقائق أغرقنا للعدو خمس زوارق صواريخ من التي أحضرها ضمن صفقة شاربورج المهربة والتي استخدم منها الصاروخ «جبرائيل» المصنع محلياً .

كانت نتيجة المعركة قاسية بالنسبة لبحرية العدو خاصة وأننا لم نفقد قطعة واحدة ، فألقى بطائرات الهليكوبتر المزودة بالصواريخ داخل المعركة لكننا ظللنا نناور ونحاور هذه الصواريخ إلا أن سفينتين من وحداتنا تعرضتا للإصابة . وخلال ٣٠ دقيقة مواجهة بالصواريخ في البحر نجحنا في إدخال الطائرات الهليكوبتر في مرمى صواريخنا المنطلقة من قواعدها . . وتنبه الطيارون الإسرائيليون فأثروا الانسحاب ، واختفوا من سماء المعركة التي كانت أول معركة تصادمية بين لنشات صاروخية في تاريخ المعارك البحرية وكانت الغلبة فيها لوحاداتنا . .

(توقيع)

مقاتل بحري « ناجي »



(٧)

أكبر حرب مدرعات في التاريخ

[تفاصيل أخرى عن عملية الثغرة]

مقارنة مع أكبر حروب المدرعات التاريخية :

- لو ألقينا نظرة سريعة على معارك المدرعات الكبرى في التاريخ ، لوجدنا - بالمقارنة السريعة أيضاً - أن معارك المدرعات التي شهدتها ميادين القتال في حرب أكتوبر قد فاقتها كماً ونوعاً وعنفاً .

فمثلاً كان حشد المدرعات في معركة العلمين التي جرت في عام ١٩٤٢ يصل إلى ١٧٢٥ دبابة للطرفين المتحاربين (قوات مونتجمري البريطانية وقوات المحور بقيادة رومل) وفي معركة « كورسك » التي أذهلت ضخامة حجمها الخبراء والمحللين كان عدد المدرعات التي اشتركت فيها من الطرفين ٦٥٠٠ دبابة وقانص مدرع كان لدى الجيوش السوفييتية منها ٣٦٠٠ دبابة وقانص ، مقابل نحو ٢٧٠٠ دبابة وقانص لدى الجيوش الألمانية .

- أما في حرب أكتوبر فقد بلغ حشد المدرعات لدى الطرفين المتحاربين (إسرائيل والجيوش العربية) ٦٧٠٠ دبابة ومدعة . بالإضافة إلى أعداد كبيرة من الدبابات دخلت ميدان القتال من خلال الجسر الأمريكي الجوى والبحرى الذى أمد إسرائيل بأحدث الدبابات والمدرعات . كما أن المدرعات الهائلة العدد التي اشتركت في هذه الحرب كانت حديثة ومتعددة الإمكانيات .

.....

- وقد تلقت المدرعات الإسرائيلية صدمة مروعة منذ اندلعت الحرب . . عندما اندفعت في ثقة وعنف متأكدة أنها سوف تسحق المشاة المصريين الذين شكلوا أولى موجات العبور ولا تساندهم المدرعات . فإذا بهؤلاء المشاة يعكسون الآية ويسحقون هم المدرعات الإسرائيلية (قالت إشارة لاسلكية تلقتها قيادة جبهة سيناء الإسرائيلية إن مدرعات بيرن تنسحق أمام المشاة المصريين ، وكذلك مدرعات شارون تتكبد الخسائر) .

- وتوالت الخسائر الفادحة في المدرعات الإسرائيلية طوال معارك الصد والهجوم المضاد خاصة عندما عبرت المدرعات المصرية ونسقت عملياتها مع المشاة . (فوجئ جنود مدرعاتنا الذين تحركوا بدباباتهم نحو تجمعات جنود المشاة المصريين . فوجئوا عندما انصب عليهم بغتة وإبل من القذائف من مسافة كليومترين أو ثلاثة .

. . لقد كان المصريون يتحركون على شاكلة « الفيالق » الرومانية : كتلة من الجنود تتوسطها الدبابات . . وهكذا كانوا يتوقفون ويتحركون إلى الأمام والخلف . . . فيلق روماني كثيف جداً . ويقول الكاتب الأمريكي « كينيث براور » (إنه في - نهاية ظهر يوم ٧/١٠/٧٣ لم يكن لدى إسرائيل سوى ٩٠ دبابة مصابة بشدة - من مجموع ٢٥٠ دبابة كانت لديها في الخطوط الأمامية) . كما أن تدمير اللواء المدرع ١٩٠ وأسر عساف ياجورى في معركة مع الفرقة الثانية المشاة لم تستغرق سوى دقائق كانت ضربة مخيفة للمدرعات الإسرائيلية (كما أنها تعتبر إنجازاً عسكرياً في الدفاع المضاد للدبابات لم يسبق له مثيل في التاريخ) .

.....

- وبالنسبة للمدرعات المصرية فإنها عبرت القناة إلى سيناء بعد عدة ساعات من عبور المشاة (بعد أن تم إنشاء ١٠ جسر) وقد تم تشغيل نحو ٥٠ معدية انتقلت عليها في نفس الوقت دبابات وآليات في النقاط التي لم يتم إنشاء جسور فيها .
- وقبل بزوغ فجر اليوم الثاني (الأحد ٧ أكتوبر) كانت الدبابات المصرية تتدفق على الضفة الشرقية لتدعم رموس الجسور التي يحميها المشاة بأسلحتهم الخفيفة المضادة للدروع .

- المدرعات المصرية تتقدم في الأيام الأولى إلى عمق ٨٠ كم في سيناء . .

خلال ليلة (٦ - ٧ أكتوبر) قامت سرية من المدرعات البرمائية الخفيفة والمشاة الميكانيكية المصرية بالتقدم نحو ممر متلا ، حيث هاجمت مركز قيادة القطاع الجنوبي في الساعة ٨,١٠ من صباح اليوم التالي ، وهاجمت في الساعة ١,٥٠ بعد الظهر محطة رادار في المنطقة نفسها ، ثم عادت السرية لتأخذ مواقعها مع القوات الرئيسية في رموس الجسور قرب القناة .

- كما قامت سرية أخرى مماثلة بمهاجمة بعض المواقع الإسرائيلية الصغيرة قرب ممر الجدى ، ثم اندفعت نحو مطار « بيرتامادا » الواقع إلى الشرق من ممر الجدى وهاجمته



اللواء كمال حسن على
قائد المدرعات المصرية



حققت المدرعات المصرية بطولات عديدة
طوال ايام الطوفان



في إغارة فدائية سريعة (وكان ذلك في الساعة ١٠:١٠ من صباح يوم ٨/١٠/٧٣) ثم عادت إلى رءوس الجسور بعد أن هاجمت موقع رادار للعدو في طريق عودتها .
(وبذلك تكون هذه السرية المدرعة المصرية قد وصلت في عملياتها إلى عمق ٨٠ كم تقريباً داخل سيناء) .

- وقد ركزت المدرعات المصرية بعد ذلك جهودها في تدعيم رءوس الجسور وربطها بعضها ببعض . واستدعى ذلك بالطبع الدخول في معارك متعددة مع المدرعات الإسرائيلية التي قامت بأكثر من هجوم مضاد لم ينجح منه هجوم واحد . هذا بينما ظلت الفرقتان المدرعتان المصريتان الفرقة الرابعة والفرقة (٢١) على الضفة الغربية للقناة حتى ذلك الوقت (١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٠ / ١٩٧٣) .

المعركة الكبرى : أو معارك الـ ٣٠٠٠ دبابة

نظراً لاشتداد ضغط الهجوم الإسرائيلي المضاد على الجبهة السورية قررت القيادة المصرية القيام بعملية هجومية محدودة نسبياً تنفذها القوات المدرعة الميكانيكية بهدف تخفيف الضغط على الجبهة السورية ، ثم تعميق شريط الأرض المحررة على الضفة الشرقية إلى عمق ٣٠ كم تقريباً حتى المداخل الغربية للممرات .

وقد أحاط بهذا القرار عدة مخاطر كانت القيادة المصرية تدركها تماماً . وأهمها خروج القوات من ستر غطاء صواريخ الدفاع الجوي المتمركزة غرب القناة ، وكان ذلك يعني أنها ستعرض لهجمات سلاح العدو الجوي الذي تلقى دعماً هائلاً من أمريكا بعد أن اهتزت فعاليته إلى حد كبير في الأيام الأولى ، كما كانت القيادة المصرية تؤمن بضرورة الحفاظ على رءوس الجسور وعدم إضعاف القوات التي تسيطر عليها . ولذلك كانت التعليمات تحدد حجم القوات التي ستقوم بهذه المهام بأن تكون مفارز صغيرة نسبياً .

- وبدأ الهجوم في الساعة ٦:١٥ من صباح يوم ١٤/١٠/١٩٧٣ بقصف تمهيدى من المدفعية استغرق ١٥ دقيقة ، واشترك في تحقيقه (٥٠٠) مدفع وقاذف صواريخ كاتيوشا ، على أربعة محاور تقدم .

وبمجرد انتهاء القصف تقدمت على محور ممر متلا في الجنوب قوة مكونة من لواء

مدرع ، وكتيبة مشاة ميكانيكية - وتقدمت في اتجاه ممر الجدى قوة مكونة من لواء مشاة ميكانيكى ، وعلى المحور الأوسط تقدم لواءان مدرعان ، وعلى المحور الشمالى تقدم لواء مدرع واحد .

.....

- وقد تعرضت هذه المدرعات لمقاومة عنيفة ما كانت لتتاح للقوات الإسرائيلية لولا أنها كانت تستخدم الأسلحة والدبابات الحديثة التى وصلت إليها منذ أيام عبر الجسر الجوى الأمريكى . فمثلاً استخدمت القوات الإسرائيلية فى صد المدرعات المصرية المتقدمة صواريخ « تاو » الأمريكية الجديدة - لأول مرة - وكانت تستخدمها من منصات أرضية ومن طائرات هليكوبتر . كما أن طيرانها - كما سبق أن أشرنا - كان قد جرى تدعيمه بطائرات وأجهزة حديثة بالإضافة إلى طيارين متطوعين ومرترقة .

.....

- ومن ثم كان لابد من قرار حاسم وسريع . . وهو ما اتخذته القيادة المصرية بعودة المفارز المدرعة المتقدمة لتساهم فى بدء مرحلة جديدة من مراحل الحرب وهى مرحلة تثبيت وتقوية رعوس انكبارى ، إذ أن تقارير المخابرات المصرية أفادت بأن إسرائيل سوف تستثمر أسلحة ومعدات الجسر الجوى والبحرى الأمريكى والطيارين والفنيين المتطوعين والمرترقة فى القيام بهجوم مضاد مدرع للوصول إلى القناة .

.....

- وما تجدر الإشارة إليه هنا أنه فى الوقت الذى عادت فيه المفارز المدرعة « منتصف ليل ١٤ أكتوبر ٧٣ » كانت القيادة المصرية قد دفعت بعدة مجموعات من رجال الصاعقة إلى خلف خطوط العدو فى عمق سيناء ، وقد بدأت هذه المجموعات على الفور فى توجيه ضربات عنيفة وبالغة الجرأة ضد كافة احتياطات القوات الإسرائيلية التى كانت تتجمع خلف بقية التشكيلات استعداداً للهجوم المضاد الشامل . كما أن الطائرات المصرية دمرت وشتت طابوراً إسرائيلياً على الطريق الساحلى فى نفس الوقت الذى دارت فيه معارك تصادمية أكدت فيها القوات المصرية استيلاءها على مركز القيادة الإسرائيلى غرب ممر متلا . ولعل هذه العمليات هى التى أخرت بدء الهجوم الإسرائيلى المدرع الذى كان متوقفاً أن يبدأ فى صباح ١٥ أكتوبر - فيبدأ بعد الرابعة من بعد الظهر وكان تركيز المدرعات الإسرائيلية ضد الفرقة المصرية ١٦ مشاة التى كانت تمثل ميمنة الجيش

الثاني المصري كما أنها كانت بمثابة قوة الحراسة للجانب الأيسر من المفصل الموجود بين الجيشين المصريين (الثاني والثالث) .

.....
- وكان الهجوم قد بدأ كعملية تمويه بهجوم لواء مدرع من منطقة تجمعه قرب -
(الطاسة) على المحور الأوسط تجاه « الإسماعيلية » لمشاة الفرقة (٢١) . المدرعة .

.....
- والمثير للاهتمام أنه برغم كثافة الهجوم الإسرائيلي المدرع ضد الفرقة المشاة (١٦) التي كان يقودها العميد عبد رب النبي حافظ . . لم تفلح القوات المهاجمة في تحقيق أهدافها بل إن الفرقة المشاة تحولت من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم ، وتمكنت من حصار القوات المدرعة المهاجمة وكبدتها خسائر كبيرة ، والمعروف أن هذه القوات التي دفعها القيادة الإسرائيلية لمهاجمة الفرقة ١٦ مشاة كانت طليعة أول محاولة على نطاق واسع لاختراق دفاعات القوات المصرية (عن طريق استغلال طبيعة الأرض السبخية في المنطقة المحاذية للجانب الأيمن للجيش الثاني شرق القناة) . وكانت هذه القوات هي أفضل القوات العاملة في «أوغدا» (مجموعة ألوية) شارون . ولكن القيادة الإسرائيلية سارعت بدفع قوات أخرى لتحقيق نفس المهمة . ولكن المقاومة المصرية دمرت وشتت هذه القوات أيضاً ، فعادت القيادة الإسرائيلية تدفع بتشكيلات جديدة دخلت في معارك شرسة مع القوات المصرية .

..... وقد استمرت المعارك في هذا القطاع ١٢٠ ساعة (خمسة أيام متواصلة) وكانت من العنف مما جعلها صورة مروعة للدم والدمار . وقد تكبدت فيها إسرائيل خسائر رهيبية باعتراف قادتها الذين قرروا في أكثر من مرة - طوال هذه المعارك - إلغاء الهجوم وعملياتية الثغرة لولا أنهم كانوا في ميسس الحاجة لتحقيق أى شيء مهما كان محدود القيمة العسكرية ولعل ما يؤكد ذلك أن الجنرال ديان اقترح في يوم ١٦/١٠/١٩٧٣ انسحاب قوات المظلات قائلاً : « لقد حاولنا ولكننا لم نستطع ... يجب إلغاء العملية كلها .. إن المصريين سوف يذبحون المظليين من رجالنا في الضفة الغربية بمجرد أن يطلع الصباح » هذا وقد كانت أشرس هذه المعارك تلك التي دارت في منطقة قرية الجلاء المصرية التي تقع شمال شرق البحيرات المرة والتي أطلق عليها الإسرائيليون « المزرعة الصينية » وقد قال قادة إسرائيل ومنهم شارون نفسه : « إن هذه المعارك لم يشهدها الجيش الإسرائيلي

في تاريخه « بل إن شارون قال بالحرف الواحد « لقد عملت في الجيش ٢٦ عاماً خضت خلالها حروباً كثيرة . . لكن ما شاهدته في هذه المعارك يجعلني أقول إن الحرب السابقة لم تكن سوى معارك صغيرة !! » كما أن جونين قال في حديثه مع ديان « لو كنا عرفنا أن المصريين سيلحقون بنا هذه الخسائر لما كنا فكرنا في العملية (الثغرة) كلها !! » .

- والمعروف جيداً . . وبشهادة الخبراء والمراقبين العسكريين ، بل وباعتراف عدد من قادة وضباط إسرائيل ، أن الجيش الإسرائيلي لم يحقق السيطرة الحقيقية على هذا الموقع إلا بعد إقرار وقف إطلاق النار في (٢٢ أكتوبر) . حين انتهكت القوات الإسرائيلية هذا القرار وسارعت بتدعيم القوة التي عبرت إلى غرب القناة والتي كانت معرضة للانسحاق في أي وقت حتى أن التعليقات صدرت لشارون بعدم الابتعاد عن ضفة القناة استعداداً لكي ينسحب إلى الشرق . كما أنه من الثابت أن القوات الإسرائيلية برغم كثافة هجومها بأسلحتها ومعداتها المجددة لم تفلح في توسيع رأس الجسر الذي أقامته في الشرق ، ولم تتمكن من زحزحة العناصر الأمامية للواء الأيمن من الفرقة ١٦ مشاة إلى الخلف إلا لمسافة كيلومترين فقط .

- ولقد كانت الخسائر الإسرائيلية أكبر بكثير من عملية الثغرة التي حاولت إعطاءها أهمية تذكر . والدليل على ذلك مقبرة المدرعات الإسرائيلية . . في منطقة قرية الجلاء (المزرعة الصينية) .

.....

- ولعلنا نستطيع أن نخلص في نهاية هذا الجزء إلى الاستنتاجات المحددة التالية :

.....

١- بالرغم من نجاح المدرعات المصرية (والسورية) في تحقيق إنجازات ملموسة فإنها لم تعط أقصى ما لديها من إمكانيات . وقد يرجع ذلك - في غالبيته - إلى الظروف التي أحاطت بالمعارك الكبيرة التي خاضتها .

٢- بالنسبة للمدرعات الإسرائيلية . . كانت خسائرها أحد الملامح البارزة للحرب . . ويمكن القول إنه قد ثبت لهذا السلاح الإسرائيلي أن أيام الحرب الخاطفة قد ولت إلى الأبد ، وأن الفشل أصبح أقرب إليه من النجاح خاصة بعد تعاظم دور المشاة المصريين المزودين بالأسلحة المضادة للدروع التي يستخدمونها بكفاءة وجسارة فائقتين .

- وبالنسبة للثغرة الإسرائيلية يقول التحليل العلمي :

لم تكن هذه هي المحاولة الأولى إذ أن إسرائيل بدأت هذه المحاولات من يوم ١٠/٨ وقد فشلت جميعها ، ثم إنه إذا كان نجاح أى عمل يقاس بما تحقق من نتائج وما تكلف من جهد وخسائر فإننا نجد أن المحاولة الأخيرة تخضع لهذه الحقائق :

١ - كانت الخسائر الإسرائيلية ضخمة للغاية (تشهد عليها مقبرة المدرعات الإسرائيلية في قرية الجلاء (المزرعة الصينية) وآلاف القتلى والجرحى من خيرة الضباط والجنود في جيش الدفاع والذين كان من بينهم أكثر من (٥٠٠) قتيل و (٩٠٠) جريح من رجال المظلات وهم أفضل عناصر الجيش الإسرائيلي
كما أن منطقة الثغرة في غرب القناة شهدت المزيد من القتلى والجرحى الإسرائيليين خاصة تلك القوات التي حاولت دخول مدينة السويس .
.....

٢ - عند صدور قرار وقف إطلاق النار وبدء تنفيذه . . كانت قوات شارون في الغرب . . معرضة للتدمير الكامل دون أن تحقق شيئاً على الإطلاق بدليل أنهم عزلوا الجنرال شلومو جازيت مسئول الإعلام لأنه نشر صورة الخطوط التي وصلت إليها القوات الإسرائيلية في ٢٢ أكتوبر فأنكشف تماماً ما قامت به هذه القوات من توسع بعد خرقها لوقف إطلاق النار .

. . وحتى بعد انتهاك إسرائيل لقرار المجتمع الدولي بهدف إنقاذ قواتها في الثغرة بتوسيع الرقعة التي تنشرها فيها . . لم تنجح إسرائيل في تحقيق أهدافها .
. . لقد كان الهدف الأساسي من الثغرة تطويق الجيشين المصريين الثاني والثالث .

ولم تستطع قوات شارون الوصول إلى الإسماعيلية وتحقيق أى قدر من مجرد الإزعاج لقوات الجيش الثاني . كما أن الجيش الثالث لم يتأثر بعملية الحصار (وهي لم تكن حصاراً كاملاً بدليل فشل القوات الإسرائيلية في احتلال السويس التي أصبحت عمقاً للجيش الثالث - وبدليل أن قوات هذا الجيش أخذت تدعم مواقعها . . بل تكسب أرضاً جديدة في اتجاه الشرق !) .

ولقد علق أكثر من خبير عسكري عالمي على وضع القوات الإسرائيلية في الثغرة . . فقالوا إنها بدلاً من أن تحاصر وتدمر القوات المصرية ، أصبحت هي الرهينة في أيدي المصريين .

- ولعل أكبر دليل على فشل وضعف عملية الثغرة ، أن مصر عندما وضعت الخطة لتصفيتها (في أقل وقت كما تعهد اللواء سعد مأمون الذي كلف بالمهمة) سارع هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية ، بالسفر إلى القاهرة . . حيث التقى بالرئيس أنور السادات . . وقال له بالحرف الواحد :

« إننا لن نسمح لكم بتصفية القوات الإسرائيلية في غرب القناة وسوف تتدخل أمريكا ضدكم مباشرة لو فعلتم ذلك !! » . .

- وبديهي أنه لولا إدراك الولايات المتحدة الأمريكية لضعف موقف القوات الإسرائيلية غرب القناة وإمكانية سحقها . لما استخدمت هذه اللهجة ، وأبدت هذا الانزعاج عندما كشفت لها أقمار التجسس عن استعداد القوات المصرية المحيطة بها لتدميرها تماماً .

.....
.....

وهكذا يتضح تماماً أن عملية الثغرة لم تتعد حدود كونها عملية تليفزيونية إعلامية - ولعل ما ورد في صفحات سابقة . . وما أسجله على الصفحات التالية من تقييم بعض الخبراء العالميين ، وبعض الإسرائيليين لحجم هذه الثغرة - يؤكد أنها بالفعل . . كانت مجرد عملية تليفزيونية !!

العملية التليفزيونية :

« إن الثغرة التي حققها الإسرائيليون لم تكن سوى ضربة حظ حتى وإن لم يعترفوا بذلك . فعلى سبيل المثال حدث ما كان لا يمكن أن يصدقه عقل إذ كيف يمكن أن يعقل أن يتمكنوا من سحب كوبرى طوله ٢٠٠ متر ووزنه ٥٠٠ طن مسافة عشرين كيلومتراً عبر ميدان قتال دون أن تصيبه أضرار . ولكن هذا ما حدث بالفعل .

كما أن القيادة الإسرائيلية لم تقرر القيام بهذه العملية إلا بعد بدء الجسر الأمريكي الذي نقل إلى إسرائيل كميات هائلة من الأسلحة والمواد العسكرية . وكذلك بعد أن قدمت أمريكا إلى قادة إسرائيل صورة من التقارير التي جمعتها طائرتا التجسس الأمريكيتان (بلاك بيرس - ٧) والتي أفادت بأن منطقة تمتد حوالى ٤٠ كيلومتراً تكاد تخلو من

القوات تقع على الضفة الغربية على جانبي الدفرسوار ، وتقابلها على الضفة الشرقية منطقة مماثلة إلا أنها أضيق نطاقاً منها .

.....

إنه مما لا شك فيه أن الإسرائيليين نجحوا في العبور بضربة حظ على الرغم من أنهم لا يعترفون بذلك . ولولا الكميات الهائلة من الدعم الأمريكي التي مكنت الإسرائيليين من القيام بأكثر من ألف طلعة طيران يومياً عبر الثغرة مستخدمة أحدث الوسائل المضادة - الإلكترونية لمواجهة الصواريخ السوفيتية . .

كما أنه لولا تجاهل إسرائيل الصارخ لقرارات وقف إطلاق النار أكثر من مرة . لولا ذلك كله لما تمت عملية الثغرة . .

وبالرغم من ذلك فقد أصيب الإسرائيليون بنجية الأمل مرتين : المرة الأولى عندما فشلوا في دخول السويس ، والمرة الثانية عندما فوجئوا بصمود الجيش الثالث الذي تصوروا أنه سيلقى سلاحه ويستسلم . بل إن قوات مصرية صغيرة تشبث بمواقعها داخل المنطقة التي ادعى الإسرائيليون أنهم احتلوها . . ولم تستسلم هذه القوات .

.....

إنني أرى أن وصف عملية الثغرة بأنها عملية تليفزيونية . . هو وصف دقيق . وإن كنت أفضل استخدام وصف (معركة الدعاية) لأن العالم ركز اهتمامه عليها بعد أن توخى الأمريكيون والإسرائيليون قدراً كبيراً من الحرص والعناية في توجيهها . فقد كان الإسرائيليون يريدون استرجاع صورة الجندي الذي لا يقهر ، أما الأمريكيون فقد كانوا يريدون أن يبرهنوا على تفوق أسلحتهم .

لقد كانت معركة الدعاية (عملية الثغرة) معركة حافلة بكثير من الأباطيل التي حاول البعض (الإسرائيليون) أن يؤكدوها وهي أباطيل يمكن أن تولد كثيراً من الآمال الزائفة .

(توبيع)

الخبير العسكري البريطاني
الجنرال ادجار أوبلانس

من . يحاصر . . من ؟ ؟

التقيت في ١٣ ديسمبر ١٩٧٣ أثناء قيامي بعملى كمراسل لليوناتدبرس في جبهة سيناء ، بجندى إسرائيلى (سبق تجنيده في الجيش الأمريكى قبل أن يأتى إلى إسرائيل) وقبل أن أتحدث إليه ، قال لى :
« أتعرف لماذا نشعر باليأس ؟ » .

وقبل أن أرد عليه أو أطلب إليه تفسير شعوره ، نظر هو إلى ناحية الجنود المصريين من قوات الجيش الثالث في الضفة الشرقية للقناة وقال : « لقد كنا نتصور أننا نحاصرهم لكن انظر إلى روحهم المعنوية المرتفعة ؟ إنهم دائماً مستعدون للقتال في أى وقت . إنهم يدركون تماماً أنهم هم الذين يحاصروننا ولسنا نحن كما ندعى الذين نحاصرهم . اسمع ياسيدى . . إننا لا نريد الحرب هنا . . لا نريد شيئاً هنا . . »

وتركنى الجندى الإسرائيلى بعد ذلك ومضى بعيداً عنى . . وكان من الواضح أنه كزملائه يعانى من يأس قاتل . . ولقد أدركت اليوم تماماً لماذا أصدرت القيادة الإسرائيلية أوامرها بمنعنا نحن الصحفيين من التحدث إلى أى واحد من قوات جيش الدفاع الإسرائيلى الموجودة في جبهة سيناء .

إن السبب ليس هو الحيلولة دون تسرب الأسرار العسكرية كما تزعم القيادة الإسرائيلية ولكنهم أرادوا بقرارهم ألا ننقل مثل هذه الصورة التى جسدها حوارى مع ذلك الجندى ، كما أنهم يخشون من نقل ونشر الشائيم والاتهامات التى يوجهها الجنود .

(توقيع)

المراسل الحربى لوكالة يونيتدبرس
في ١٣/١٢/١٩٧٣

« إن القوات الإسرائيلية لم تستطع تطويق الجيش الثالث المصرى إلا بعد قرار وقف إطلاق النار » .

(توقيع)

نوم شومسكى
في كتابه « السلام في الشرق الأوسط »

إن (٢٥٠٠ قتيل وثلاثة آلاف جريح) كانوا الثمن الباهظ الذى دفعته قوات أريئيل شارون فى القتال المستمر الذى وصل من خلاله إلى غرب القناة . وبعد (٩) أيام من القتال العنيف . فى أعقاب الهجوم المصرى المفاجئ بدت المهمة التى أقيمت على لواء المظليين بقيادة داني ماط .. مهمة انتحارية . ولقد تكبد هؤلاء المظليون وخدمهم (٥٠٠) قتيل وأكثر من (٩٠٠) جريح .

(توفيق)

أورى دان

« عندما وصل موشيه ديان (بعد وقف إطلاق النار) إلى الدفرسوار ، وقف بجانب الجنرال شارون وتفقد بعينه المسرح الذى دارت فيه معركة الثغرة ، وبعد أن شاهد بنفسه كمية الخسائر والدمار الذى يقف كدليل على المعركة التى بلغت قسوتها ومرارتها حداً لا يصدق عقل ، أصيب (ديان) بالذعر ، وعندئذ نظر إليه « آمون » (أحد القادة الذين شاركوا فى العملية) وردد عبارة صادقة تماماً عن هذه العملية بأسرها ، فقال :

« انظر إلى وادى الموت هذا ؟؟ » .

. . . وعادت نظرات ديان تنتقل فى « مسرح المعركة » . ولم يرد بكلمة واحدة ! !

(توفيق)

الجنرال حاييم هيرتسوج
فى كتابه « حرب التكفير »

... ..

« نتيجة للخسائر الفادحة التى تكبدتها إسرائيل فى المعدات والأفراد ، وتحت الضغط السياسى والعسكرى والاستراتيجى ، وبعد أن مدت أمريكا إليها الجسر الجوى الضخم ، وجدت إسرائيل فرصة فى عملية الدفرسوار غرب القناة ، ولذلك حاولت أن تحيط هذه العملية بأضخم دعاية ممكنة لكى تحجب حجم وقيمة الخسائر التى منيت بها نتيجة النجاح الضخم الذى حققته الجيوش العربية

ولكن بات واضحاً أن هذا النجاح المحدود الذى حققته إسرائيل لا يستطيع تحييد آثار النصر العسكرى العربى ولا حجب الهزيمة التى لحقت بإسرائيل .

ولقد أثبتت عشرات التساؤلات حول عملية الدفرسوار (الثغرة) وحاول الكثيرون

- انسياقاً وراء الدعاية الإسرائيلية - استخدامها كمبرر للانتفاص من حجم وقيمة الإنجاز العسكري العربي . ولكن لا بد أن تؤكد حقيقة هامة وهي أن جميع هذه التساؤلات والمحاولات لا تنال من قيمة هذا الإنجاز ، ولا تستطيع إخفاء حقيقة العزلة السياسية التي أضحت عليها إسرائيل .

إن نتائج أى حرب يجب أن تقاس فى مضمونها العام بما أسفرت عنه من تطورات ومتغيرات شاملة وليس بحساب المكاسب أو الخسائر التكتيكية المحدودة على هذا الجانب أو ذلك والتي هى شىء طبيعى فى أى عملية عسكرية . .

(توقع)

الكولونيل بريج كومار نارايان
فى كتابه « الحرب الرابعة »

« طبقاً للمقاييس العسكرية البهتة . . فإن محاولة شارون لإقامة رأس الجسر كانت تمثل « كارثة » . إن القوات التى بدأت العملية كانت تساوى فرقة كاملة . ولكن . بعد ١٦ ساعة من النشاط الإسرائيلى الجنونى . . فإن شارون لم يستطع أن ينقل إلى الضفة الغربية من القناة سوى قوة تقل عن كتيبة واحدة . بالإضافة إلى دعم مدرع صغير .

وبالإضافة إلى ذلك كله . . فلم ينجح الإسرائيليون فى إقامة كوبرى أو جسر . وبسبب إصابة القذائف المصرية لأجزاء الجسر فإنه لم تكن هناك فرصة لإقامته خلال الاثنى عشرة ساعة التالية .

. . . ولو أخذنا فى الاعتبار كمية النيران التى كانت مستمرة فى الانطلاق خلال كل منطقة المثلث (الطاسة - البحيرات المرة - الإسماعيلية) منذ المساء السابق فإن الإسرائيليين لم يكن لديهم الحق فى أن يأملوا أن تكون فى جانبهم حتى الآن المفاجأة . ولو كانت قوة مصرية مؤثرة من أى نوع قد تدخلت يوم الثلاثاء (١٠ / ١٦) فإنها كانت ستقضى على العملية كلها مهما فعل الإسرائيليون .

.....

إن الخطة الأصلية للقيادة الإسرائيلية العليا كانت تقتضى أن يقوم شارون ولواء تحت قيادته بإقامة رأس جسر وتأمينه ، حتى يستطيع العميد أفراهم آدن أن يعبر بعد ذلك فوراً لكى يبدأ الاكتماح فى اتجاه الجنوب بهدف قطع الجيش الثالث المصرى . ولقد

كان أصحاب الخطة يقولون إنه بمجرد تمركز القوات الإسرائيلية جنوباً ، فإن إسرائيل سوف تحتاج فقط إلى السيطرة على جبهة تمتد خمسة عشر ميلاً تقريباً بين الشلوفة والسويس ، وهذا يمكنها من احتواء الجيش الثالث .

... ولكن في صباح يوم الثلاثاء كان المصريون قد حطموا كل هذا . حتى أن الأمل في إقامة رأس الجسر تضاعف تماماً ، مما جعل شارون يقول : « فليذهب رأس الجسر هذا إلى الجحيم . . إن الشيء المهم الآن هو أن نتسلل خلف خطوط المصريين » .
إن الخطأ من الجانب المصرى يكمن فقط في نقص الاتصالات العسكرية ونقل المعلومات بسرعة . إذ لم يكن هناك معادل مصرى للداوريات الإسرائيلية ونشاط الاستطلاع ، إن القادة المصريين الصغار كانوا ببساطة يحاربون الإسرائيليين بشجاعة خارقة وكفاءة ممتازة عندما كانوا يظهرون أمامهم ، ولكن النقص الوحيد هو أنهم لم يقوموا بإعطاء أولوية كاملة لعمل تقارير قتال يتم إبلاغها فوراً إلى أعلى المستويات .

ومع ذلك فإن المصريين تمالكوا أنفسهم وقاموا بهجوم منسق ومترايط ومرتفع للغاية في يوم ١٦ أكتوبر . ولقد ركزوا هجومهم هذا على المداخل الشرقية لنقطة العبور . ومع أن هذا الهجوم جاء متأخراً فإنه كان فعالاً جداً . ونجح تقريباً . لقد جاء الجيش الثانى المصرى من الشمال إلى ناحية الجنوب بثقله كاملاً . وتحرك الجيش الثالث من الجنوب شمالاً . وكان هدفهما نجدة وتعزيز المشاة المصريين الذين ما زالوا يحتفظون بمواقعهم في منطقة المزرعة الصينية ضد الطائرات والمدرمات الإسرائيلية .

ولقد كان مقدراً أن يؤدي هذا الهجوم المصرى إلى وضع نهاية للخطط الإسرائيلية لأن انطلاق كمية خطيرة من النيران المصرية من المزرعة كان سيجعل نقطة العبور مجردة من الحماية .

ولقد دارت معركة دبابات قاسية وضارية طوال الليل . وكان المصريون يقاتلون فيها الإسرائيليين دبابة بدبابية . ووصل الأمر إلى أن أحد المهندسين الإسرائيليين عند ضفة القناة قال : « إن المصريين أغلقوا الطريق خلفنا » .

ومع الفجر وأثناء اشتعال معركة الدبابات . . بدأ المهندسون الإسرائيليون ينقلون المنهسات والمعدات من جديد ، ولكن المدفعية المصرية تدخلت في نفس اللحظة تقريباً . . .
و يصف أحد الجنود الإسرائيليين هذا الموقف قائلاً : « إننى كنت فوق نقالة (معدية) مائية

حيناً وصلنا إلى الضفة الغربية ، وكانت النقالة تحمل عربتين نصف مدرعتين وسيارة جيب وبالضبط في نفس اللحظة التي وصلت فيها هذه الشحنة إلى الشاطئ الآخر ، بدأ قصف المدفعية على الشاطئ تماماً .

ويقول الجاويش (زفي) : « مع صباح الأربعاء سيطر المصريون بالنيران علينا في كلتا الضفتين . ففي اللحظة التي كانت تبدأ فيها نقالة مائية في الخروج من الضفة متجهة إلى الضفة الأخرى ، فإنها كانت تجد أمامها وفوقها سداً مخيفاً ومرعباً من المدفعية المصرية ، وإذا وصلت إلى الشاطئ فإنهم كانوا يقصفونها من جديد . »

... الآن وبعد أن تحرك المصريون أصبح الإسرائيليون يتساقطون قتلى وجرحى بأعداد كبيرة وضخمة .

ولكن كان من الواضح أن إسرائيل تسميت تماماً في هذه المعركة لأنها سوف تكون العامل المخفف الوحيد الذي ستخرج به في مقابل النجاح الكامل الذي حققه المصريون طوال الأيام العشرة الأولى . وهذا ما يفسر الخسائر الضخمة التي تحملتها ، والمحاولات المستميتة التي قامت بها بواسطة كل أنواع الأسلحة .

... (قال ضابط إسرائيلي « لقد كنا تحت النيران المصرية طول الوقت . وكانت هذه النيران خطيرة جداً . وكان جنودنا هدفاً للمدافع والطائرات في المواقع المجاورة . . ولا يوجد بيننا من لم يفقد صديقاً في هذه المعركة . »)

* * *

وبرغم تلك الاستماتة . فإن الحقيقة هي أن الخطة الإسرائيلية فشلت أصلاً ، وبشكل درامى . . ولم يتم رتقها إلا بصعوبة بالغة .

وكما اتضح تماماً بعد ذلك فإن هذه العملية الإسرائيلية غرب القناة قد حققت فقط - نجاحاً في الحد الأدنى من أهدافها السياسة . ولقد كان الهدف السياسي الرئيسي هو رفع الروح المعنوية للإسرائيليين والحصول على ورقة للمساومة بها .

وحتى في هذه الحدود فإن الأمر احتاج إلى استغلال إسرائيلي وغد وسافل لانتهاكات وقف إطلاق النار في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

(توقيع)

اندرية دويتش

(في كتابه خلفايات حرب الشرق الأوسط)

« إن وجود القوات الإسرائيلية غرب القناة كان من الممكن أن يتحول إلى كارثة بالنسبة لإسرائيل » .

(توقيـع)

المعلق العسكري لتلفزيون لندن

« إن الحديث عن الوصول إلى غرب القناة طنطنة لا تفيد . والأولى بكم أن تواجهوا الواقع » .

(توقيـع)

النائب البريطاني الصهيوني كروسمان في حديث
إلى زعماء إسرائيل

إن القوات الإسرائيلية في غرب القناة ، كانت رهينة في أيدي القوات المصرية إذ أنها كانت بدون عمق استراتيجي مما كان يحول بينها وبين القدرة الفعالة على الدفاع أو الهجوم المؤثر .

يضاف إلى ذلك أنها كانت في قلب منطقة الحشد العسكري المصري . وبناء عليه فإن هذه العملية لم تكن سوى تلفيزيونية .

(توقيـع)

الخبير العسكري الفرنسي العالمي ومدير معهد
الدراسات الاستراتيجية الفرنسية السابق
(الجنرال بوفـر)

* * *

لقد تميزت عملية الثغرة بالمصادفات (التي وقفت إلى جانب القوات الإسرائيلية) فقد استطاع المصريون أكثر من مرة تثبيت القوات الإسرائيلية المشتركة في هذه العملية شرق القناة ، وعندما أردنا إنزال معدات العبور إلى الماء وتقدم رجال المظلات لفتح الطريق لها لم يسمح لهم المشاة المصريون بالتقدم خطوة واحدة . وانهالت القذائف والصواريخ المصرية ، وقتل الليفنتان كولونيل « جوني » كبير المهندسين المختصين ببناء الكوبري ، وذلك قبل وصوله إلى الماء ، وبعد بناء هذا الكوبري دمر المصريون بعض أجزائه وتركز الهجوم عليه بكافة الأسلحة حتى الهلوكبتر شاركت في محاولة إحراقه . وكان دور المدفعية المصرية قاسياً . . فلم ترحم الكوبري أو القوات التي حاولت إقامته » .

(توقيـع)

الجنرال حاييم هيرسوج

• صور لخسائر الإسرائيليين في عملية الثغرة :
قال الجنرال آدن (قائد فرقة مدرعة إسرائيلية) :

« ما كادت تمر ثلاث دبابات حتى تعطل الجسر ، ثم تلقينا أشد قصف عرفناه .
ومنذ اللحظة التي اكتشف فيها المصريون حقيقة وجود رأس الجسر ، وجهوا إليه
معظم القوة المدفعية التي كانت في حوزتهم في تلك المنطقة ، وقد بذلوا جهوداً مضنية
لهدم الجسر وضرب القوات الموجودة حوله ثم شرعوا في إرسال موجات وموجات من طائراتهم
نحو الجسر والمحاور المؤدية إليه .
ولم تتمكن طائراتنا الهليكوبتر من انتشارال الجرحى . .

من عاموس إلى زوجته :

في مذكراته التي أخذت شكل رسائل بعث بها قائد الجسر الإسرائيلي (عاموس)
إلى زوجته . . يتضح جانب من حجم الخسائر الرهيبة التي تكبدتها القوات الإسرائيلية
في محاولة الثغرة .

يقول عاموس (في ١٧ أكتوبر ١٩٧٣) :

« لا أدري كيف انقضت هذه الليلة علينا . إن ذلك يعد أعجوبة . لقد أطلق
المصريون علينا نيران الكاتيوشا طوال الليل ، وكانت قافلة من الذخيرة تقف في وسط
الساحة ونحفت من أن تنفجر سيارة الوقود وحقاً اشتعلت داخل الساحة سيارة كهذه
لكنها كانت بعيدة وقد انفجرت بجانبها سيارة أخرى .

لقد كان القصف كارثة . . وكان الرفاق يهجرون المصفحات ويتركونها دائرة .
كان القصف المدفعي أكثر الأمور قسوة علينا ، ولكن عندما يأتي مع هجوم جوى أيضاً
فإن الموقف يصبح أصعب بكثير . فعندما تسقط القذائف من الطائرات تريد أن
تري أين هي لكي تهرب منها ، لكي تغير موقعك ، بينما يتحتم عليك - مع قصف المدفعية -
أن تدفن رأسك في الرمل . »

لقد كان هذا أتوناً بحق . ويبدو أن المصريين قرروا القضاء على الجسر ، وقد أنزلوا
علينا يوم الخميس ثلاثة أسراب رباعية من طائراتهم ، فأصابتنا بالصواريخ إصابات
مباشرة ، ومن بين من قتلوا ضابط الهندسة . .

ثم يوجه عاموس رسالة ثانية يقول فيها :

كان هناك مثلاً قطاع أصبح العبور فيه إحدى التجارب القاسية . لقد كان هناك قصف لا يتوقف ، ثم فجأة صراخ : « طائرات . . طائرات . . » وأغارت الطائرات المصرية ، أما أنا فقد قفزت مذعوراً بينا هي تلقى قنابلها التي أصبت أنا بشظاياها . وتمالكت نفسي ، وأخذت أركض باتجاه الجسر ، وبينما كنت أركض مهولاً ، شاهدت أربع طائرات ميج تغير علينا ، والتصقت بالحاجز الترابي ورأيت القنابل تسقط ، والصواريخ تنطلق . إنها لحظة تشعر فيها بأنها قد ضاقت عليك . لكنها على أية حال انقضت .

اقتربت من الجسر . ورأيت هناك مسلحاً ، ونحو عشرة من الرفاق قد اختبأوا بين الحاجز وبين جرار كان هناك ، أغارت عليهم طائرة ميج وأصابتهم جميعاً . وكان كل شيء حولهم يشتعل . كان منهم القتلى والجرحى . قمنا بنقل من بقوا منهم على قيد الحياة إلى محطة تجميع الكتيبة . كانت هناك تلة صغيرة داخل « الساحة » عليها حمالات وحمالات وحمالات . . (نقلات) مغطاة جميعها بالبطانيات ، وبمرورك من هناك كنت تشاهد أحذية حمراء وسوداء وخضراء ، كنت تشاهد أطراف خصلات الشعر الأشقر والأسود . كانوا بالعشرات والعشرات حتى أنني خشيت أن أرفع بطانية من هذه البطانيات لأنني إذا فعلت ذلك سأرى رقيقاً .

وإنني - يازوجتي العزيزة - باعتباري قائداً - كان على أن أقل قدر الإمكان من الرضوخ لعواظي في مثل هذه الظروف وإلا انتهت . فهناك وظيفة ، وهناك ضرورة لمن يشجع الآخرين فلا يجوز أن يعزى الواحد الآخر .

كنت أفكر ملياً في تلك الصفوف العديدة من الحمالات (النقلات) في الليالي الطوال . وانتظرت طلوع النهار لأبتعد عن تلك المناظر ، ولكي أتوقف عن الركض في الظلمة تحت القصف المصرى المتواصل . إننا كنا نتساءل : « ما الذي لم ينزل علينا من ألوان القصف والضرب ؟ لا شيء أقل من القذائف عيار ١٦٠ ملمتراً .

. . . لقد كانت الساعات تمر علينا كما لو كانت - لبثها - تزحف لا أكثر .

« وصورة أخرى يسجلها الضابط طبيب «عيران» :

ماذا تفعل حين تجد أن عليك أن تتلقى الضربات وتتلقى . . وتتلقى . دون أن يكون في مقدورك أى شيء ؟ وكأن أحداً يوقفك في ركن ويضربك بقبضته ، وكل ما تستطيع أن تفعله أنت هو أن تتلقى الضربات . . لقد كانت هذه هي حالتنا ، لكن هناك فارقاً بين كسر أسنانك وبين فقدان حياتك . .

أذكر مثلاً أنه حدث قصف شديد ، وخرجت بسيارتي الجيب إلى الجانب الآخر حيث كان الجرحى يتزايدون ، وعند ما عدت من هناك ، على الجسر ، سقطت قذيفة في الماء . سقطت أمامي تماماً . ووصلت إلى محطة تجميع الجرحى ، فوجئت بقذيفة تسقط على بعد ١٠ أمتار أمامي . نعم عشرة أمتار فقط . قفزت إلى دبابة الإخلاء . وأخذت أطرق لهم على بابها ، فاعتقدوا أن ذلك طرق الشظايا المتناثرة ولم يفتحوا . أخذت أصرخ وأصرخ حتى يفتحوا لي ، ولم يدخلوني إلا بعد أن نفذ صراخي إلى داخل الدبابة . وبعد أن توقف القصف ، خرجت منها ولكنني ما كدت أسير قليلاً حتى سقطت قذيفة أخرى فاختبأت في مكان ما . جلست وطأطأت رأسي . سمعت الصغير وزعقات الشظايا ، وبعد أن خف القصف ، التفت حولي وشاهدت دبابة تشتعل وكان هناك قبل ذلك طاقم دبابة أخرى تلقى وجبته (من القذائف) ، وكانت إصابة الأفراد الأربعة مباشرة . ولم يبق منهم أحد على قيد الحياة » .

.....

« * ومرة أخرى نعود إلى عاموس قائد قوة الجسر . . الذي يكتب حلقة أخرى من

مذكراته الدامية في صورة رسالة تالفة لزوجته يقول فيها :

« في يوم ٢٢ أكتوبر وقبل تنفيذ قرار وقف إطلاق النار بفترة بسيطة ، كان القصف المدفعي المصري الأخير مخيفاً وقاتلاً . وما كدت أدخل إلى مجزرتي حتى سمعنا الصغير ، وسقطت قذيفة بالقرب منها ، واحتكت بالفولاذ ، وانفجرت على مسافة متر واحد منا . كان الانفجار هائلاً ، ودخلت الشظايا إلى المحرك واشتعلت سيارة الوقود ، وانفجرت سيارة الذخيرة .

استمر سقوط الموت علينا ربع ساعة . وكنت واثقاً أنها نهايتنا . . وسمعت تأوهات

الجرحي حولنا في كل مكان . . كما سمعت أصواتاً تستغيث من كل صوب « يا مضمد . .
يا مضمد » .

وفحأة ساد الهدوء (بدأ تنفيذ قرار وقف إطلاق النار من قبل القوات المصرية)
ساد الهدوء ونحن لا نصدق أننا نجونا . . أو أننا كتبت لنا الحياة . . لقد كلفنا قصف
الوداع غالباً » .



من المشاهد التاريخية الأولى لطوفان أكتوبر

« ١ » المشاة ، والعبور

. في لقاء مع مراسل بريطاني ، قال لى : « إن التاريخ العسكرى والإنسانى حرم من تسجيل عملية العبور المصرية بالصور والتسجيلات الصوتية والكاميرات السينائية والتليفزيونية » .

وانضم إلى الحديث مراسل يوغوسلافى كان معنا داخل العربة الجيب التى انطلقت بنا داخل سيناء بين المواقع المصرية المحررة . فقال « إنه مشهد لن يتكرر فى التاريخ . » وأضاف مصور سينائى مصرى بأنه « لو تم تصوير هذا المشهد لظلت السينما العالمية ، والأكاديميات العسكرية فى مختلف أنحاء العالم تستخدمه لعشرات ومئات السنين »

وكنت أنا بالطبع - وما زلت - أتفق معهم فى ذلك كله . . .
ولعل ما ذكرنى بهذا الحوار محاولتى الآن لأصور بقلمى بعض ملامح هذا المشهد ، وأعترف أن القلم فى يدي يحس بعجز شديد وقصور بالغ عن القدرة على تصوير هذا المشهد المثير الضخم .

فكيف أصور مثلاً ما حدث فى الساعة ٢٠،٢٠ ظهر السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وبعد انتهاء الضربة الجوية الأولى ثم القصف المدفعى الهائل ، حين اختفت فجأة صفحة المياه فى قناة السويس وغطتها مئات وآلاف قوارب العبور التى امتلأت بالمقاتلين المصريين الذين أخذت صيحاتهم تهدر وتشق السماء « الله أكبر » ، ثم صورة مجموعات منهم وقد ألهبهم الحماس والتلهف للحظة التحرير . . ففضلوا أن يسبحوا إلى جانب القوارب المطاطية ؟

. . وكيف أصور الساتر الترابى العملاق وقد أخذت رماله لون ملابس المقاتلين المصريين الذين أخذوا يتسلقونه فى سرعة مذهلة . . وعلى ظهورهم معداتهم وأسلحتهم الثقيلة . . .
بينما أخذ آخرون يجرون عربات اليد الصغيرة بما عليها من معدات وأسلحة أكبر . . .
وقد أقام الرجال بين بعضهم البعض كوبرى آدمى يمتد على العبال المعلقة إلى الساتر

ينقلون حمولة العربات من واحد لآخر حتى قمة الساتر . . وأيضاً هذا التنسيق الغريب في استخدام السلام المصنوعة من الحبال للمساعدة في اعتلاء الساتر . .

وفي الوقت نفسه يندفع رجال المهندسين لإقامة الكبارى والمعابر ، وتوجه المجموعات الخاصة منهم مضخاتهم التوربينية لتشق الساتر الترابي وتفتح فيه هذا كله . . بينما تهدر قذائف المدفعية . . وتهال نيران العدو على بعض أماكن العبور بعد أن فشلت في تحديد جميع الأماكن . ثم ها هو ذا الطيران الإسرائيلي بعد ٤٠ دقيقة يندفع إلى سماء المعركة ويحاول تدمير المعابر وضرب القوات العابرة . بينما تتصدى له وسائل الدفاع الجوي المصرية . إنه مشهد . . بل مشاهد يتضاءل بجانبها قلم أى كاتب ، بل إن كاميرات السينما والتليفزيون ما كانت لتستطيع نقل كل أبعادها وأعماقها المثيرة .

ولذلك فإننى أكتفى بتسجيل هذه الصور لهذه المشاهد التاريخية ، كما وصفها وسجلها بعض الجنود والضباط الإسرائيليين الذين أخذوا يصيرون فى اللاسلكى « المصريون يعبرون القناة » « جموع غفيرة من الجنود المصريين » « مئات من قوارب المطاط » « قوارب من تيل الزجاج » .

وقال أحد جنود نقاط المراقبة على الساتر الترابي ، وهو يبلغ قيادته عما يدور فى تلك اللحظات .

« المصريون ينزلون قواربهم تحتنا مباشرة . إنهم يعبرون الآن . القوارب العديدة مملوءة بالكثير من الجنود . الجنود ينزلون ومعهم مقذوفات وأسلحة مختلفة . . بعض دباباتنا تهاجمهم الآن . قوات مدرعة مصرية تعبر . كثيرون من الجنود يقفزون إلى الشاطئ الشرقى . . ويتقدمون إلى الأمام ومعهم أسلحتهم وصواريخهم .

طائرات هليكوبتر بها كوماندوز مصريون تمر فوقى الآن متجهة إلى داخل سيناء . . دبابات ٥٤ تقف فى مواجهتنا على الساتر الغربى وتطلق النيران علينا . . قوارب كثيرة أخرى تعبر . . موجة خلف موجة . . إنهم ينتشرون فى منطقتنا ويحاولون تطويقها . . إنهم يفرسون الأعلام المصرية . . إنهم ينصبون أحد الكبارى . . العربات تسقط البراطيم . . . قوافل ضخمة . . . مدرعات كثيرة . . . دبابات . . . لوارى . . مدفعية صاروخية . . . أرتال من عربات الجيب . . .

بطارية هاون تقوم بتقدير المسافة . . ثم بدأت توجه قذائفها فى عنف . . أصبحت



برغم كل الصعاب . . . تسلق المقاتلون المصريون الساتر الرمل
الشاهق ، بينما واصل زملائهم من سلاح المهندسين . . . شق هذا
الساتر لعبور المركبات والمدرعات



مساحة النقطة الحصينة مغطاة بالشظايا كونه مليء بالجدري . . إن ضرب المدفعية المصرية . . . مركز وعنيف للغاية !! » .

* * *

* موردخاي . . مقلوباً . . ولا يسمع شيئاً :

كان موردخاي يجلس على برج المراقبة في التحصين المطل على جسر الفردان ، عند ما سمع فجأة ، هديرًا يصم الآذان ويزداد قوة وعنفاً . لقد مر عن يساره سرب كبير من الطائرات المصرية النفاثة منطلقاً داخل سيناء على ارتفاع يكاد يصل إلى ارتفاع الكثبان الرملية .

لم ير موردخاي شيئاً على سطح القناة . . ولكن فجأة . . وفي لحظات خاطفة ، امتلأت المياه أمامه بعشرات القوارب التي تحمل الجنود المصريين المسلحين ، وهي تجدف عابرة القناة من الغرب إلى الشرق .

قال موردخاي لنفسه « ما هذا ؟ » إنه منظر لا يصدق . . المصريون يعبرون القناة . . ولم يكذ موردخاي ينهى تساؤله (لنفسه) حتى تلقى برج المراقبة الذي يجلس عليه ، قذيفة من غرب القناة . ولحسن حظه لم يسقط به البرج ، ولكنه وجد نفسه معلقاً بما تبقى له من قوة بالإفريز الحديدى الذى كان قد ركز عليه المنظار المكبر .

وشاهد موردخاي مذعوراً عشرات الجنود المصريين يقفزون على الحواجز . ويركضون على الرمال المنبسطة أمامه ، ثم يقتربون من أسوار الحصن ويدسون تحت لفائف الأسلاك الشائكة أنابيب سوداء مستطيلة قذفت سحباً من الدخان ، ووهجاً من النيران ، وأعمدة من الرمال . ولم يدرك - لسبب ما - لماذا كانت المشاهد التي تدور أمامه صامتة تماماً . لقد كان يخيم صمت مخيف . ولكن يبدو أنه سادت من حوله ضوضاء هائلة . رجال يركضون ويلوحون بأذرعهم . وزخات رصاص تنطلق من المواقع . كل ذلك يحدث لكنه ما زال لا يسمع شيئاً . وأغضبه جداً كونه معلقاً بصورة مقلوبة . . ولم يستطع أن يبلغ عما يجري أمامه . ولم يعرف موردخاي ماذا جرى له إلا بعد أن تمكن من الوصول إلى التحصين حيث أدرك أنه قد أصيب بالصمم نتيجة إصابة القذيفة للبرج ، كما أنه اكتشف أن أجزاء من لحم ساقه قد تمزقت . .

* * *

« ب » المهندسون والمعابر

كنا نراها كالأذرع تزداد طولاً من ضفة إلى أخرى :

من الفصول أو الصور المثيرة لحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، تلك الصورة التي عبر عنها أحد الجنود الإسرائيليين من قوات خط بارليف ، حين تحدث عن إنشاء المصريين لكبارى وجسور في سرعة مذهلة وقال : « كنا نراها كالأذرع تزداد طولاً من ضفة إلى أخرى » كما أن موشيه ديان قال : « لقد حطم المصريون اعتقادنا في المدة التي يحتاجون إليها لإقامة المعابر والكبارى إذ كنا نتوقع أنهم يحتاجون إلى وقت أطول بكثير (يزيد عن ٢٤ ساعة) وبالتالي كنا سنجد الوقت لدفع مدرعاتنا وطائراتنا لتدمر هذه الكبارى قبل أن يكتمل إنشاؤها » .

وإذا كان رجال المعابر والكبارى قد حققوا هذه الملحمة في وقت قياسي ، فإن ذلك يرجع أساساً إلى التدريب الشاق والطويل ، وإلى الجهد الكبير لسلاح المهندسين الذي قام بتصنيع ٦٠٪ من معدات العبور .

وقد بدأت هذه الملحمة في ٥ أكتوبر ١٩٧٣ حين وصلت إلى الجبهة آلاف القطع من معدات العبور ، وانتشرت على طول المواجهة خلف الساتر الترابي المقام على الضفة الغربية للقناة ، ووضعت كل معدة في حفرتها وتم تمويهها جيداً .

وتمركزت العناصر الخاصة بفتح الثغرات (الممرات) في الساتر الترابي الشرقي خلف الشاطئ مباشرة ومعها معداتها . استعداداً لإشارة البدء . وفي نفس الوقت كانت عدة وحدات من الدفاع الجوي قد اتخذت أماكنها بالقرب من معدات العبور للدفاع عنها ضد طيران العدو . وقد تعمدت بعض الوحدات من رجال الكبارى والمعابر أن تقوم بإلقاء الألغام هيكلية (تعمدت وضعها على مرأى من العدو) في المساحات المعدة أمام

الكبارى ، وفي نفس الوقت قامت بانتشال الألغام الحقيقية من هذه الأماكن ! !
وعندما حانت ساعة الصفر . بلغ الحماس بالمقاتلين حداً كبيراً حتى أن الأفراد المختصين بتشغيل المضخات المائية التوربينية من الضفة الشرقية لم يستطيعوا الانتظار ،

فعبروا قبل موعدهم مستغلين دخول الطائرات إلى سيناء وضرب المدفعية لمواقع العدو .
وفي هذه اللحظات بدأ إسقاط « البراطيم » .

وبرغم محاولات العدو لإعاقة مد الكبارى فإن الرجال كانوا مصممين على تنفيذ مهمتهم الخطيرة . وبالفعل نجحوا في إقامتها (في زمن أقل من الزمن المحدد لهم بأربع ساعات كاملة) ، وبدأت القوات في العبور إلى سيناء ، وتحركت الدبابات والمدافع والصواريخ لتلحق بالمشاة التي سبقت في العبور .

وقد تدخل العدو منذ البداية بطائراته في محاولة لضرب الكبارى لكن الرجال لم يتركوا أماكنهم وظلوا يدافعون عنها ويصلحون ما يصاب منها في أسرع وقت . وكانوا في آخر ضوء من كل يوم يتقلون هذه الكبارى من أماكنها إلى أماكن أخرى ليفاجأ العدو في اليوم التالى بأن عملية الرصد والاستطلاع التي قام بها بالأمس . . لم تعد ذات فائدة . . بل إنه كان يهاجم الكبارى الهيكلية . ويتعرض للصواريخ المضادة للطائرات .

ومن صور الإصرار والجرأة التي تحلى بها رجال الكبارى والمعابر ، ما حدث عندما تمكنت الطائرات الإسرائيلية من ضرب أحد الكبارى وإلقاء قنابل زمنية عليه ، وكان على المقاتلين إما أن يتركوا الكوبرى يغرق في مياه القناة وإما أن يقوموا على الفور بفكه وإصلاحه وسط قنابل العدو الزمنية التي يحتمل انفجارها في أى وقت . وكان قرار قائد الكوبرى المقاتل « صالح » العمل على إنقاذه من الفرق بأى شكل ، وفعلا نزل إلى الماء ومعه مجموعة من المقاتلين ، وتم إنقاذ الكوبرى ، وتركيبه في مكان آخر بعد أن قام مقاتلان بجمع القنابل المتناثرة فوقه بأسرع ما يمكن . . وقد انفجرت بمجرد إبعادها عن الكوبرى .

(ج) : مرة أخرى : المشاة واجتياح الحصون

صورة تكرر مع جميع حصون خط بارليف :

كيف سقط حصن الفردان (حزايون) ؟

[اندفع المقاتلون المصريون المكلفون باحتلال هذا الحصن - بعد أن عبروا القناة ، وتسلفوا الساتر المانع الترابي يحملون معداتهم وأسلحتهم . في وقت قصير للغاية . . اتجهت المجموعة الأولى إلى القسم الجنوبي من النقطة الحصينة ، وقد تم إسقاطه في ساعات قليلة من بدء الهجوم لكن النقطة الشمالية ظلت تقاوم لمدة تصل إلى خمسين

ساعة ، وكان المقاتلون المصريون يهاجمون بإصرار ، وعندما اتضحت مناعة الحصن واستفادوا القوة الإسرائيلية الموجودة فيه بإمكانياته وتجهيزاته الضخمة ، قرر ضابط شاب أن يلف متستراً بالماء ، واندفع مع رجاله تحت نيران العدو . يهاجمون النقطة الحصينة من الخلف بدلا من مهاجمتها من الأمام كما حدث طوال « اليومين السابقين » .

اقتحم الضابط إحدى دشم الحصن هو ورجاله . دار قتال بالأسلحة الأبيض . في الوقت الذي كان يتم التقاط المكالمات اللاسلكية بين جندي الإشارة بالحصن وقيادتهم . وفي اللحظة التي وعدتهم فيها القيادة بدفع المدرعات لمساندتهم ، وكان جندي الإشارة يصيح طالبا أن يطلقوا المدافع من العمق على القوة المصرية . في هذه اللحظة كانت هذه القوة قد قضت على مقاومة الجنود الموجودين في الدشمة الأولى . ثم انطلقوا إلى بقية الدشم والمخابئ . . وسيطروا تماماً على النقطة الحصينة بعد أن قتلوا وأسروا جميع من كانوا فيها من الضباط والجنود الإسرائيليين . .

ورفع العلم المصري فوق نقطة الفردان . . وفشلت كل غارات العدو الجوية في إضعاف سيطرة القوة المصرية عليها . . كما تم تدمير وضرب المدرعات التي حاولت الاقتراب لاستعادتها . [

تلك هي قصة سقوط إحدى النقاط الحصينة من خط بارليف . فكيف يحكى الإسرائيليون أنفسهم قصة الذين كانوا بداخلها قصة السقوط . . ؟
.....

« إنهم يقتربون . . إنهم يقتربون » (ثم انقطع الإرسال) :

سجل المراسل الحربي لإذاعة إسرائيل - دقيقة بدقيقة - الحوار الساخن الذي دار بواسطة اللاسلكي بين إريك شارون - الذي لم يكن يستطيع التحرك بقواته ، وظل مرابطاً على المرتفعات في مواجهة الإسماعيلية - وبين الجنود والضباط الذين تبقوا في موقع (حيزايون) الحصين ، الذي يقع بالقرب من جسر الفردان القديم ، وبعد أن تم حصار جنود هذا الحصن وأصبحوا « كالغرقى وسط الجنود المصريين » أخذوا ينادون على قيادتهم لتهب لنجدهم ، « وكانت أصواتهم المنزعجة متوترة بصورة لا يمكن أن تنسى » . « إنا الآن عشرين داخل الحصن ، وقد أصيب القائد . إن الذي يتحدث إليكم الآن هو جندي الإشارة . انهضوا لتخرجونا من هنا » .

وقد اضطر إريك شارون بنفسه إلى أن يتناول الساعة عدة مرات ليطمئن الجنود قائلاً :

- « عليكم بالهدوء يا أولادى . . لا تخرجوا من الحصن بأى حال ، وسوف نغطيكم بالمدفعية . . »

- « حسناً لقد فهمنا ذلك ، ولكن لا تقطعوا الإرسال بيننا . . إن الموقف قاس للغاية . . »

وطيلة ساعات وساعات من يوم الأحد حتى يوم الاثنين أخذت المدافع الإسرائيلية الدفاع عن حصن (حيزايون) عن بعد مستعينة بالصوت المضطرب للجندي المسئول عن الإرسال ، وكان عمل المدفعية شبيهاً بدقات المطارق على ذباب غير مرئى . وعادت صرخات الاستغاثة تنطلق من جهاز الإرسال فى الحصن .

« على بعد ٤٠٠ متر من الباب الشرقى عاد المصريون إلى الهجوم » إنهم يلقون سريعاً بقنابل يدوية تحركوا . . تحركوا . . »

وفى الساعة السادسة والنصف ، أصاب الذعر الكامل إرسال الحصن وأخذ صوت بالداخل يصرخ ويصرخ . .

« إنهم يقتربون . . إنهم يقتربون . أطلقوا المدافع سريعاً . . إنهم على بعد ٥٠ متر . . » ثم انقطع الإرسال نهائياً . . لقد اقتحم المصريون الحصن وأسروا من بقى من الجنود على قيد الحياة . .

أما مراسل إذاعة إسرائيل الحربى . . فقد أغلق جهاز التسجيل الإذاعى بيد مرتجفة ولم يمكنه الاضطراب الشديد من التعليق على ذلك التسجيل . .

« د » صورتان بالألوان الحية لموقف واحد عاشته قوة إسرائيلية

ثم قوة مصرية

« في تمام الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم - السبت - استسلم أفراد النقطة القوية للعدو شمال خليج السويس ، وهي النقطة التي كانت قد حاصرتها قواتنا ، وثلت فاعليتها ، ثم استمرت في تقدمها شرقاً لتحقيق مهامها القتالية في سيناء . وقد بلغ مجموع أفراد العدو الذين استسلموا لقواتنا - لياسهم من استمرار القتال في النقطة - « خمسة من الضباط ، ٣٢ من ضباط الصف والجنود بكامل أسلحتهم ، ومنها ثلاث دبابات باتون » .

.....

كان هذا هو البيان الذي أدلى به المتحدث العسكري المصري في ظهيرة يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ والواقع أن هذا البيان قد وضع النقطة الأخيرة على حروف فصل مثير من قصة الجندي الإسرائيلي « السوبرمان » و« الجيمس بوند » كما كانت تصوره وسائل الإعلام الصهيونية . . انتهى هذا « الفصل » بشكل درامي جذب إليه أنظار العالم أجمع ، وهو يتابع مشهد استسلام الضباط والجنود الإسرائيليين بعد انهيار مقاومتهم برغم ما يتمتع به موقعهم الحصين من إمكانيات ضخمة . وكانت صورة قائد الموقع وهو يرفع يده بالتحية العسكرية للقائد المصري الذي حاصر الموقع ، ثم وهو يسلمه العلم الإسرائيلي - بعد أن ارتفع مكانه العلم المصري - كانت هذه الصورة جزءاً من « الرتوش » التي أضافها سير العمليات للبيان الذي أدلى به المتحدث العسكري المصري .

وإذا كان يوم ١٣ أكتوبر قد شهد نهاية الفصل الذي انكشفت فيه حقيقة الجندي الإسرائيلي . فعمل القدر كان يحمل في طياته فصلاً مقابلاً كان لا بد أن تدور وقائعه لكي تتوفر كل مقومات المقارنة الحية بين الجندي الإسرائيلي (بكل ما أحاط به من هالات أسطورية) والمقاتل المصري (بكل ما تعرض له من حرب نفسية هزت صورته أمام الكثيرين) .

أقول كان القدر يجيء بين طياته ذلك « الفصل » من قصة حرب أكتوبر ، متمثلاً في موقع آخر دارت فيه الأمور بشكل مخالف . فقد كان الجنود المحاصرون في ذلك الموقع

جنوداً مصريين . . وكانت كل الظروف ضدهم - كما سيتضح في الصفحات المقابلة -
ولكن مقاومتهم استمرت ١٣٤ يوماً . . وتوجت بالنجاح .
هكذا . . تقف الصورتان (بالوانهما الحية) في مواجهة بعضهما بعضاً ، فتكون
المقارنة الموضوعية متاحة لكل دارس وقارئ . كما ستتضح بعد ذلك .
.....

صفحات من مذكرات قائد موقع لسان بورتوفيق :

السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ :

على الرغم من أننا تلقينا أمس إشارة من قيادة الأركان . . عن احتمال قيام المصريين
بهجوم على مواقعنا فإننا استبعدنا ذلك تماماً . فنحن بقوتنا الهائلة قد أدخلنا اليأس إلى
قلوبهم . وهم كما أكدت قياداتنا ، أضعف من أن يفكروا في دخول حرب جديدة معنا .
ومع ذلك فإننا رفعنا درجة الاستعداد . وكان لدينا - في موقعنا (ميزح) ^(١) كل
ما يطمئنا - فحتى لو فكر المصريون في الهجوم ، فإن موقعنا من أقوى مواقع خط بارليف ،
وخاصة بعد الإضافات الهائلة التي دعم بها الموقع بعد ذلك الهجوم الذي شنته عليه قوة
مصرية في أثناء ما يسمى بحرب الاستنزاف .

ونتيجة لهذا «الاطمئنان» حاول قائد الموقع (الذي توليت القيادة بعد مصرعه)
وهو الملازم أول دافيد ترجمان - حاول الاتصال - في الساعة الواحدة والرابع - بخطيبته
في شرم الشيخ - (وعلى فكرة - كانت هي أيضاً زميلة لنا في جيش الدفاع برتبة ملازم) . .
وقبل أن يتفق دافيد مع خطيبته على اللقاء في اللد بمجرد حصوله على إجازة هو الآخر ،
قطعت المكالمة واستشاط هو غضباً ، وأخذنا نمزح معه دون أن يبسم .

وفي الساعة الواحدة والنصف سمع دافيد صوتاً قادمًا من بعيد ، ولم يكن هذا هو
الصوت المألوف لعامل التليفون في مركز أم خشيب ، ومرة أخرى استشاط دافيد غضباً ،
وطلب من المتحدث أن يدع الخط إلى أن يتحدث مع خطيبته ولكن المتحدث أجابه
برود أنه يتكلم من القيادة العامة ليدلى بإشارة عاجلة إلى قائد الموقع . ورد دافيد بحق :

- أي موقع ؟

(١) «ميزح» هو الاسم العبري لموقع «لسان بور توفيق» .

- موقع مزح ؟ (لسان بور توفيق)

- حسناً .. إننى القائد .

- نعم ياسيدي .. إشارة من قائد الأركان : «يحتمل أن يقوم المصريون ب...» وهنا انقطع الاتصال قبل أن تنتهى الإشارة ، وعاد دافيد إلى الدق على جهاز التليفون ، ولكن الجهاز اللعين بدا ميتاً ، ولم يتحقق للاتصال أن يتم إلا بعد ثلث ساعة .

... إلى أن كانت الساعة الثانية وخمس دقائق حين سمعنا أزيزاً مكتوماً وأصوات انفجارات قريبة .. إن طائرات السوخوى المصرية تقذف سيلا من القنابل . وفى الوقت نفسه تقريباً تساقطت قذائف المدفعية الحادة .. لا أفهم شيئاً حتى الآن .

دمرت قذائف المدفعية المصرية وسائل الاتصال . ومواقع المراقبة .

.. ترى هل يكون ما يحدث مجرد حادث فردى أكبر قليلا من الحوادث السابقة ؟
أتمنى ذلك .

.. استمر القصف المصرى ساعتين .

.. رأيت أربع دبابات إسرائيلية تدخل موقعنا .. (باللكارثة ؟ ! لقد أصيبت ثلاث دبابات منها .. وسقط أطقمها ما بين قتلى وجرحى) .

* قرب الغروب رأينا عشرة قوارب مليئة بالجنود المصريين تعبر بهم القناة أصدرت أوامرى بضرهم بالمدفع الرشاش الثقيل . لا فائدة فقد أصيب هو الآخر .. فتح رجال الموقع نيران مدافع عوزى ، تمكنا من إصابة بعض المشاة . لكن موجة الهجوم وصلت إلى الساتر وسمعناهم يتصايحون فى ثورة : « سند بحكم .. »

* لماذا لم تعمل مواشير النابالم ؟ لغز آخر ! !

* نسف المشاة المصريون من حملة قاذفات اللهب خزان الوقود فى الموقع .

* بدأ القتال بتبادل القنابل اليدوية .

* سقط أول قتيل منا .

* لاحظت أن القوات المصرية تندفع ناحية الشرق . لكنهم تركوا بعض المشاة الذين بدأوا فى حصار الموقع .

* هبط الليل . أسوأ ليل فى حياتى . القذائف تدك المعقل . الجنود المصريون يستخدمون قاذفات الصواريخ .

سقط القتيل الثانى . والثالث .

- * لقد حوَّصر الموقع تماماً . وتم عزله من جميع الاتجاهات .
- * توالى سقوط القتلى والجرحى وكان من بينهم القائد (دافيد) .
- * أصبحت مشغولة عن قيادة الموقع .
- * مازلت متأكداً من أن قوات جيش الدفاع سوف تأتي لفك الحصار المصرى وتنقذنا .
- إننى متأكد من ذلك تماماً .

الأحد ٧ أكتوبر (المنظر المخيف !!) :

هبط الليل . . وأخذت القذائف تدك الحصن ، وراح الجنود المصريون يستخدمون قاذفات الصواريخ والقنابل اليدوية التى أخذت تنفجر داخل الدشم . لم يعد هناك شك فى أن الموقع أصبح محاصراً ، ومقطوعاً عن بقية العالم . الحالة المعنوية منهارة . نفذت حقن المورفين وزجاجات البلازما كما تناقصت كمية الأربطة الموجودة . مازلت واثقاً من أن طيراننا ومدرعائنا ستصل لنجدتنا . على الأقل هذا ما أؤكدته لرفاقى .

الاثنين ٨ أكتوبر :

مع طلوع فجر هذا اليوم . . تلقينا صدمة أخرى مروعة لقد كان المشهد الذى بدا تحت أنظارنا مثيراً للذعر واليأس . . إن ما اعتدنا رؤيته قبل ذلك كمنطقة بيضاء من الرمال أصبح أسود « من الآليات المصرية » . . لم نعد نشاهد الرمل . كانت الأرض كلها مغطاة بالعربات المصرية ، وغير بعيد عن السور المحيط بالموقع كانت تمر الدبابات بأعداد كبيرة ، كما كانت هناك سيارات نقل ومدافع وصواريخ . كل ذلك كان يتحرك ويجرى ، فى حين أننا كنا بين طرفى الكماشة .

أخذت مئات القذائف تنفجر فوق الموقع . والدشم . استطاع جنود المشاة المصريون أن يصلوا إلى فتحات الموقع . فأخذوا يلقون بالقنابل اليدوية داخل الساحات التى تحمى السور ، ووجهت الدبابات مدافعها إلى مداخل الموقع ، فراحت بقية دباباتنا التابعة للموقع تطلق نيرانها . وأثناء الاشتباك أخذ جندى اللاسلكى يصرخ طالباً النجدة .

الثلاثاء ٦ أكتوبر :

يبدو أن المصريين لم يبدأوا هجومهم الفعلي حتى الآن لكن أفراد الموقع - من تبقى منهم - كانوا يعانون من الإرهاق والخوف .

استطعت أن أستخدم نظارتي الميدانية لأعرف ما يدور حول الموقع . ولكنني رأيت ما لم أصدق . لقد كان العلم المصرى يرفرف فوق الدشمة المجاورة ! هبط قلبي وشعرت بالعار والانهيار . وخاصة أن عدد الذين يصلحون للقتال من رجالى فى هذا اليوم لا يزيد على عشرة (!!) وكان على أن أوصل رفع روحهم المنهارة .. وأخذت أقول لهم : « لسوف تمر الأزمة .. وسيأتى رجالنا .. إنهم قادمون قليلاً من الصبر .. قليلاً من الصبر ! ! » أيدنى المضمّد يرحمئيل يسرائيلى فقال هو الآخر .. « إننى متأكد أنهم سيأتون لإنقاذنا . »

الأربعاء ١٠ أكتوبر

الخميس ١١ أكتوبر

الجمعة ١٢ أكتوبر

لم نتوقف عن طلب النجدة . الأمل فى وصولها يتلاشى .. الموقف بالغ السوء . لم تعد تجدى تنقلاتى بين مواقع الحصن فالجنود والضباط ينهارون لحظة بعد أخرى . قال أحدهم إن الذخيرة تنفذ .

الهجمات المتقطعة للمشاة المصريين تطرد النوم من عيوننا . تلقينا إشارة من قيادتنا تقول : « إذا لم نستطع إرسال النجدة إليكم .. فعليكم بالاستسلام .. » لقد تأكد ماتوقعته ! .. نجح دكتور الموقع ناحوم فريين فى علاج جندى أصيب بجروح بالغة نتيجة إصابته « ببازوكا » فتحطمت يده ، ودخلت الشظايا فى جميع أعضاء جسده وحتى فى عنقه . وبعد مرور ساعات قليلة أخذ يهدى ثم فقد وعيه . قام الدكتور ناحوم بقطع زنده .. وكان يقاوم ارتجاج يديه وهو يفعل ذلك .

إن وضع الجرحى لا يطاق .

.. صورة أول جريح يسقط من بيننا فى يوم السبت الماضى مازالت ماثلة أمامى . فى لحظة هدوء حكى لى الدكتور ناحوم كيف فشل فى علاج هذا الجريح . قال لى « لم

أسيطر على التزيف ، وشعرت بأنه سينتهي بين يدي . وقد مات فعلاً بعد ست ساعات تقريباً . . إن هذه هي المرة الأولى التي يموت فيها شخص وأنا المسئول الوحيد عنه . وعندما تحققت من وفاته جلست في مكان ما من المستوصف داخل الموقع وأنا غير قادر على القيام بأي عمل . وبقيت هكذا مدة عشر دقائق . . إلى أن بدا وصول جرحى آخرين . . وكان لزاماً على أن أسارع إلى إسعافهم .

هكذا أخذ يحدثني الدكتور ناحوم إلى أن دوت فرقة هائلة . . فقلت لنفسى :
بدأوا الضرب مرة أخرى .

.....

صباح السبت ١٣ أكتوبر

مر أسبوع على حصار المصريين لنا . أصبحنا مجموعة منهكة تماماً . قمت بالاتصال لاسلكياً بالقيادة الجنوبية . . ودار بيننا الحوار التالي :

- القيادة : شلومو . . هل يمكنك الصمود ؟

- أنا : مستحيل . . مستحيل . . ليست هناك فائدة . . إننى سأسلم

- القيادة : اسمعنى جيداً . . إذا استطعت أن تصمد قليلاً . . فسوف نبذل كل جهد لنخرجكم من هناك .

- أنا : طالما أننى أقول لك إنه لم تعد هناك أية فائدة .

- القيادة : حسناً . . أرجو أن نراك . . هل تريد شيئاً ؟ !

- أنا : نعم . . اذهب إلى بيتى .

- القيادة : هل تعرف شيئاً عن وضعنا ؟

- أنا : سلبى . . سلبى

- القيادة : بالنسبة للموضوع (الاستسلام) فقد تم عمل اللازم . . عندما تظهرون في التليفزيون المصرى . . قل للأولاد أن يرفعوا رءوسهم ويبتسموا .

- أنا : لقد وعدونا بتطبيق اتفاقية جنيف . لسوف أخلى القتلى والجرحى .

- القيادة : ألا تريد أن تضيف شيئاً ؟

- أنا : أبلغ أسرتى . . وقل للزملاء أن يسهروا على أمى وأبى .

« انتهى دورى في الاتصال بالقيادة ، وتركت ضابط الاتصال في الحصن (عموس

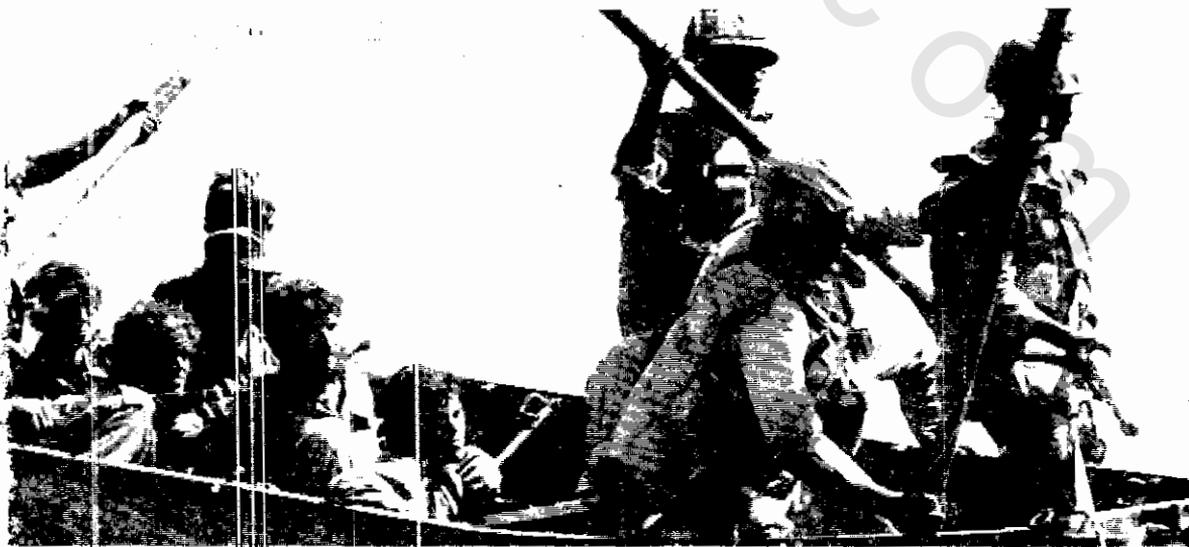


الضابط الإسرائيلي شلومو أوردبيست (قائد موقع لسان بور توفيق) يرفع يده
بالتحية العسكرية للعلم المصري وللضابط المصري لدى قاد المعركة ومستولى
على الموقع



الجنود المصريون يقودون امامهم جنود الموقع
الحصين (لسان ور توفيق) إلى مكان
تجميع الاسرى

في أحد القوارب التي حملتهم إلى الضفة
الغربية . . . ومنها إلى مقر الاسرى



سيجل) ليتلو هو عليهم قائمة الرجال الموجودين ، وذكر لهم أسماء الجرحى ، وحالة كل واحد منهم ، ثم قرأ بعد ذلك قائمة القتلى ، وكان الذى يتلقى منه هذه القوائم عامل اللاسلكى فى القيادة ويدعى (ماركو) ولما كان يعرف بعض القتلى الذين ذكر (عموس) أسماءهم ، فإنه انفجر باكياً وهو يصيح فى الجهاز : « اصمدوا . . اصمدوا . . »

.....

- قمت بالاستعدادات الأخيرة للاستسلام ، وقام الدكتور ناحوم بتغيير الضادات للجرحى ، واقترحت أنا على الرجال أن يحلقوا ذقونهم ويغيروا ملابسهم لكن معظمهم لم يعبأ بما أقول .
وأمرت أحد الجنود بأن يحمل معه كتاب التوراة الموجود فى الحصن (وكان قد قدم لنا هدية من يهود رومانيا) .

- بعد ذلك خرجت . . ومعى الدكتور ناحوم لإجراء المفاوضات مع الضابط المصرى الذى جاء معه صحفيون ومصورو تليفزيون من جنسيات مختلفة . وطلبت إذناً بجمع جثث القتلى ، فوافق على الفور ، وعدت إلى الرجال فى الحصن ، وتم نقل الجرحى فى القارب الأول ، وبعد ذلك نقلت بقية المجموعة وكانت عدسات الصحفيين وكاميرات التليفزيون تفترس ملامحنا . .

وبرغم الخوف من الأسر فإننى أحسست بالقدرة على التنفس جيداً .

* * *

* مازالت لمذكرات شلومو أردنيست الذى تولى قيادة موقع «ميزح» أو «لسان بورتوفيق» لها بقية . فقط نتوقف الآن لحظات لنرى ما يقوله «جرانفيل واتسن» مراسل رويتر وأحد عشرات الصحفيين الذين شاهدوا استسلام هذا المرفق .

قال جرانفيل واتسن :

« استسلم اليوم آخر موقع إسرائيلى حصين على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وتم أسر ٣٧ شخصاً من القوات الإسرائيلىة وبدا عليهم الإرهاب ، وكانوا ملطخين بالأوحال حتى حين تم اقتيادهم بزوارق التجديف عبر القناة إلى الضفة الغربية وكان أول إسرائيلىين يجرى نقلهما بالقوارب قائد الموقع ويدعى شلومو أردنيست ويبلغ من العمر ٢٣ عاماً برتبة «لفتنانة» ، وأما الثانى فكان طبيب الوحدة .

وقد واجه الضابطان الشابان على ضفة القناة عدداً من المصريين الذين أكدوا لهما أنهما سيلقيان المعاملة المناسبة وفقاً لاتفاقيات جنيف . إلا أن القائد المصرى المسئول عن عملية التسليم لم يرقه منظر القائد الإسرائيلى الشاب الذى يمشى متمهلاً فقال له بالإنجليزية « قف . . انتباه » وعلى الفور امتثل القائد الإسرائيلى ، ورفع يده محيياً العلم المصرى ، هذا وعندما دخلت الموقع استطعت أن أرى معدات ، وأجهزة راديو وعدسات مكبرة وخوذات ، وكانت هناك صناديق كثيرة مليئة بالذخيرة . . (وكان من الواضح أن الإسرائيليين لم يستسلموا بسبب نفاذ الذخيرة !) .

تلك كانت الصورة الحية لانهار الضباط والجنود الإسرائيليين فى موقع حصين جداً . . وانعدام قدرتهم على المقاومة ولهفتهم على الاستسلام .
تلك كانت الصورة كما سجلها بقلمه مراسل وكالة رويتر . وكما نقلتها أنا عنه حرفياً .
ونعود إلى مذكرات شلومو أردنيست قائد موقع لسان بور توفيق ، مع مراعاة أن الصفحات التالية أضافها إلى مذكراته بعد عام من الحرب .

« . . مرت الأيام . . ومرت الشهور . . وما زال كل شيء ماثلاً أمامى بكل الوضوح وكل الألم وكل القسوة . إنك يمكنك أن تفعل أى شيء . أن تقضى وقتاً طيباً . أن تزور أحد أصدقائك . وأن تجلس ساعات طويلة تقرأ الكتب ، وأن تسافر خارج البلاد . باختصار تستطيع أن تفعل أى شيء ، ولكن تلك السحابة القائمة لا يمكن أن تنساها أو تغيب عن عيونك . إنها أهوال الحرب . حرب يوم الغفران (أكتوبر) . . إنها الحرب وذكرياتها التى تطاردنى أينما كنت ، وأينما ذهبت . إننى حتى الآن لا تفارقنى تلك المناظر الفظيعة . . حين ظهر الصلب الذى برز من الماء (يقصد الدبابات والمدرعات المصرية) . وأبداً لا أنسى الرصاص الذى كان يمر من فوق رؤوسنا بلا توقف ، وذلك البحر البشرى المصرى الذى برز لنا من الرمال . لقد حدث لنا فى ذلك اليوم ما لم يكن يخطر على بال أحد منا . أبداً لم نتوقع أن يحدث ذلك فى حياتنا أو فى حياة أجيالنا القادمة .

إننى أتذكر الآن كيف تمكن الجنود المصريون المسلحون بقاذفات اللهب من التسلل إلى قرب الحصن ، حيث بدأوا بعد ذلك فى توجيه المقذوفات ، وإلقاء القنابل اليدوية

علينا . أتذكر صرخة أول قتيل من بيننا . . أتذكر . . أتذكر .
أتذكر لحظات الاستسلام للمصريين . . حين سلمنا العلم ، وعبرنا إلى الجانب
الآخر من القناة معصوبى الأعين ، ثم قادونا في عدة عربات . . أتذكر اللحظة التي
دفعونا فيها إلى غرفة التحقيقات .

.....
وحيثما عدت من الأسر إلى بيتي في « بين براك » وجلست مع أصدقائي كانت
سعادتهم غامرة . . وأحاطوني (هم أيضاً) بالأسئلة والتحقيقات . . لكنها كانت هذه
المرّة من أصدقاء ومع كأس القهوة والتورنة . وإلى جوارنا أبى وأمى اللذان لم يتعد نظرهما عنى .

.....
بعد ذلك سافرت وزملائي إلى المصحّة في (زخرون يعقوب) للاستشفاء والاسترخاء .
ماذا حدث بالضبط ؟ كيف حدث ما حدث ؟ كيف قتل هؤلاء الذين بقيت جثثهم في
الموقع . . وأين هي الآن ؟

.....
إننى - قبل الحرب - كنت أفكر في التوقيع على استمارة الخدمة الدائمة وقد
قضيت ساعات طويلة في مكتب قيادة « الناحال » أتحدث في هذا الموضوع - ولكننى
الآن - وبعد عودتى من الأسر - أطلق سراحى !

.....
منذ أيام طلبوا منى مراقبة إحدى فرق البحث عن الجثث المفقودة في سيناء وبالتحديد
الجثث التي بقيت في موقع « ميزح » وموقع « كفار » وموقع « منشح » وقد وافق المصريون
على أن يرافق فرق البحث هذه أحد المحاربين الذين كانوا في المنطقة في أثناء القتال .
وكان على أن أدخل هذه المواقع للبحث عن ست جثث مفقودة كما جاء في المعلومات
المتوفرة . . إننى حين علمت بأننى سأعود إلى حيث كان موقعى . . إلتابتنى مشاعر
لا أستطيع أن أصفها .

.....
. . إننى أستطيع أن أغمض عيني وأرى كل شبر وكل ستمتر في الموقع . أتذكر
كل شيء . .

.....
منذ عرفت بنأعودتى - مع فرق البحث عن الجثث - وأنا لا أعرف للنوم طعماً . لقد

طاردتني تلك المناظر . عادت إلى ذاكرتي صورة ما حدث ، وتلك الجثث التي تركناها
ووضعنا بجانبها وثائق وخوذات وما إلى ذلك ، كعلامات نتعرف من خلالها - بعد ذلك -
على الزملاء الذين تركناهم . . . ولقد كان الضباط المصريون ورجال الصليب الأحمر يقنون
على مقربة منا ونحن نفعل ذلك .

• مرت على لحظات خاطفة شاهدت من خلالها الآباء الذين فقدوا أبناءهم ونظراتهم
تقول . . فلنعمل أى شيء من أجل أن يكون لهم قبور يمكن لنا البكاء عليهم فيها . .
إنني لا أعرف ماذا حدث للموقع بعد أن دخل إليه المصريون . اعتقدت أنهم
قد هدموه في أثناء الحرب - تخيلتهم داخله .

• لقد كان هذا الموقع جزءاً منى ، وقد عشت فيه شهوراً عديدة .
• جاء اليوم الذى خرجت فيه - مع فرق البحث عن الجثث - إلى تلك المنطقة .
وفي الطريق إلى هناك تذكرت الحرب مرة أخرى . . . القتل والأسرى . . . وتلك
اللحظات المؤلمة والقاسية . وذلك الخوف من اللحظة القادمة التى لا تعرف ماذا سيحدث
لك فيها .

• توقفتنا انتظاراً لتأشيرة الدخول إلى المنطقة ، ولكن المصريين لم يسمحوا لى بالدخول
إلى الموقع .

.....

• عدت إلى الشمال . إلى المدينة . إلى الحياة والأحلام .
في الليلة الأولى - بعد عودتي من الأسر - لم أحلم بشيء . لأننى لم أستطع النوم
حتى الصباح .

في الأسابيع التالية تملكنتى تلك المشاهد والمناظر . كنت أنام وأصحو فجأة مذعوراً
ومبلاً بالعرق . وبجانب سريري كنت أرى دائماً أمى . . . وكنت أسأها .

- لماذا تقفين هنا ؟

وكانت تجيبني قائلة :

- شلومو . . لقد سمعتك تصرخ وأنت نائم .

وأقول لها : « لقد رأيتهم . . رأيت الزملاء الذين قتلوا . . سمعت صرخاتهم . .

لقد كان شيئاً أليماً . . ومروراً . . » .

.....

. . انتهت مذكرات شلومو أردينست . . قائد موقع لسان بور توفيق أو موقع ميزح كما كان يطلق عليه الإسرائيليون . . ولعل هذه المذكرات تكون قد أعطت صورة دقيقة لمجموعة من الضباط والجنود الإسرائيليين في موقف من مواقف الحرب التي تحققت فيها أول مواجهة بين الجندي الإسرائيلي والمقاتل المصري .
ويحين الآن الوقت لكي نعقد المقارنة الحية والمحددة والحاسمة من خلال وقفة أمام الصورة الأخرى - صورة مجموعة من الضباط والجنود المصريين عاشوا هم أيضاً تجربة الحصار في أيام الحرب . . كيف كانت ظروفهم؟ وكيف تصرفوا؟ ولعل ما يضيف إلى سهولة المقارنة أننا سنقرأ أيضاً صفحات من مذكرات أحد المقاتلين المصريين من قوة موقع كبريت .

أولاً : وصف لكلا الموقعين

١ - موقع لسان بور توفيق :

(أ) كان من يقف فوق الضفة الغربية لقناة السويس يرى هذا الموقع في الشرق وقد بدا مثل جبل صغير . لقد كان يضم ست دشم أقامها الإسرائيليون على طول اللسان الممتد إلى ما يزيد على خمسة كيلومترات .
وكان عرضه يتراوح ما بين ٧٥ و ٢٠٠ متر .

جدران الدشم تتكون من عربات السكك الحديدية المليئة بالأسمنت المسلح وقلنكات السكك الحديدية . وفوق هذا ردم رملي يرتفع حوالي ٣ أمتار لا تؤثر فيه القذائف .
الدشم الست متصلة فيما بينها بأنفاق تحثية بحيث إذا سقطت إحداها يهرب أفرادها إلى الدشم الأخرى ويغلقون خلفهم أبواباً فولاذية صلبة . باختصار كان الموقع محصناً بحيث لا يؤثر فيه ضرب الطيران والمدفعية بشكل كبير حتى أن أكبر أنواع القنابل كانت لا تحدث فيه إلا إصابات طفيفة بالجدران والأسمنت .

هذا بالإضافة إلى تسليح الموقع الذي يضم خمس دبابات أمريكية الصنع من طراز باتون ، وبطاريات مدفعية ثقيلة ، ورشاشات ثقيلة ومتوسطة ، إلى جانب التسليح الشخصي للأفراد .

(ب) كانت القوة التي تحصنت في هذا الموقع مكونة من اثنين وأربعين فرداً منهم الطبيب والمضمد .

(ح) عندما بدأ الهجوم المصري . . أغلق أفراد القوة الإسرائيلية الموقع على أنفسهم وبدأوا المقاومة من الداخل . وقد تجاوزتهم القوات المصرية المدرعة منطلقاً إلى الشرق . وتولت قوة صغيرة عبارة عن جزء من كتيبة أمر الموقع فحاصرته واحتلت الأماكن المحيطة به .

٢ - موقع كبريت :

كانت تجهيزاته أقل بكثير من تجهيزات موقع لسان بورتوفيق لسببين محددين هما :

- ١ - لما كان موقع لسان بورتوفيق قد تعرض لغارة من قوات الصاعقة في أثناء حرب الاستنزاف . . فإن الإسرائيليين أعادوا بناءه مستفيدين من الدروس التي نتجت عن تلك الغارة فجعلوه واحداً من أقوى حصون خط بارليف .
- ٢ - الأهمية العسكرية لموقع لسان بورتوفيق تفوق كثيراً أهمية موقع كبريت وبالتالي انعكس ذلك على تجهيزات كل منهما .

ثانياً : يوميات الموقعين

يوميات موقع اللسان :

٦ أكتوبر / بدأت قوة الصاعقة المصرية بقيادة المقاتل زغلول حصار الموقع . كان واضحاً أن التحصينات القوية تساعد أفرادها على البقاء أطول مدة ممكنة . كما أن الذخائر والأعدية و مواد الإعاشة مكدسة فيه بما يضمن المقاومة شهوراً عديدة .

- مع بداية الحصار . . بدأت استغاثات طلب النجدة .
- ردت القيادة الجنوبية بأن النجدة في الطريق .

موقع كبريت :

من ٢٣ أكتوبر / مع قرار وقف إطلاق النار . . وانهك القوات الإسرائيلية له أصبح الموقع مجرد نقطة وسط حصار قوات الثغرة الإسرائيلية . قرر قائد الموقع إبراهيم عبد التواب عدم الالتجاء إلى داخل النقطة القوية إدراكاً منه بأن العدو يعرف كل تفاصيلها حيث أنه هو الذي شيدها . . ولم يتركها إلا بالهجوم المصري يوم ٦ أكتوبر . . وبناء على ذلك انتشر أفراد القوة المصرية حول النقطة ، ونظموا أنفسهم وأماكن ذخيرتهم وتموينهم . كانت هجمات العدو قد بدأت منذ تسعة أيام وقد شن العدو على الموقع غارات جوية

مكثفة بدأت من أول ضوء . . وكان الفاصل الزمني بين كل غارة وأخرى لا يزيد على أربع دقائق .

أقسم القائد عبد التواب مع رجاله بالألا يستسلموا ، أو يمكننا القوات الإسرائيلية من اقتحام الموقع إلا على جثتهم . . لم تتوقف هجمات العدو لحظة واحدة .
نقل بعض الرجال زملاءهم الجرحى على نقالات . . وساروا بها على الأقدام مسافة سبعة كيلومترات إلى الجنوب حيث وحدات الجيش الثالث . وتركوا جرحاهم للعلاج وعادوا إلى موقعهم .

« ظهرت مشكلة المياه . . فابتكر أحد الجنود وسيلة لتقطير مياه قناة السويس . . وبرغم أنها كانت تتم في ظروف خطيرة ، وتحتاج لصبر هائل فإنهم نجحوا في تحقيق هدفهم إلى حد ما .

« قام القائد بتوزيع الطعام الموجود . . نصيب كل فرد في اليوم هو « نصف علبة فول ١٢٥ جراماً + ربع باكوسكويت + $\frac{1}{8}$ لتر مياه » .

« برغم الظروف الصعبة التي أحاطت بأفراد الموقع فإنهم لم يكفوا عن الاشتباك مع القوات الإسرائيلية التي تحاصروهم . لم يكتفوا بالتصدى لهجماتهم وإنما كانوا يضربون أى تحرك للعدو في المنطقة المحيطة بهم ، وكان مما يؤثر على أعصاب الإسرائيليين أن القوة المصرية بدأت تستخدم الأسلحة والذخيرة الإسرائيلية التي استولت عليها باستيلائها على الموقع في بداية الحرب .

« الاشتباكات اليومية لا تتوقف والحصار الإسرائيلي يزداد كثافة وعنفاً .

مع لسان بور توفيق (الجمعة ١٢ أكتوبر) .:

« التقطت القوات المصرية إشارة لاسلكية صادرة عن الموقع الإسرائيلي يطلب فيها قائد الموقع (شلومو أردنيسيت) من قيادته الاتصال بالصليب الأحمر لحضور عملية تسليم الموقع . . وفي مساء اليوم نفسه اتصل مندوب الصليب الأحمر في القاهرة بالقيادة المصرية ليقدم طلب حكومة إسرائيل بالموافقة على استسلام الموقع - وكان قد مضى على حصاره ستة أيام فقط - وكانت القوة التي تحاصره أقل من كتيبة صاعقة .

موقع كبريت :

- * محاولات الإسرائيليين لافتحام الموقع - برغم وقف إطلاق النار لا تهدأ أو تتوقف .
- * مضى على الحصار حتى الآن شهر وثلاثة أيام .
- * عرضت إسرائيل في مباحثات الكيلو ١٠١ أن تحلى القوة المصرية موقعها وتخرج منه دون أسلحة .
- * رفضت القيادة المصرية ، ورفض قائد الموقع ورجاله وأبلغوا قيادة الجيش الثالث أنهم متمسكون بالأرض .
- * قدمت إسرائيل عرضاً ثانياً وهو أن تحلى القوة المصرية موقعها دون أن يستسلم أفرادها ويتم تسهيل مرورهم للالتحاق بوحدات القوات المسلحة المصرية ومعهم كافة أسلحتهم وذخيرتهم .
- * رفض قائد الموقع ورجاله وأكدوا تمسكهم بالأرض .
- * في يوم ١٧ نوفمبر تجيء إشارة من الصليب الأحمر تفيد بأنه ستصل طائرة هيلوكبتر إسرائيلية وسيهبط منها أفراد من الصليب الأحمر لإخلاء الجرحى الموجودين بالموقع وتسليمهم إلى القوات المصرية في الكيلو ١٠١ .
- * رفض قائد الموقع ورفض الجرحى أنفسهم . . وقال القائد إنه لو وصلت الطائرة فسيفتح الموقع نيرانه عليها .
- * عادت الاشتباكات والهجمات الإسرائيلية على الموقع بصورة بالغة العنف والضراوة .
- * القوة المصرية تقاوم برغم سقوط بعض القتلى والجرحى .

موقع لسان بور توفيق (السبت ١٣ أكتوبر) :

- سبعة أيام فقط هي التي مرت على حصار الموقع . . حاولت القيادة الإسرائيلية أن تقنع قائد الموقع بمحاولة الاستمرار في المقاومة مع وعود مجددة بإرسال نجدات إليه لكنه قال إنه مصمم ورجاله على الاستسلام . . . وقد تم اليوم فعلاً استسلام قوة الموقع . . ورفع عليه العلم المصرى .

موقع كبريت (١٤ يناير ١٩٧٤) :

تسعون يوماً مرت حتى الآن وما زالت القوة المصرية تتشبث بالموقع برغم الحصار الإسرائيلي والهجمات التي تستخدم فيها الطائرات والمدرعات والمدفعية وقوات الكوماندوز .
استشهد اليوم العقيد إبراهيم عبد التواب . . حيث كان يقف بنفسه في نقطة الملاحظة المتقدمة ليوجه المدفعية ، وسقطت دانه هاون ٨١ مللى عليه . . فأسلم روحه .
حل الرائد سعد في قيادة الموقع وقد اجتمع على الفور ببقية الرجال وجددوا جميعاً القسم على مواصلة النضال والمقاومة .

موقع كبريت (أول مارس ١٩٧٤) :

انقضى على الحصار الإسرائيلي للموقع حتى الآن ١٣٤ يوماً . . دون أن تستسلم القوة المصرية ، أو تهتر قدرتها على المقاومة برغم وقوع الخسائر ، وكثافة الهجوم الإسرائيلي وشراسته .

تنفيذاً لاتفاقية فك الاشتباك الأولى انسحبت القوات الإسرائيلية من المنطقة وعادت إلى الشرق . . وبذلك انهار الحصار . . واستقبل أفراد القوة المصرية أول سيارة تصل إليهم وكان فيها اللواء سعد مأمون مساعد وزير الحربية (وقتئذ) واللواء أحمد بدوى قائد الجيش الثالث . وقد رفع مساعد وزير الحربية يده بالتحية العسكرية واحتضن أفراد الموقع واحداً . . واحداً .

.....

يوم من مذكرات مقاتل مصري . . من قوة « كبريت » :

اليوم هو الثامن عشر من شهر يناير ١٩٧٤ .

مضى على صمودنا داخل الموقع أكثر من تسعين يوماً . . وأنا وزملائي مستعدون للصمود أضعاف هذه المدة برغم كل الصعاب .

بالنسبة لمذكراتي اليوم فإنني استيقظت مبكراً جداً (الواقع أن كلمة « استيقظت » لا تؤدي المعنى المطلوب والمعتاد ، فالليل هنا معناه استيقاظ دائم ، أما النوم فهو متقطع لا يتجاوز دقائق معدودة) .

في الصباح الباكر قمنا بضرب لنش للعدو كان يحاول احتلال الجزيرة القريبة جداً منا . . وكانت «ضربة معلم» فقد تهاوى اللنش إلى القاع من أول قذيفة .
تم توزيع التعيين «الأكل والماء» بواقع كل علبة تعيين (وغالباً ما تكون علبة فول أو خضار زنة ٢٠٠ جرام) لأربعة أفراد . . يعنى نصيبى لليوم كله ربع علبة . (لا يهم) .
المس ويلمس زملائى أن قلوب الجيش والشعب كله معنا .
علمت أن محمود يعانى من آلام روماتيزمية حادة .

عندى علبة عصير أحتفظ بها من عشرة أيام لأتناولها حين أصاب بإرهاق شديد .
أخذتها وأعطيتها له (طبعاً هذا كل ما أستطيع أن أقدمه له . لو كنا في القاهرة مثلاً
لقدمت له علبة شيكولاته محترمة) .
سرفى جداً أن الرجال يسمونى هنا «أخونا نور» فأنا أحبهم وأعزهم جداً . . إنهم
أكثر من إخوتى .

أمس كان دورى في مجموعة التقطير . . كادت تصيبنى طلقة غادرة حين كنت أحمل
إحدى فلنكات السكك الحديدية لنجعلها وقوداً لتسخين المياه الملحة .
بعد نجاحنا في تقطير زجاجتين كاملتين . . وقبل أن نصل إلى أما كنا فتح العدو
نيرانه على الموقع . . اتبعنا معه «الطريقة إياها» : استخدمنا كل الأسلحة المتوفرة لدينا
وخاصة الأسلحة الإسرائيلية التي استولينا عليها في هذا الموقع منذ أول أيام الحرب .
(وهذا يغيظهم ويصيبهم بالانهيار) أيضاً كان بعض الرجال يتقدمون بسرعة البرق في
اتجاه القوات الإسرائيلية التي تحاصرنا ، مما كان يجعلهم يتصورون أن عددنا ضخم جداً . .
وأن معنا أسلحة وذخيرة بغير حدود .

مع هبوط الليل توقف الاشتباك العنيف اللهم إلا بعض الطلقات الفردية .
وجدتني الليلة أفكر في الأهل والأصدقاء . بابا الحبيب وأخى مدحت . يا ترى عامل
إيه دلوقتي ؟ من أول الحرب لم أره . - يا ترى ماما بتقول إيه دلوقتي ؟ واحد في الجيش
الثالث . وواحد في الجيش الثانى .

تناولت طعامى مع زملائى سعيد وأحمد وعبد الفتاح . . قررنا أن نأكل علبة الخضار
على دفعات تحسباً للأيام القادمة التي قد لا يصل فيها أى تعيين .
ضحك سعيد وهو يقول «الكيف أهم من الكم» .
أرسل لى سلامة ورقة يطلب فيها منى سيجارة أو أقل . وأيضاً باكو شاي لو أمكن

(للأسف نحن الأربعة في المخبأ ليس معنا إلا سيجارة واحدة وشاى يكفى دور واحد) . أرسلت أذعوه للحضور ومشاركتنا في السيجارة والشاى . على غير ما توقعت (نتيجة لظروفنا) - لبي سلامة الدعوة واستقبلناه ضاحكين وقلت له « الشاى يخليك تجازف في الوقت دا وتيجي هنا » ، ورد علينا بضحكته الهادئة وهو يقول لنا « أنا جاي أقولكم خبر عظيم يدوبك وصلني دلوقتي » ولا بد أن حب الاستطلاع قفز إلى ملامحنا مسرعاً فأضاف هو على الفور « الذئب . . استرد بصره ورجعت صحته تمام » . تحول حب الاستطلاع إلى فرحة غامرة ، وانطلقت أسئلتنا متدافعة بعضها وراء بعض . تسعى كلها إلى التأكد من الخبر الذي حمله إلى الموقع أحد رجالنا الذين تسللوا عبر قوات العدو إلى أول موقع لجيشنا الثالث حيث عرف النبا العظيم . .

ووجدتني أنا أعود بذكريتي إلى أكثر من شهرين . . وأعيش من جديد قصة زميلنا المقاتل الشرس أحمد رمضان الذي أطلقنا عليه أكثر من اسم ، والتصق به اسم « الذئب » من بين هذه الأسماء . .

كنا في ذلك الوقت قد بدأنا نواجه مشكلة نفاذ كميات التعمينات (الأكل) والمياه الموجودة لدينا . . وكان علينا أن نفكر في طريقة أو أخرى لتوفير احتياجاتنا . وتوصلنا إلى فكرة تكثيف مياه البحر ، وخصصنا مجموعات منا لهذه المهمة . . وكنت أنا واحداً من هذه المجموعات .

وبالنسبة للتعمينات . . جمعنا كل ما كان قد تعرض منها للاحتراق نتيجة الاشتباكات . . (واكتشفنا أن الأكل المحروق لذيد جداً) لكن المشكلة لم تحل . . فقد انتهت أيضاً هذه التعمينات .

مرت أيام لم يتناول أحدنا شيئاً على الإطلاق . . وبدأنا في عمليات انتحارية بدأها الذئب (أحمد) وأربعة من الزملاء حين اخترقوا صفوف العدو المحاصرة لنا ، ووصلوا إلى أول موقع مصرى على بعد ثلاثة كيلومترات . . واستقبلهم زملاؤنا في هذا الموقع (من مواقع الجيش الثالث) استقبالاً حافلاً ، عادوا بعده وقد حملوا كل ما استطاعوا من طعام وماء . . وكانت رحلة عودتهم - عبر مواقع العدو مرة أخرى - بالغة الجرأة والخطورة ، وقد قبلهم قائدنا « عبد التواب » فرداً فرداً ، وقام في الحال بتوزيع الكمية علينا جميعاً بالتساوى . .

وتكررت هذه العملية مرات ومرات . . وكان عدد أفراد القوة يتضاعف مرة بعد

أخرى . . واشتركت أنا في إحدى هذه العمليات .
لكن الإسرائيليين اكتشفوا « اللعبة » فأخذوا يضيقون الخناق علينا ، وأحكموا
حصارهم تماماً .
لكن أحمد (الذئب) اعتبر نفسه مسئولاً عن حل المشكلة الجديدة . . أو مسئولاً عن
مشكلة الأكل والشرب لنا جميعاً بشكل عام . . فأخذ يراقب نقطة مراقبة العدو في
مواجهة موقعنا ولا حظ أن رجالها الأربعة يأتون إليها مع أول ضوء للنهار ومعهم « تعيين »
اليوم من طعام وماء ، وكعادتهم لا يجرون على البقاء في النقطة ليلاً خوفاً من أن يتعرضوا
لإحدى غاراتنا ، فكانوا بمجرد هبوط الليل يتركونها إلى موقع آخر يتجمعون فيه مع عدد
آخر من زملائهم . وهنا اتخذ « الذئب » قراره ، فتسلل إلى النقطة مساء . . ونام فيها -
وحده - إلى أن ظهرت تباشير الفجر . . ولحق الجنود الإسرائيليين الأربعة قادمين وكل
واحد منهم يحمل صندوقين من الطعام الجاف والطازج . . وقد فتح أحدهم الراديو
الذي يحمله .

اتخذ الذئب مكانه . . واستعد برشاشه . . وقد قرر أن يؤجل صدامه معهم إلى آخر
لحظة . . وبالفعل ضبط أنفاسه تماماً . . إلى أن دخلوا النقطة . . وصوت الراديو يكاد
يغطي على أحاديثهم ، وعلى صفير أول واحد منهم . وقبل أن يفتح هورشاشه لمحوه فأصابهم
الارتباك والذعر . . وسيطر هو على الموقف بأسرع ما يمكن فقتل ثلاثة منهم ، وأسر الرابع
وحوله إلى عربة جربان قام بربط صناديق التعيينات والماء على صدره وظهره وقاده أمامه
إلى الموقع حيث استقبله القائد . . وعلقت أنا على منظره وهو يدفع الأسير الإسرائيلي
المحمل بالأكل والماء أمامه . . فقلت « الخير على قدوم الواردين » وعلق هو ضاحكاً
« الواردين مين ؟ . أنا واللا العسكري الإسرائيلي دا ؟ » .

بعد ذلك بأقل من ساعة شن الإسرائيليون هجوماً عنيفاً علينا في محاولة للانتقام
وإسقاط الموقع وإجبارنا على الاستسلام لكنهم فوجئوا بنا نرد عليهم بعنف أشد . . بل
إن ثلاثة أفراد منا . . تسللوا في أثناء الضرب . . إلى أقرب نقطة من أحد مواقعهم وفتحوا
عليه نيرانهم . . فأثاروا بينهم ارتباكاً شديداً . .

ولم نخسر نحن في هذا الهجوم سوى إصابة بسيطة للزميل عامر . . وتدمير جهاز
الاتصال الوحيد الذي نستخدمه في موقعنا . . وعلى الفور تقرر أن يقوم بعضنا بعمل
انتحاري آخر . . يتلخص في التسلسل مسافة ثلاثة كيلومترات . . إلى أول مواقع الجيش

الثالث لإحضار جهاز اتصال من قيادتنا هناك . . . وتطوع أحمد « الذئب » للقيام بهذه المهمة قائلاً وهو يبتسم « أنا رجلى خدت على السكة دى أكثر منكم ؟ » . . . وتسلم فعلاً خطاباً من القائد عبد التواب . . . واتجه إلى البحر وقطع المسافة سباحة وكان كلما حل به التعب يستريح على الشاندورات الموجودة في مياه القناة . . . فيستجمع قواه ثم يعاود العوم .

وكانت مفاجأة رائعة لنا حين عاد في مساء اليوم التالي ومعه جهاز اللاسلكي ملفوفاً بأكياس البلاستيك حتى لا يفسده مياه البحر . . . وفي الليلة التالية صمم أحمد « الذئب » على أن يقود المجموعة التي تقرر أن تقوم بنسف أحد مراكز الوقود التي تعتمد عليه قوات العدو المحاصرة لنا اعتماداً كبيراً . . . وكانت المهمة شاقة للغاية . . . ولكن أحمد وأفراد المجموعة . . . اندفعوا إلى هدفهم وقذفوا بعبواتهم الناسفة في عمق المركز . . . فبدأت الانفجارات وتحولت المنطقة إلى جحيم من النيران .

وبعد دراسة سريعة للموقف . . . اتخذنا جميعاً مواقع الاستعداد لصد الهجوم المتوقع . . . وكونت كل مجموعة كميناً في الطرق التي ينتظر أن تتقدم منها الدبابات الإسرائيلية وقد وفقت أنا ومجموعتي في تدمير إحدى الدبابات . . . وتمكنت مجموعة الذئب التي كانت على يساري من تدمير دبابة أخرى . . . واشتبكوا مع أفراد طاقمها الذين حاولوا الفرار منها . . . ورفع أحد أفراد الكمين رأسه من حفرة التي يحتمي فيها مهلاً ومكبراً ظناً منه بأن جنود العدو قد قتلوا جميعاً ، ولكن طلقة غادرة أصابته في رأسه . . . فسقط شهيداً . . . فاندفع أحمد نحوه . . . وكانت صدمته شديدة حتى أنه لم يتنبه للانفجار الذي وقع بالقرب منه . . . والذي أغمى عليه بعده . . . ثم فقد بصره بسببه .

كانت صدمته شديدة لأن الزميل الشهيد هو محمود صديقه ، ورفيق صباه ودراسته ، وخدمته بالقوات المسلحة . . . ولعل ما زاد من صدمة أحمد أنه قال لمحمود قبل هذه العملية « لا داعي لاشراكك أنت هذه المرة . . . وعليك أن تستريح قليلاً » . فأنفعل محمود وقال له « يا أحمد أرجوك متحرمينش من الشهادة » . . . ولم يكن أحمد هو وحده الذي أصابه كل هذا الحزن من أجل محمود . . . فقد بذلنا نحن جميعاً جهداً هائلاً للتغلب على حزننا من أجله . . . ومن أجل أحمد نفسه الذي فقد بصره . . .

وكان المطلوب أن تبدأ عملية انتحارية أخرى لإخلاء أحمد وزميل آخر هو عزت . . . لعلاجهم . . . وكنت أنا ضمن المجموعة التي حملتهم في قارب وتحركت بهم تحت

ستاركثيف من النيران حتى أول حدود قواتنا الرئيسية . . . » .
استعدت هذا الشريط من الذكريات المثيرة وأنا أنظر إلى سلامه الذى أخذ يحكى
لنا كيف أن الأطباء فى مستشفى السويس قالوا إن السبب الرئيسى فى شفائه واسترداد بصره
هو روحه المعنوية العالية وليست الجلسات الكهربائية الإثنى عشرة التى أجروها له .
وقد أضاف سلامة قائلاً : إن « الذئب » كان مصمماً على العودة إلى كبريت
لولا تدخل اللواء أحمد بدوى قائد الجيش الثالث شخصياً واشترآكه - مع مدير المستشفى -
فى إقناعه بالبقاء فيها . . تحت الملاحظة . . وللقيام بدور آخر فى السويس .
لم أكن وحدى الذى قبل سلامه لهذه الأخبار الرائعة عن زميلنا « ذئب كبريت » . .
أحمد رمضان ابن دمنهور ، بل إن مصطفى أهداه كوب الشاي الذى كنا سنقتسمه
جميعاً . . وإن كان هو قد صمم على مشاركتنا إياه فيه .
. . . إنها أيام صعبة لكنها رائعة . . وأروع ما فيها أننا نزداد تصميماً يوماً بعد يوم
على التثبيت بموقعنا . . مهما كان الثمن ؟

« مقاتل نور »

.....
.....
تلك كانت صورة القوة المصرية التى تعرضت للحصار فى موقع كبريت . وقاومت
١٣٤ يوماً إلى أن انسحب الإسرائيليون أنفسهم ونحن إذا ما وضعناها إلى جانب صورة
القوة الإسرائيلية فى موقع لسان بور توفيق التى استسلمت بعد سبعة أيام فقط من
حصارها .

إذا نحن وضعنا الصورتين متقابلتين فإننا لا نحتاج إطلاقاً لتحديد نقاط المقارنة
واستخلاصها فكل صورة تنطق بواقع أصحابها .
. . فقط . . لا بد أن أقول . . إن ما ظهر من سقوط الهالة الكبيرة التى أحاطت
بالجندى الإسرائيلى « السوبرمان » كما اتضح فى موقع لسان بور توفيق . . ما هو إلا
تأكيد للحقيقة الكبيرة التى أثبتتها حرب أكتوبر/ رمضان . . وهى سقوط أحد أركان
نظرية أمنهم المتمثل فى تفوق الجندى الإسرائيلى وبراعته وجراته . . كما صورته
دعايتهم .

وفى الوقت نفسه تقول « الصورة المقابلة » : صورة الأفراد المصريين الذين قاوموا الحصار فى موقع كبريت طوال تلك الفترة . . إن حرب أكتوبر قد أزالَت الصداَ الدعائى « التمسوى » الذى أحاطت به الدعاية الصهيونية المقاتل المصرى . سقط الصداَ . . وظهر المعدن الحقيقى لهذا المقاتل . . فكان المثال الحى للشجاعة والذكاء والصمود .

باختصار :

فى موقع لسان بور توفيق سقط القناع عن الجندى الإسرائيلى . . وفى موقع كبريت سقط الصداَ عن معدن المقاتل المصرى .

.....



(٣)

من أوراق القوات المسلحة السورية

في الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر يوم السبت ٦ / ١٠ / ١٩٧٣ وفي اللحظة التي بدأ فيها الهجوم المصري ، كانت القوات السورية تبدأ هي الأخرى هجومها بستار كثيف من نيران المدفعية فانطلق أكثر من ألف مدفع تصب قذائفها على جميع المواقع الإسرائيلية في الجولان .

وفي نفس الوقت كانت الطائرات الميغ والسوخوي السورية تندفع موجة بعد موجة وتلقى بحمولتها على المواقع والدبابات ومنشآت اللاسلكي الإسرائيلية .
وتقدمت ثلاثة طوابير من القوات السورية نحو الخطوط الإسرائيلية وهي خطوط دفاعية مزودة بكافة أنواع الأسلحة المضادة للدبابات وبقاذفات الصواريخ

وكان التقدم السوري على ثلاثة محاور رئيسية :

١ - المحور الرئيسي الأوسط وقد حققت القوات السورية فيه (خرقين) أساسيين يتجه أولهما على محور خان ارينبه - الحميدية ، طريق القنيطرة مسعدة ويطوق القنيطرة من الشمال . ويكمل الخرق الثاني الطوق حول القنيطرة من الجنوب .
وكانت أهداف هذه العملية محاصرة القوات الإسرائيلية الموجودة في القنيطرة وتدميرها والتحرك بعد ذلك غربا على محورين .

(أ) القنيطرة - واسط - قنعة

(ب) القنيطرة - كفر نفاخ - صنابر

٢ - المحور الشمالي وهو محور ثانوي يخرق الجبهة في اتجاه مجدل شمس - مسعدة - بانياس .

٣ - المحور الجنوبي وهو محور ثانوي أيضاً يخرق الجبهة عند الرفيد وينقسم إلى فرعين يتجه أحدهما شمالا على محور : (الرفيد - تل الفرس - الفرارة - القنيطرة) .
وذلك لتطويق القوات المحصورة بين الخط الأمامي وطريق « الرفيد - الجوخدار - فيق - كفر حارب - الحمة » بالإضافة إلى ضربة تتجه من « تسيل » في اتجاه طريق

« الرفيد - فيق » تقطع مواصلات قوات العدو في جو خدار .

وكانت إسرائيل قد أقامت سلسلة من التحصينات الهندسية والموانع الميدانية والنقط الدفاعية في مواجهة القوات العربية السورية ، كما أقامت في الوقت نفسه مستعمراتها وفق مخطط دفاعي يضمن التعاون فيما بينها بالنيران وتحيط بهما حقول الألغام والأسلاك الشائكة والخنادق .

وقد تقدمت وحدات الهندسة السورية وفتحت الثغرات في هذه الحقول وحددتها وعندما أعطيت إشارة البدء اندفعت الدبابات والمشاة تتقدما وحدات الاستطلاع . وتركزت المعارك منذ البداية في القطاعين الأوسط والجنوبي ، وبدأت القوات السورية بالتوغل في الجولان .

وفي ثالث أيام الحرب تقدمت القوات السورية على القطاع الشمالي أيضاً ، وبدأت عملية تطويق القنيطرة من شمالها وغربها .

وقد بدأت القوات الإسرائيلية الجوية غاراتها على المدن السورية منذ مساء ٨ - ٩ . وفي اليوم الرابع (١٠ / ٦ / ١٩٧٣) قصفت الطائرات الإسرائيلية العاصمة السورية دمشق . وأصابت مستشفى الشرق ودار المعلمين ومبنى نقابة الأطباء والمركز الثقافي السوفيتي وعدداً من المباني والمساكن .

كما تسللت طائرات أخرى إلى مدينة حمص وضربت مصفاة حمص وسد الرستن . .

وقد واصلت القوات السورية البرية تدعمها الطائرات هجماتها على المواقع الإسرائيلية واستعادت جبل الشيخ الذي نبي عليه الإسرائيليون مرصداً محصناً بطريقة غير عادية حيث أقيم في ذروة الجبل وأحيط بأسلاك شائكة وحصائر وسياح وألغام وحوله دشم في كل منهما رشاش (٥٠٠) ، وكل دشمه سرداب يؤدي إلى الملاجئ الرئيسية للطابق السفلي في المرصد (من أعلى يوجد طابقان في شكل برج ومن أسفل ينتهي بنقطة ضيقة) .

ويحيط بالمرصد أيضاً جدار من الأسمنت المسلح يصل سمكه إلى متر ونصف متر وفضة تراب ناعم ثم أحجار سوداء كبيرة على شكل مدرجات .

وللمرصد مزاغل لإطلاق النيران . أما حقول الألغام فلا تبعد عنه أكثر من ٢٠ متراً مما يجعل مهمة المهاجم لاخرآقه من غير الباب الرئيسي بالغة الصعوبة .

وفي الداخل توجد غرفة عمليات وأجهزة دقيقة ويأخذ المدخل شكل دهليز ملتو يتفرع إلى الداخل .

وعلى جوانب هذا المرصد مرايض هاون ومستودعات ذخيرة وملاجئ للأفراد محصنة تماماً . وفي أعلاه هوائيات مختلفة ومداخن للتهوية . ومناظير استطلاع (بيروسكوبات) وكان أسلوب التخاطب بين قوات المرصد يتم بواسطة « ديكتافونات موزعة على مختلف الجدران

وقد اتضح أن المرصد يخدم أغراضاً أكبر من مجرد استطلاع إسرائيل للأراضي والمواقع السورية حيث أشارت الدلائل إلى أن ثمة أبحاثاً وعمليات استطلاع كانت تم لحساب أمريكا وحلف الأطنطى . .

هذا وقد سقط موقع المرصد في أيدي القوات السورية بعد معركة عنيفة لم تستغرق أكثر من ٤٥ دقيقة .

.....
.....

وفي اليوم الخامس تمكن العدو من إحراز بعض التقدم والضغط على القوات السورية ومع المزيد من تركيز الضغط والهجمات أحرز الإسرائيليون تقدماً آخر .

وفي اليوم السادس (١١ / ١٠ / ٧٣) واصلت الدبابات الإسرائيلية تقدمها شرقاً بعد أن تمكنت إثر قتال ضار من اختراق خط الدفاع السورى الذى أقامته سوريا إلى الشرق قليلا من خط وقف إطلاق النار لعام ١٩٦٧ وقد تكبدت القوات الإسرائيلية خسائر كبيرة في هذا الهجوم .

أما في القطاع الأوسط فقد اصطدمت الدبابات الإسرائيلية بمقاومة سورية عنيفة منعتها من التقدم .

وقد نشطت وحدات إسرائيلية من المدرعات والمشاة الميكانيكية في داخل الجولان في عملية هدفها تصفية الجيوب التى خلفها السوريون وراءهم بعد الانسحاب شرقاً .

كما قامت الطائرات الإسرائيلية بتوجيه ضربات قوية ضد المدرعات السورية العاملة في القطاع الشمالى على المحور الرئيسى القنيطرة - سعسع واستمرت في نفس الوقت الغارات على عمق الأراضى السورية فهاجمت الطائرات المطارات الرئيسية الثمانية في منطقتي حمص ودمشق وقصفت المنشآت البترولية والكهربائية في حمص مرة أخرى كما

هاجمت مناطق اللاذقية وطرطوس وبانياس .

ومع ذلك فقد تكبدت الطائرات المغيرة خسائر كبيرة .

وقد تمكنت القوات السورية من وقف التقدم الإسرائيلي في القطاع الشمالى فى « خان ارينه » وقامت بهجوم مضاد ضد المدرعات الإسرائيلية فى محاولة لإفساح المجال أمام القوات السورية - التى كانت لا تزال تقاتل داخل الجولان - ولتمكينها من الانسحاب شرقاً .

وفى الوقت نفسه تمكنت القوات السورية العاملة فى « الرفيد » من السيطرة على الوضع ودحر الإسرائيليين إلى الوراء فى حين واصلت المدفعية السورية عملها بفاعلية كبيرة وألحقت بالعدو خسائر فادحة .

هذا وقد عاودت الزوارق الإسرائيلية الصاروخية محاولات هجومها على الساحل السورى والمنشآت الجوية فى اللاذقية وطرطوس وبانياس وقد تصدت لها الزوارق السورية . وفى اليوم السابع (١٢ / ١٠ / ٧٣) كان واضحاً أن الموقف يشهد نقطة بارزة بالنسبة لتطور القتال، فى الأيام الخمسة الماضية تمكنت الوحدات الإسرائيلية المدرعة من وقف تقدم القوات السورية ودفعها إلى خلف خط القتال لعام ١٩٦٧ والتوغل خلف الخط فى القطاع الشمالى على محاذاة الطريق المؤدى إلى دمشق .

وقد دفعت إسرائيل اليوم طيرانها فى موجات متتابعة لضرب المدرعات والمدفعية السورية وأيضاً لضرب أهداف فى عمق الأراضى السورية وقد دارت معارك جوية أظهر فيها الطيارون العراقيون والسوريون شجاعة وكفاءة فائقتين وقد فشلت لذلك الطائرات الإسرائيلية فى تحقيق مهامها .

وبرغم وصول القوات المدرعة الإسرائيلية إلى مشارف قرية (سمسع) فإن دخول القوات العراقية التى وصلت توأ إلى أرض المعركة أحدث هزة فى الموقف الإسرائيلى وقد باغت لواء مدرع عراقى القوات الإسرائيلية المتقدمة على محور « جيعا كفرناسج » وشن هجوماً معاسكاً عليها وتمكن من دحرها وإجبارها على التراجع حتى تل الشعار بعد قتال عنيف تكبدت فيه القوات الإسرائيلية خسائر كبيرة فى المعدات والأرواح وتم خلالها أسر عدد من أطقم دباباتها والجنود العاملين مع القوة .

كما أن المدفعية السورية واصلت طيلة اليوم قصف المواقع والمدرعات الإسرائيلية بفاعلية كبيرة موقعة فيها خسائر ضخمة .

وبهذا اتضح أن المعركة لم تتجه الوجهة التي أرادتها إسرائيل فبدلاً من الاستنزاف الكامل لإمكانات الجيش السوري ، وجدت القيادة الإسرائيلية أن قواتها هي التي تستنزف خاصة وأنها لم تحقق التقدم الذي كانت تسعى إليه ، فالجيش السوري لازال قوياً ويستطيع دفع المزيد من الوحدات إلى جبهة القتال . كذلك فقد أدخل وصول القوات العراقية عاملاً جديداً على الموقف زاد من تعقيد الأمور أمام القيادة الإسرائيلية إذ تأكد لديهما أن ميزان القوى في المدرعات والمدفعية لا يعطيها القدرة على إحداث ثغرة في الخطوط السورية كما تريد القيادة الإسرائيلية .

.....

وفي ليلى ١٢ / ١٣ / ١٠ / ٧٣ لجأت القوات السورية إلى استخدام تكتيك حرب إنهاك واستنزاف ، فقد دفعت إلى المناطق التي كانت الدبابات الإسرائيلية قد وصلت إليها في هجومها الأخير مجموعات من المغاوير (الصاعقة) قامت بالإغارة على هذه المدرعات فأحدثت خسائر وفزعاً في صفوف الإسرائيليين .

.....

وفي يوم ١٢ / ١٠ / ٧٣ توقف الهجوم الإسرائيلي جنوبي قرية سعسع وقامت القوات العراقية بهجوم مضاد ناجح تمكنت بواسطته من دحر القوات الإسرائيلية مسافة كبيرة إلى الوراء على محو « غباغب - كفر ناسج » وبذلك تم تضيق الخناق على قوات الثغرة من الناحية الجنوبية .

وفي صباح ١٣ / ١٠ / ٧٣ بدأت القوات الأردنية التي وصلت أمس إلى الجبهة السورية بهجوم مضاد ضد القوات الإسرائيلية التي كانت تتقدم باتجاه تل الحارة وقد أجبرت هذه القوات على التراجع .

.. وبهذا تحسن الوضع كثيراً بالنسبة للقوات السورية وحقت توازناً هاماً أعطاها القدرة على العمل بحرية أكبر وبسرعة ووقفت فرقة مشاة معززة بالدبابات والآليات مدعمة بوحدات من اللواء المغربي وكتيبة مشاة تابعة لقوات فتح الفلسطينية في مواجهة القوات الإسرائيلية التي كانت قد دخلت قرية « بيت جن » .

أما مسئولية مواجهة قوات محور الجهد الرئيسي للقوات الإسرائيلية العاملة على الطريق المؤدية إلى دمشق فقد أنيطت بفرقة مدرعة سورية معززة بكتيبتين من الدبابات عائدتين إلى احتياطي القيادة العامة السورية .

أول طيار إسرائيلي أسير في
الجزيرة العصبية في 1967
في الصورة لحائل مؤمن بن عبد العزيز
في 1967

أول طيار إسرائيلي أسير في
الجزيرة السورية



وفي الجنوب الشرقي تسلم اللواء العراقي المدرع الثاني عشر المسئولية في المنطقة التي تقع في مواجهة كفر ناسج وجميعا .

وإلى الجنوب قليلا تسلم اللواء المدرع (٤٠) الأردني المسئولية في قطاع « تل الحارة » . . مع انتهاء اليوم أتمت القوات العربية محاصرة الجيب من جميع الاتجاهات وبدأت قوات الطرفين في إقامة خطوط دفاعية لهما في المناطق التي تسيطر عليها . كما باشرت القوات (السورية والعراقية والأردنية تدعمها الوحدات السعودية والمغربية والكويتية والفلسطينية) ، الضغط المستمر على القوات الإسرائيلية . بينما نشطت الطائرات السورية في تقديم الدعم للقوات البرية على طول خط المواجهة وفي التصدي للطائرات الإسرائيلية التي كانت تحاول مهاجمة أهداف حيوية في عمق الأراضي السورية .

.....

وقد شهدت بقية أيام الحرب حتى ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٣ معارك استنزافية قامت بها القوات العربية واستطاعت من خلالها دفع القوات الإسرائيلية بضعة كيلو مترات عن بعض المواقع ، ولكن الدعم الأمريكي الذي ظهر على الجبهتين (المصرية والسورية) منذ اليوم السادس للحرب ، وتصاعد يوماً بعد يوم - لكي يعطي القوات الإسرائيلية دفعة تستعيد بها توازنها - هذا الدعم لم يفتح الفرصة الكافية للقوات العربية لكي تقضي على الثغرة الإسرائيلية التي حاصرتها تماماً وكان موقف الإسرائيليين فيها لا يحسدون عليه .

كذلك فقد استعادت القوات الإسرائيلية مواقع جبل الشيخ بما فيها المرصد بعد معارك عنيفة استمرت حتى يوم ٢١ / ١٠ / ٧٣ وتكبدت فيها إسرائيل خسائر ضخمة .

مشاهد من الجبهة الشمالية

« لم يكن هناك ما يشير إلى وجود شيء غير عادي على الجانب السوري . . كان الرعاة السوريون - كما هي عادتهم كل يوم - يتجولون في المنطقة مع قطعانهم ، وفي الساعة الثانية بعد الظهر أعلنت النيران الكثيفة للمدفعية السورية اندلاع الحرب .

.....

كانت القنابل تنهمر علينا من كل الاتجاهات ، وخيل إلى أنهم يروننا بوضوح أو أن لديهم عدداً هائلاً من المدافع تغطي قذائفه كل ركن من هضبة الجولان ، وكلما رفعت رأسي كنت أرى القذائف تنهمر بسرعة .

وركز السوريون نيرانهم على مدرعاتنا كما بدعوا يطلقون للمرة الأولى صواريخهم المضادة للدبابات وأحسست أن الأرض كلها قد زلزلت . . وكان كل شيء يمر في سرعة غريبة .

ها هو ذا طابور سوري مدرع يتقدم نحونا لا يتهيب شيئاً . . أصبنا الدبابتين اللتين في المقدمة ، فدارت بقية الدبابات من حولهما ببساطة ، واستمرت في طريقها ثم بدأت الصواريخ تصيب دبابات مواقعى واحدة بعد الأخرى .

وبعد ساعتين أدركت أن المسألة خطيرة فلم يكن قد بقي لدينا من عشرات الدبابات التي كنا نملكها سوى دبابتين فقط ، وأخذت الحالة المعنوية لمن تبقى من جنودي تنخفض سريعاً .

واتصلت بمركز القيادة وأبلغتهم أننا عاجزون عن إيقاف الهجوم السوري . . وتحت ستار من الدخان بدأنا نتراجع تاركين الجثث والدبابات المحترقة وكان السوريون متفوقين علينا في كل شيء . . وكنا نعاني صدمة نفسية قاتلة .

واستولى علينا - بعد أن فقدنا جميع الدبابات - شعور طاغ بالعجز . . «

(الكولونيل الإسرائيلي (بواز) الذي كان يربط
بقواته في الخطوط الأمامية للجبهة الشمالية)

« بدأ السوريون يقيمون الجسور فوق الحفر المضادة للدبابات مستخدمين في ذلك « البولدوزرات » التي كانت تتبعها السيارات من حاملات الكبارى . ولم يكن في وسعنا مجرد منعهم .

ولقد مرت دباباتهم بالقرب منا تماما ، ثم دارت حول مواقعنا . . وكان هناك ما بين عشرين وثلاثين دبابة تمكنت من اجتياز الحفرة فوق الجسر اللذين تمت إقامتهما . وظهرت بعد ذلك طائراتنا في السماء فأصابت إحدى الدبابات وهي تمر فوق أحد الجسور غير أن السوريين تمكنوا من إقامة جسر ثالث » .

(تابع)

باهر شوا

أحد الجنود الإسرائيليين في القطاع الأوسط من
الجهة الشمالية .

